المنهل

AL MANHAL

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

العدد (٥٩٦) المجلد (٦٧) العام [٧١] الربيعان ١٤٢٦ هـ - ابريل ومايو ٢٠٠٥م

مسابقة المنهل الثقافية

قسيمة المسابقة داخل العدد

امراء الاندلس .. زيَّنوا المساجد واهملوا الدعوة

حوار الصمت قصة لعزت خطاب

العنصرية اليهودية التلمودية رفض الآخر .. بل لعنه

المسرح العربي .. بين الغاية والهدف

الجواز والرفض في ترجمة تفسير القرآن الكريم

إبحار في مصطلح أوابد الشعر

العولمة .. والهيمنة على العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية- جدة

عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ



غلاف العدد

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣
تليفون: ٦٤٢٧٨٣١- ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠
تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢





اليهود قوم بهت..

□ اليهود قوم بهت خبث مناكيد، مشائيم، فطروا على الشرور، وعرفهم تاريخ البشرية بنكران الجميل وفساد الاخلاق وافسادها والتواء الضمائر.. ومرض النفوس، والحقد على العالم، والعنصرية الجامحة.. وهم لا يتورعون عن ارتكاب أية جريمة، في سبيل الوصول إلى غاياتهم الدنيئة، وهم لا يتقيدون بقوانين سماوية ولا وضعية لا في حرب ولا في سلم.

وأحدث دليل على هذا، القاؤهم بقرارات مجلس الأمن منذ أوجدوا وأوجد هذا المجلس.. بعرض الحائط.. ومن طبيعتهم الراسخة فيهم الخيانة وإلباس الحق بالباطل، وبث المبادىء الهدامة، ونشر الآراء الفتاكة في انحاء العالم، توصلا الى هدفهم الأول والأخير، وهو «السيادة الصهيونية» على العالم أجمع.

و «بروتوكولات صهيون» التى نشرناها برمتها في هذه المجلة أقوى وأقرب شاهد على هذا الاجرام المستقر في أعماق نفوس اليهود.. وكم توسلوا بأقذر الوسائل إلى أحط الأهداف .. وهم «عبدة» المال، يجمعونه مما هب ودب، ويصرفونه فيما هب ودب .. من أفانين أهدافهم الخسيسة الحاطمة.. ولا يفل الحديد إلا الحديد ■

«عبدالقدوس الأنصاري»

صفر ١٣٨٨هـ/ مايو ١٩٦٨م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٥٠٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ دينار أ - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ دينار أ لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

الآخـــــر ...

الآخر: واحدة من الكلمات والمصطلحات المستحدثة التى أدخلت قسراً في تركيبة اللسان العربي، تأباها ثقافة هذا اللسان العربي الاسلامي، وتأباها مقوماته ومرتكزاته الفكرية.. ومثلها مثل مصطلحات (الخطاب الذكوري) و(الخطاب الأنثوى) .. يستخدمها الاعلاميون وكأنهم قد وقعوا على كنز..

الثقافة الاسلامية والمفردات العربية علمتنا:

** (يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

** (كلكم لآدم وآدم من تراب لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى).

** (الناس سواسية كأسنان المشط).

** (ولقد كرمنا بنى آدم..).

إذن .. أين الآخر هنا في هذا الخطاب..؟!

كل الخلق : في النشأة والتكوين واحد .. كلهم لأب واحد.. مهما اختلفت أديانهم.. وعقائدهم.. وافكارهم .. بل مهما اختلفت توجهاتهم في الحياة.

الآن نقول: (الحوار مع الآخر) ـ (استيعاب الآخر) ـ (نفى الآخر) الى آخر هذه القائمة..

وهنا نسأل : من هو هذا الآخر .. ومن هو الأول .. في هذا التقابل .. هل نحن الأول وهم الآخر؟! .. أم هم الأول ونحن الآخر ..؟!..

إذن .. الصحيح منهجاً وفكراً وأدبا مع بعضنا ـ ما دمنا خلقاً واحداً لأب واحد، لرب واحد ـ أن نقول:

(نحاور بعضنا) .. (نجادل بعضنا) .. (نستوعب بعضنا ... الخ.

المحرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشــارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

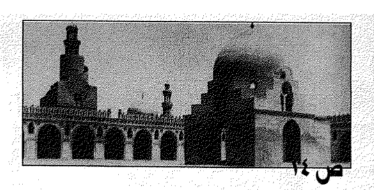
العنوان البريدي :
WWW. al-manhalmagazine.com
عنوان موقع الإنترنت :
E-mail : info@al-manhalmagazine.com

فهرس العدد

٥٩٦

المجلد ٦٧ / العام ٧١





ص ١٤

١٤ ـ **مسجد أحمد بن طولون يستعيد رونقه**

د. خالد عزب

٢٠ ـ ترجمة تفسير القرآن الكريم

د. عبد القادر سلامي

٢٨ ـ كتابة السنة النبوية وتدوينها

د. احمد عمر هاشم

٣٦ ـ الجواهري شاعر الرفض والاباء

ابراهيم مشاره

٤٠ ـ بشر بن أبى حازم

د. عبده بدوي

٤٤ ـ الأصول النظرية للنقد الاسلامي

د. محمد مريني

٤٨ ـ أوابد الشعر

د. حمود حسين يونس

٥٢ ـ **بين السماحة الاسلامية والعنصرية اليهودية**

د. محمد عماره

٥٦ ـ استراحة داخل محراب الفكر

سعد البواردي

٦٠ ـ نداء الى قطز (شعر)

علي محمد عبد المنعم

٦٢ ـ أمراء الحرمين الشريفين

السيد ضياء محمد عطار

٦٤ ـ رحلة في المكتبة (مقال من وحي القلم)

د. محمد رجب البيومي

٦٨ ـ نحو مسرح اسلامي هادف

فيصل صالح أسعد

٧٢ ـ توظيف التراث الحكائى في مسرح الطفل

عبد المجيد البركاوي

فقرات مستلة

**** ظهور الوضع والوضاعين عجل بتدوين الحديث.**

ص ٢٨

**** كثافة القيم الايمانية والخلقية في النص تمنحه خصوصية الابداع الاسلامي.**

ص ٤٤

**** الموضوع والايقاع والوزن من أبرز سمات الأوابد.**

ص ٤٨

**** الأغيار : شياطين وكلاب وخنازير بحسب تعاليم اليهود.**

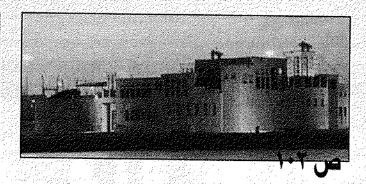
ص ٥٢

**** الديكتاتوريات القديمة استبدلت بديكتاتورية جديدة اسمها العولمة.**

ص ٧٨

**** اللغة واحدة من مكونات التركيب النفسي والاجتماعي للأمة.**

ص ٩٢

ص ١٠٢

٧٦ ـ عبد السلام هارون في عالم التحقيق التراثي
فاروق صالح باسلامه

٧٨ ـ الاعلام زمن العولمة بين التطلعات والتحديات
اشراف بن مراد

٨٤ ـ أحماض أدبية (الانسلاخ من الاستنساخ)
د. احمد عطية السعودي

٩٠ ـ خسيء الغزاة (شعر)
يحى السماوي

٩٢ ـ اللغة وخصائصها الفكرية والنفسية
د. زياد الحكيم

١٠٠ ـ حوار الصمت (قصة)
د. عزت خطاب

١٠٢ ـ **أيام على ضفاف الخليج**
عبد الله حمد الحقيل

١٠٨ ـ الفلسفة العمرانية لعبد الرحمن الناصر
د. عبد الحليم عويس

١١٤ ـ شاعر من المهجر (رشيد أيوب)
عثمان محمد مليباري

١١٦ ـ ومضات .

١٣٢ ـ الأكل المتحضر: يغذي ويقتل
د. يونس وهبي

١٤٠ ـ الكيمياء .. لغة التواصل بين الحيوانات
د. رمضان مصري هلال

١٤٥ ـ للقديم روعته.

١٥٤ ـ شذرات الذهب
د. أبو حسام

١٥٨ ـ مسك الختام (المدخل الى عبقرية الفنان المسلم)
محمود حسن اسماعيل

الاشتراكات

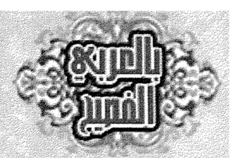
جـدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

وكالات التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥



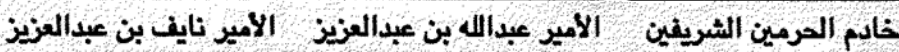












خادم الحرمين الشريفين — الأمير عبدالله بن عبدالعزيز — الأمير نايف بن عبدالعزيز

□ أكبر ، وأضخم عمل احتوته الدراسات الجادة المقدَّمة من متخصصين، وأكاديميين، ودارسين .. وأكبر وأضخم عمل أجريت حوله الاستطلاعات والبيانات الموثقة..

الارهاب : ضرب في كل الانحاء .. وكل الاتجاهات . وكل الازمنة .. وفي كل شعوب الأرض.

الارهاب : داس بأقدامه، الأنفس والأرواح والمقدسات والأموال والممتلكات وكل مقدرات الشعوب.

الارهاب : اعتصر في مطحنته، الرجل والمرأة، الصغير والكبير - الشيب والشباب - المريض والعاجز.

الارهاب : ذلك القلب الأسود المرْبَاد، إنه لا يعرف معروفاً ولا يُنْكِر منكرا .. لا يعرف وطناً ولا أهلا ولا جنسا .. لا يعرف ديناً ولا عقيدة.. لا فكراً ولا أملا.

الارهاب : ذلك النبت الشيطانى .. مُرٌّ مذاقه، قاتلٌ تجرُّعُه.

الارهاب : ذلك الهلامى ، لا تعرف من أين جاء .. ولا أين يذهب..!!

الارهاب : ... ...!! قل فيه ما بدا بخاطرك.

زمرة من أبناء جلدتنا، يضربون في كل الاتجاهات من غير مبرر، ولا هدف، ولا غاية مرجوة.

يُفجِّرون .. يُدمِّرون .. يُقتِّلون ..

ثم ماذا بعد ..؟! لا شيء في أفقهم، من قريب أو بعيد، غير أوهام أُشْرِبُوها، حسَّنت عندهم القبيح .. وقبَّحتْ عندهم الحسن ..

الانسان السويّ: عقل .. فإن فُقدَ فُقدَت السوية.

وعقول هؤلاء الشباب المدمِّرون، شَرَوْها بثمن بخْس لتكفيريين أباحوا لهم الدماء المعصومة.. والحقوق المصونة.. والأنفس الزكية.

هؤلاء الشباب المدمِّرون: أساءوا لأنفسهم وأهليهم .. وأساءوا لأوطانهم وبلدانهم ومجتمعاتهم.. وفوق ذلك كله أساءوا لدينهم وعقيدتهم..

ذلك، لأن الاسلام دين الوسطية.. دين التسامح.. دين الدعوة بالحسنى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن).. (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك).

دين يعصم الدماء، ويوفى بالعهد .. ويبغض الغدر والخيانة.. هذا ديننا ومنهجنا، وديدننا في الحياة.. فاذا ما خرج من أبنائنا فئة ضلَّت الطريق يبغون الفتنة، سمَّاعون لقوم آخرين، فذلك أمر قد استشرى شره في كل العالم، وعظم أمره..



زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

وكانت المملكة العربية السعودية سباقة بالاشارة الى شر هؤلاء، والتحذير من شرورهم .. وضرورة التعاون بين العالمين لايقاف ذلك الشرر المتعاظم قبل استفحاله.

وخيراً فعلت المملكة العربية السعودية الآن .. فقد كانت هى الداعية لهذا المؤتمر العالمى .. (المؤتمر الدولي لمكافحة الارهاب).

وكانت هى المهيئة لهذا المؤتمر الدولي كل وسائل إنجاحه.. وكان لها ما أرادت بفضل الله تعالى وتوفيقه.

... وانعقد المؤتمر بتوجيه ورعاية ومتابعة صاحب السمو الملكى ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز.. وباشراف متصل، ومشاركة فاعلة من كل من صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وصاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية.. وكل المختصين.

وحقاً : يسجل للمملكة ، عقد هذا المؤتمر، وانجاحه بكل مقاييس النجاح والتفوق والتميز.

وستبقى بلاد الحرمين الشريفين مصانة بتمسكها بعقيدتها الاسلامية السمحة.. وبقيادة حكامها الحكماء وبتلاحم شعبها الأبيّ الكريم .. ستبقى بلادنا الحبيبة قلعة الاسلام وقبلته، ديدنها العقيدة وجوهرها الإخاء والتسامح والألفة أبد الآبدين إن شاء الله تعالى.

أكثر من (٤٠) دولة ومنظمة وهيئة شاركت في فعاليات هذا المؤتمر، وجمهرة من المفكرين والمختصين في الموضوع شاركوا ببحوثهم ودراساتهم وتجاربهم حول هذه الظاهرة العالمية (الارهاب).

خرج المؤتمر بمجموعة من التوصيات أودعت جميعها (الأمم المتحدة) لتقوم بأمرها، وتقرر سبل وطرق تنفيذها.

(اعلان الرياض) .. كان هو المسمى المركزي لتوصيات هذا المؤتمر العالمى، ليعرف به .. وقد تضمن جملة من المبادىء والموجهات للحرب ضد الارهاب.

**** ومن توصيات هذا المؤتمر :**

- العمل الجماعى والمنظور الاستراتيجى الشامل لمحاربة الارهاب، هو المرتكز الأساسى لهذا الجهد العالمى المتوحد.

وتنفيذا لهذا التصور تبنى المؤتمر مقترح صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز الداعى الى انشاء (مركز دولى لمكافحة الارهاب).

- الارهاب يمثل تهديدا مستمراً للسلام والأمن والاستقرار في كل العالم.
- الدعوة لترسيخ قيم التفاهم والحوار والتعددية والتقارب بين الثقافات ورفض منطق صراع الحضارات ومحاربة كل ما يدعو للكراهية والعنف وما يسوغ للجرائم الارهابية.
- التشديد على أن الارهاب ليس له دين أو جنس أو جنسية أو منطقة جغرافية محددة.. والتأكيد بأن محاولة ربط الارهاب بأى دين سيساعد الارهابيين.
- الالتزام بالقرارات الدولية الصادرة عن الامم المتحدة ذات الصلة بمكافحة الارهاب.
- توسيع المشاركة السياسية، وتحقيق التنمية المستدامة، وتلبية متطلبات التوازن الاجتماعي، وتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدنى للتصدى للظروف التى تساعد على انتشار العنف والفكر المتطرف.
- التأكيد على أهمية دور الاعلام والمؤسسات المدنية ونظم التعليم في بلورة استراتيجيات للتصدى لمزاعم الارهابيين مع وضع قواعد ارشادية للتقارير الاعلامية والصحفية بما يحول دون استفادة الارهابيين منها.
- الطلب من الامم المتحدة تطوير معايير لمساعدة قيام الهيئات الخيرية الانسانية بدورها مع منع استغلالها في أنشطة غير مشروعة.
- تفعيل التعاون على المستوى الوطنى والثنائى والاقليمى للتنسيق بين الأجهزة المختصة بمكافحة الإرهاب وتجارة المخدرات والاسلحة والمتفجرات والتهريب وغسيل الأموال لضمان فعالية محاربة الارهابيين وروابطهم بالجريمة المنظمة.
- الحاجة لتقوية الاجراءات الدولية الرامية لمنع الارهابيين من امتلاك أسلحة الدمار الشامل والتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الامن الدولى بهذا الخصوص.
- تطوير التشريعات والاجراءات الوطنية الكفيلة بمنع الارهابيين من استغلال قوانين اللجوء والهجرة للحصول على ملاذ آمن واستخدام اراضى الدول كقواعد للتجنيد أو التدريب أو التخطيط أو الانطلاق منها للقيام بأعمال إرهابية في دول أخرى.
- تشجيع نشر القيم الانسانية الفاضلة، واشاعة روح التسامح والتعايش وحث وسائل الاعلام على الامتناع عن نشر المواد الداعية للتطرف والعنف ■

بيان من سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية

☐ من عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ الى عموم إخوانه المسلمين ..

فالحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾.

إخواني : إن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا هي هدايتنا لهذا الدين العظيم ولولا هداية الله لما اهتدينا فله الحمد ظاهرا وباطنا .. هذا الدين دين الإسلام هو الدين الذى أكمله الله وأتمه ورضيه لنا دينا.

يقول تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

فهو الدين الكامل التام في العقائد والعبادات والمعاملات.. الكامل في بيان الشئون الأسرية والقضائية وغيرها مما فيه صلاح العباد في دنياهم واستقامة أمر معاشهم، وفيه أيضا سعادتهم في أخراهم.. فالواجب على العباد الرضا بهذا الدين وقبوله والتسليم له والانقياد لأوامره والانزجار عن نواهيه رضا بما رضيه الله لنا ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾، ولأن الله سبحانه لا يقبل من العباد دينا سواه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وهذه الشريعة العظيمة جاءت بأمور كلية لا يجوز لأحد كائنا من كان مخالفتها.. من ذلك أن الشريعة العظيمة جاءت بتحقيق المصالح وتكميلها وبدفع المفاسد وتقليلها، وجاءت بتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة وجاءت هذه الشريعة بالعدل في جميع الأمور الخاصة والعامة وتحريم الظلم أيا كان نوعه ودوافعه.. وجاءت بالحفاظ على الكليات الخمس الدين والنفس والمال والعقل والنسل.

فهذه الكليات العظيمة وغيرها من كليات الشريعة وجزئياتها يجب علينا التواصي بحفظها وتطبيقها وعدم الإخلال بها.. فإن هذا هو سبيل النجاة يقول الله عز وجل: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

والتذكير بهذه الأمور وغيرها من شريعة الله واجب.. ويتأكد الوجوب والبيان ويحرم الكتمان أو تأخير البيان عند الحاجة إليه.. فمتى احتاج أهل الإسلام لبيان شيء من شرع الله وجب البدار ببيانه وحرم تأخير البيان أو كتمانه.. وحاجة الأمة للبيان تكون عند إقدامهم على شيء من الأفعال أو الأقوال عبادة أو غيرها ويجهلون صفتها أو حكمها فيجب بيان ذلك.. وقد يكون بأن يرى العالم من العباد من يتقحمون مالا يجوز لهم ويرتكبون مالا يحل، حينئذ يجب عليه البيان ويحرم عليه السكوت إبراء لذمته

ونصحا لأمته وخروجا من العهدة يقول تعالى : ﴿وإذ أخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾.

وإن مما ظهر في زماننا وعظم خطره واشتد على أهل الإسلام أثره ما كان من بعض أبناء المسلمين الذين استهوتهم شياطين الإنس والجن فصدوهم عن الصراط المستقيم حتى عادوا أسلحة موجهة ضد الإسلام وأهل الإسلام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. وأمر هؤلاء وأمثالهم وإن كان واضحا عند من أنار الله بصيرته إلا أن بيان جرمهم وعظيم خطرهم في هذه الأوقات واضح، وتأخير البيان أو كتمانه من قبل أهل العلم محرم، وقد ظهر الإنكار عليهم بحمد الله من أهل العلم مجتمعين ومنفردين فلم يبق لهم مستمسك إلا الهوى.. ولمعرفة حكم أفعالهم نعد بعض جرائمهم فمنها :

- التصدي للكلام في دين الله عز وجل بغير علم يؤهلهم لذلك.
- نسبة ما يفعلونه من الجرائم إلى دين الإسلام.
- تكفير المسلمين .
- قتلهم للمسلمين .
- قتلهم للمستأمنين.
- إعلانهم الخروج عن طاعة ولي الأمر في هذه البلاد.
- إعلانهم استهداف بعض الأماكن والأشخاص بالقتل والتفجير والتدمير.
- خفرهم ذمة ولي الأمر.
- اعتداؤهم على الممتلكات المحترمة وعلى أماكن حفظ الأمن في البلاد.
- سعيهم إلى الإخلال بأمن هذه البلاد.
- ترويعهم للآمنين في هذه البلاد.
- سعيهم لانتقاص هيبة هذه البلاد الإسلامية وتسليط الأعداء عليها وفتح ثغرات لأهل الكفر على أهل الإسلام.

وغير ذلك من الجرائم البشعة، والأمور العظيمة المنكرة، التى لم تعد خفية، فقد شاهدها الناس وعانوا منها وشهدوا عليهم بها.. وقانا الله شرها.

ومن المعلوم أن كل واحدة من العظائم السابقة محرمة ومن كبائر الذنوب فكيف بها مجتمعة.

ومن أدلة تحريم ذلك .. قول الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾. ويقول النبي [صلى الله عليه وسلم] «أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» متفق عليه.. ويقول النبي [صلى الله عليه وسلم] «ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أخرجه الإمام مسلم.

وقال تعالى في تحريم قتل المسلمين وغيرهم بغير حق: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾. وقال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾.

وأما تحريم الخروج على ولي الأمر فظاهر جدا، فإن الله أمر بطاعته في قوله سبحانه: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

ويقول النبي [صلى الله عليه وسلم] : «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية» أخرجه البخاري ومسلم.

وأما خفر الذمم ونقض العهود فإن الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾.. ويقول [صلى الله عليه وسلم] «المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم» أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قال البغوي في شرح السنة يسعى بذمتهم

أدناهم أي أن واحدا من المسلمين إذا أمَّن كافرا حرم على عامة المسلمين دمه وإن كان هذا المجير أدناهم مثل أن يكون عبدا أو امرأة أو تابعا أو نحو ذلك فلا يخفر ذمته. وكل ذلك تحقيقا للصدق الذي جاء به الإسلام والوفاء بالعهد وتحريم الغدر.. فالإسلام ليس دين الغدر والخيانة بل تلك صفات أهل النفاق.

وإذا كان هذا في أدنى المسلمين فكيف بذمة ولي الأمر.. وإذا كان الكافر قد دخل البلاد بأمان أو بما يعتقده هو أنه أمان وجب تأمينه وحرم الاعتداء عليه والغدر به.

هذه بعض الأدلة التي تبين شناعة تلك الأفعال، أوردناها مختصرة لقصد التحذير من تلك الفعال وإلا فنصوص الكتاب والسنة بحمد الله جاءت وافية شافية في هذا الباب.

ثم إن من نظر إلى هذه الجرائم وما يترتب عليها من السعي في إخلال الأمن وترويع الناس واضطراب أحوالهم علم أن هذا ضرب من الحرابة والفساد التي حرمها الله أشد التحريم في قوله تعالى: ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾.

ويقول تعالى: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾.

وهذه الأفعال المشينة مخالفة لكليات الشريعة أصرح مخالفة، ففيها من المفاسد مالا يحصى ولا مصلحة ظاهرة منها، وفيها الاعتداء على المصالح العليا العامة لبلاد المسلمين، وفيها الاعتداء على جملة من الضرورات الخمس كالدين والنفس والمال، وفيها الظلم ظلم للنفس وظلم للغير بالاعتداء عليهم.

وأيضا فإن هذه الفعال فيها مخالفة لإجماع من يعتد برأيه في هذا العصر وإجماع السلف على ما ذكرنا حكمه، وفيها مشاقة لله عز وجل ولرسوله {صلى الله عليه وسلم} ومخالفة لأوامرهما وارتكاب لنواهيهما والله تعالى يقول: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾.

فإذا تبين هذا وجب على الجميع تقوى الله عز وجل والتعاون على البر والتقوى والسعي فيما من شأنه اجتثاث هذا الخطر العظيم على الدين والدنيا وتوعية المسلمين بخطورة هذه المسالك الردية ونصيحة من وقعوا في هذا الطريق السيء المظلم أو تأثروا بتلك الأفكار والشبهات.. ومن نُصح فلم يعتبر وأصر على باطله، أو عُلِمَ من حاله التخطيط لأعمال إجرامية وجب الإبلاغ عنه، كفا لشره عن المسلمين وحقنا لدمائهم وردا له عن ظلمه لنفسه ولغيره والنبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره» أخرجه البخاري.

كما يجب على من آتاه الله العلم والبصيرة في دين الله مواصلة التحذير من هذا السبيل ونصيحة المسلمين وتكرار ذلك وتحصين شبابنا ضد هذه التيارات الخبيثة والتصدي لكشف شبه المشبهين الذين ينسبون لدين الله ما ليس منه.. فإن هذا من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله والله تعالى يقول: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾.

وقى الله بلادنا وسائر بلاد المسلمين الشرور والفتن وسائر المصائب والآفات وأقر أعيننا بعز دينه ونصرة عباده الموحدين في كل مكان ووفق الله ولاة أمرنا لما فيه الخير والصلاح والهداية للإسلام والمسلمين في كل مكان إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ■

يا أرض طه

جبران بن محمد علي قحل
- جازان -

يا أرض طه إن عطشت، فمن دمي
أروي ثراك، جذور نخلك من دمي
إني نذرت لك الحياة، وكل ما
ملكتْ يداي، وإن هلكتُ بك الظمي
مري على جدثي، وحسبي عزة
إن لامست قدماك باقي أعظمي
مري، ولا تقفي، ولا تتأسفى
إنى ترابك، عدت عود المنتمي
مري قوافل، أسرجت ظهر المحـ
ـال لتمتطيه، وتحرزي قصب النمي
تضنى، لتستبقي سواك غداة تخـ
ـتلط الدروب على خطا المتوهم
تفني، لتمنحك البقاء، فتنبتي
أجيال مجد، يطمحون لأعظم
يا أرض طه ، والعيون قريرة
بك، والزمان كجبهة المتجهم
ما أنت يا مهوى القلوب، وإن تَشَدَّ
قت الحناجر في الزمان العولمي
ما أنت بالترب الذي يستنبت الـ
إرهاب فيه، ويرتوي من زمزم
شتان بين عقيدة وسطية
وتطرف يغري بقتل المسلم
يا مهبط الوحي الطهورة : تربة
فكرا، وتاريخا ، سلوكا آدمي
إنا عليك أذلة ، وعلى عدا
ك أعزة ، لسنا نضن لمغرم



(الجنادرية ٢٠) ..
المهرجان الوطنى للثقافة والتراث





شعار المهرجان



جانب من الاحتفالات بالجنادرية

☐ في العام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م كانت انطلاقة فعاليات أول مهرجان للتراث والثقافة في المملكة العربية السعودية.. وفكرة البداية المتواضعة تلك تلتها افكار وافكار، واعمال تلو أعمال، صبت جميعها في تطوير هذا العمل الرائد (جنادرية) وبالعزم والاصرار، مع الحركة الدائبة بقصد التطوير منهجاً وأداء، جاءت (جنادرية) هذا العام ١٤٢٦هـ لتقدم للمتابع مهرجاناً يحمل كل ملامح التميز والتفرد.

المهرجان الوطنى للتراث والثقافة في دورته العشرين لهذا العام ١٤٢٦هـ، افتتح أعماله وفعالياته ولى العهد صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

واعمال المهرجان في دورته هذه جاءت حافلة بمميزات الابداع والتفوق.

والملامح العامة لهذا المهرجان تسجل الآتي :

** مسابقة الأمير عبد الله بن عبد العزيز للكتاب والسنة للطلاب والطالبات، وقد رصدت جائزة تقدر بـ (نصف مليون ريال) لحفظة كتاب الله تعالى، والمجال مفتوح لكل الطلاب والطالبات على مستوى المملكة.

** الندوات والمحاضرات واللقاءات الثقافية والفكرية.. وتمحورت هذه في :

- المعرفة.. ومجتمع المعلومات.
- ثقافة التقنية .. والتقنية والانتماء.
- الحصانة الذاتية في مواجهة سلبيات التقنية.
- حقوق غير المسلمين في الاسلام.
- صورة الاسلام في مناهج تعليم الغرب.

وإذا كانت (المعرفة) بكل تفاصيلها وجزئياتها .. و(التقنية) بكل معطياتها موجبة وسالبة، هما المعطى الثقافى الابرز في هذا المهرجان، فذلك لأن (المعرفة) و(التقنية) الآن هما (لغة العصر) كما يقولون، وهما مفاتيح شفرته.

** الشخصية الأدبية لهذا العام، الأديب الشاعر الاستاذ عبد الله الجشى - ومعطياته الشعرية والثقافية والفكرية - هو محور شخصية جنادرية هذا العام.. وقد صدرت له ملحمة شعرية بعنوان (شراع على السراب) وله ديوان (قطرات من ضوء) وديوان (الحب للارض

والانســان) وله من المؤلفـات: (بحـوث تاريخـيـة ـ الدولة القرمطية ـ وتاريخ النفط في العالم).

** مـعـرض الكتـاب ـ ومـعـرض الفن التـشكيلي ـ ومعرض المخطوطات..

وهذه انشطة لها حضورها الفاعل والمميز في هذا المهرجان.

هذا اضـافـة الى مـجـمـوع نشـاطـات اخـرى منهـا: النشاط المسرحي ـ والنشاط التراثي ـ والنشاط الكشفي.

وتجدر الاشارة الى أن المهرجان الوطني للثقافة والتراث (الجنادرية) بكل فعالياته تلك قد تحول من ذلك المهرجـان ذي الطابع المحلي الى مـهـرجـان قـومي، بل عالمي.. ونلحظ هذا بوضـوح في عدد المشاركين فيه من خـارج المملكة العـربيـة السـعودية من جـمـهـرة الادباء والمثقفين والكتاب والدارسين والعلماء والمفكرين.

ولا شك أن مـهرجـان الجنادرية هذا يضيف جديداً في حركة الفكر والثقافة، يضاف الى مجموع المهرجانات العربية التي تصب في هذا الاطار ■

جائزة الأمير نايف العالمية :

للسنة النبوية المطهرة والدراسات الاسلامية المعاصرة

□ صـاحب السمـو الملكي الأمـير نـايف بن عـبـد العـزيز، وزير الداخليـة، اسـتحـدث هذه الجـائزة العـالمـيــة (للسنة النبـوية المطهـرة والدراسات الاسـلامية المعـاصـرة) لتسد فـراغـاً علميا وبحثياً واجتهادياً في مجالها وموضوعها.

ولا شك أن حـيـاتنا المعـاصـرة اكتنفـتـهـا الكثير من الاحداث والنوازل، وطرأ عليها الكثير من مستجدات الحياة الموجبة والسالبة، وكل هذا الواقع الجـديد يفـرض على علمـاء المسلمين والمجتهدين منهم بخاصة تجديد البحث والتنقيب لتأطير هذه المستجدات.

وموضوع هذه الجائزة المحوري يقوم على إيجاد الحلول المناسبة لحياتنا المعاصرة انطلاقاً من ثوابت الأمة في (الكتاب والسنة).

والهيئة العليا لهذه الجائزة ممثلة في:

ـ صـاحب السـمـو الملكي الأمـير نايف بن عبـد العـزيز آل سعود.

ـ صـاحب السـمـو الملكي الأمـير نواف بن نايف بن عـبـد العزيز.

ـ والأمير عبد العزيز بن سعود بن نايف بن عبد العزيز.

وجمع من رجالات العلم والرأي في وطننا العربي.



الأمير نايف بن عبدالعزيز

وقد فاز بالجائزة في دورتها الأولى :

الموضوع الأول :

عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان، الفائزون بالجائزة (مناصفة) هما:

ـ أ. فـاطمة بنت صـالح الجارد، الجنسـيـة سعودية.

ـ د. حكمت بن بشـيـر ياسين، الجنسـيـة عراقي.

الموضوع الثاني :

فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، الفائزبالجائزة :

ـ د. رقية بنت طه جابر العلواني، الجنسية بحرينية.

الفـائزون بجائزة فرع الدراسـات الإسلاميـة المعاصـرة (الدورة الأولى):

الموضوع الأول:

المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام :

ـ د. راوية بنت أحـمـد عـبـد الكريم الظهـار، الجنسـيـة سعودية.

الموضوع الثاني :

منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر.

ـ الشيخ عدنان بن محمد العرعور ، الجنسية سوري ■

مجلة الهلال التراث .. والمعاصرة

☐ احتفلت مؤسسة دار الهلال المصرية بالنسخة الرقمية من الاعداد الأولى التى أصدرها الكاتب اللبنانى الشهير (جرجي زيدان) لمجلة «الهلال» أقدم الشهريات العربية منذ ١١٣ عاما. وضمت الاسطوانة المدمجة الأولى التى أصدرتها مكتبة الاسكندرية أعداد الهلال في العامين الأول والثانى اعتبارا من عددها الأول في سبتمبر أيلول عام ١٨٩٢م حيث صدرت كمجلة «علمية تاريخية صحية أدبية» لمنشئها زيدان.. ووصف مدير مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الاسكندرية يوسف زيدان مجلة الهلال بأنها «حالة فريدة نادرة المثال يلتقى فيها ما هو تراث بما هو معاصر.. تلتقى فيها الذاكرة والوعى المعاصر ، فالهلال تمثل تراثا فكريا لمصر والعرب».



غلاف المجلة

وكتب في مجلة الهلال خلال أكثر من مئة عام شعراء ومفكرون ومؤرخون عرب بارزون منهم أمير الشعراء أحمد شوقى وحافظ ابراهيم وشاعر القطرين خليل مطران ومصطفى لطفى المنفلوطى وعبد الرحمن الرافعي وعباس محمود العقاد

ومحمد حسين هيكل وزكى مبارك وأحمد لطفى السيد ومى زيادة وسليم الخوري ومحمود درويش.

وبعد جورجي زيدان تعاقب على رئاسة تحرير الهلال في مراحل لاحقة كُتّاب منهم: اميل زيدان والدكتور احمد زكى والناقد المصري البارز رجاء النقاش اضافة الى حسين مؤنس وكامل زهيري وكمال النجمى ويرأس تحريرها حاليا مصطفى نبيل ■

ملتقى القاهرة للإبداع في دورته الثالثة

☐ في شهر مارس الماضى عقدت في مدينة القاهرة فعاليات وأعمال (ملتقى القاهرة للابداع) بمشاركة نحو ٢٠٠ باحث وكاتب من جمهورية مصر والدول العربية وبعض الأجانب ، ناقشوا محور المؤتمر النقدي الذي دار حول «الرواية والتاريخ»، وقد أهديت هذه الدورة إلى اسم الروائى الراحل عبد الرحمن منيف.

وحصل الروائى السودانى الطيب صالح على جائزة ملتقى القاهرة للإبداع الروائى العربي.

واعلن الروائى المصري ادوار الخراط رئيس لجنة التحكيم، قرار اللجنة في حفل ختام الملتقى بالمسرح الصغير بدار الأوبرا المصرية، بحضور فاروق حسنى وزير الثقافة، والدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة منظم الملتقى، وحشد من الكتاب والمثقفين من مصر والعالم العربى وأشاد تقرير لجنة تحكيم الجائزة بأعمال الطيب صالح


الطيب صالح

ومنها «موسم الهجرة الى الشمال» و«عرس الزين» اللتان تشكلان أبرز رواياته التى ترجمت جميعها الى عدد من اللغات آخرها الالمانية. وهو أول كاتب عربي تترجم اعماله الى اللغة الالمانية وقد دخل اخيرا في قائمة افضل مائة روائى في العالم بجانب الروائى المصري نجيب محفوظ، وشكلت رئاسة ادوار الخراط للجائزة مفاجأة لجمهور الملتقى، حيث كانت معظم الترشيحات تصب في صالح الخراط للحصول على الجائزة.

وتكونت لجنة الجائزة من الدكتور محمد بدوى (مصر) والدكتور محمد برادة (المغرب) والكاتب فؤاد التكرلى (العراق) والدكتور عبد الله الغذامى (السعودية) والكاتب رشيد الضعيف (لبنان) والكاتب محمود طرشونة (تونس) والكاتب جمال شحيت (سورية) ■

منتدى المنهل (٣)

جامعيون .. لا مثقفون

☐ (منتدى المنهل) مساحة عريضة حرة للمشاركة الثقافية والفكرية من قبل قراء المنهل وأحبائها.

في كل عدد من أعدادها تطرح المنهل (محوراً) أو (عنوانا) له أهميته في الأوساط الثقافية والفكرسية والعلمية والأدبية، وله دلالاته المعرفية، وتود المنهل من قرائها ومحبيها الأكارم المشاركة القلمية فيه بآرائهم وأفكارهم ومقترحاتهم..

وكان المحور الأول الذى ابتدأت به المنهل هذا (المنتدى) هو:

(المجلات الثقافية والأدبية ودورها في الرقي بثقافة المجتمع)

وقد وردت إلينا مجموعة من المشاركات ، تم اختيار اثنتين منها ونشرتا في العدد رقم (٥٩٤).

أما المنتدى الثانى للمنهل فكان بعنوان (الانترنت صرعة ثقافية.. أم ثقافة حتمية) وهو منشور بكل تفاصيله في العدد رقم (٥٩٣).

وهذا هو المنتدى الثالث للمنهل بعنوان (جامعيون .. لا مثقفون) ننشره في هذا العدد.

وندعوا الجميع للمشاركة في (المنتدى الثاني والثالث) حتى نفسح المجال لأكبر عدد من المشاركات. آملين أن تكون المشاركة في حدود صفحتين (A4).

هذا ودائما نكرر سعادتنا بكم جميعا وبتواصلكم الثقافى والفكري مع مجلتكم المنهل بعامة.. و(منتدى المنهل) بخاصة.

- المنتدى -

موضوع الحوار للمنتدى الثالث ((جامعيون .. لا مثقفون)).

محاور النقاش :

- إلى عهد قريب كانت الجامعة (مفرزة) حقيقية لمثقفين وعلماء حملوا راية المعرفة وملؤوا الدنيا شعاعا وعلما .. أما زالت الجامعة إلى اليوم تؤدى دورها المنوط بها؟!

- يتخرج من الجامعات العربية في وطننا العربي كل عام ملايين ممن يحملون (الشهادة الجامعية) .. فهل صقلتهم الجامعة بما يستحق أن نطلق عليهم (مثقفون) ؟.

- التعليم العالى (الجامعي) مفتاح للمعرفة والثقافة أم نهاية الاطلاع والقراءة ؟.

- الضعف الثقافي للجامعيين ، هل يرجع إلى الطلاب أم الأساتذة أم إلى كليهما معا أم لأسباب أخرى متضافرة ؟!.

- هل أصبحت الشهادة الجامعية طريقا لكسب لقمة العيش أكثر منها مستندا يسم صاحبه بالثقافة؟ ■

هذه زاوية نفتحها لقراء المنهل ومحبيها.. يسجلون فيها أفكارهم وآراءهم ومقترحاتهم، في الشأن العربي العام، إذ هو همّ الجميع، وهو الوطن الاكبر للجميع.. الجميع يحلم أن يراه فوق الثريا..

في الهم العربي

فضائياتنا غدت بوقا

☐ إذا كانت المرأة العربية (بعضهنّ بطبيعة الحال) قد غدت تجارة تُباع وتُشْتَرى في سوق (الاعلانات) و(الكليب) و(الطرب) و(عروض الازياء).

وإذا كان هذا البلاء قد استشرى كثيرا وأساء كثيرا.. وأفسد كثيرا.. فإن بلاءاً آخر يأتينا من قبل بعض فضائياتنا: فقد جعلوا من المرأة (قضية).. وخلقوا لها (مشكلة) حيث لا مشكلة.

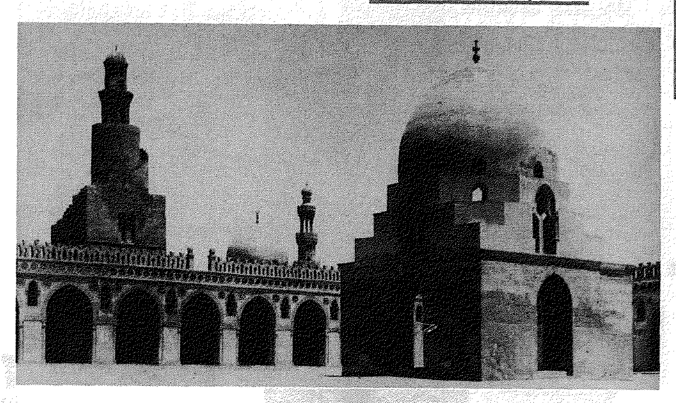
في جلسات الفضائيات: (يتحدثن) .. و(يتحدثون) و(يجادلن) و(يجادلون) عن (حرية المرأة).. (حقوق المرأة).. (إنصاف المرأة).. (تحرير المرأة).. حتى غدت المرأة بوقاً لكل ناعق..

في الغرب: حسب فكرهم وثقافتهم ومعطيات حياتهم، المرأة حياتها مفتوحة على كل الفضاءات، لا تحدها حدود.. ولا يحجزها حاجز.. بحجة (حياتي الشخصية) أما الثقافة الاسلامية، فلها فكرها وثقافتها ومعطيات حياتها.. والنظام العالمي الجديد يعمل على إلغاء كل هذه الاعراف والتقاليد والنظم عند الشعوب، ليسيروا على نظامه وقانونه.

النظام العالمي الجديد، لأجل تحقيق تلك الغايات، أنشأ مراكز ومؤسسات وهيئات على مستوى العالم، وأغدق عليها ملايين الدولارات.. المرأة عندهم، هي مرتكز التغيير.. وهو قانون قديم (إذا أردت تغيير أمة أو شعب فابدأ بالمرأة)!! نعم هكذا.

وفضائياتنا تمسك بالبوق وتظل ناعقة.. ■

أم خالد - البحرين -



مسجد أحمد ابن طولون .. يستعيد رونقه التراثي

□ علي عكس ما يتصوره البعض بطريق الخطأ من أن مسجد عمرو بن العاص، هو أقدم مساجد مصر الأثرية، فإن الثابت أثرياً أن مسجد أحمد بن طولون هو أقدم مساجد مصر الأثرية، إذ لم يبق من مسجد عمرو بن العاص سوي المكان فقط، أما المسجد فقد تعرض لتجديدات أفقدته قيمته الأثرية، بينما حافظ مسجد أحمد بن طولون على معالمه الأثرية الأصلية بصورة مذهلة، وجاء نجاح مشروع ترميم وتطوير القاهرة التاريخية في ترميم المسجد والحفاظ على ملامحه بصورة مذهلة،

ليقدم تجربة جديدة تستحق الدراسة والتأمل، استغرق تنفيذ هذا المشروع خمس سنوات، وهي فترة زمنية تبين مدى جدية القائمين على المشروع على مراعاة الدقة والحذر في تنفيذ خطواته، قبل البدء في أعمال الترميم والحفاظ تم إجراء حفائر كشفت عن المرافق تحت السطحية للأثر فتم الكشف عن ثلاثة صهاريج أولها أسفل سبيل السلطان لاجين الملحق بالمسجد، والأخيرين بالزيادة الشمالية الغربية.

شملت أعمال ترميم الأثر تزرير وحقن الشروخ بالأكتاف والعقود، كما تم استخدام الآجر القديم في استكمال الحوائط المتهالكة وبنفس تركيب المونة القديمة وبتقنيات البناء التقليدية، وذلك بعد تحديد الأجزاء التالفة تماماً وأماكن الترميمات السابقة الضارة بالأثر، كما تم الحفاظ على البياض الأثري المحتوي على ألياف من فرو الأغنام والتبن مع إزالة البياض الأسمنتي المستحدث على الحوائط الداخلية والبياض بمونة مماثلة للأصل بعد معالجة الآجر القديم. كما تم معالجة حوائط النافورة والمئذنة بعد إجراء عمليات التنظيف وحقن الفراغات بين أحجارها.

أهم ما تم في مشروع الترميم عزل كامل مسطح المبنى بطبقة عازلة للرطوبة وعمل الدكات



د. خالد عزب
- القاهـــرة -

اللازمة لحماية الهضبة الصخرية المقام عليها المسجد من تسرب المياه إليها، وتم خلال المشروع تصحيح أعمال الترميم السابقة بالزخارف والشبابيك الجصية والأشرطة الكتابية الضارة بالأثر باستخدام أحدث التقنيات المناسبة، وبأيدي الخبراء المصريين والفرنسيين، مع معالجة الأبواب الخشبية والمعابر الخشبية الخاصة بها.

تعود دقة تنفيذ هذا المشروع إلى إسناد الإشراف عليه للأثري وجدي عباس أبي أحمد الذي اكتسب خبرات عديدة من خلال عمله في العديد من مشروعات الترميم خاصة مع البعثات الأجنبية.

يقول وجدي عباس: هيِّء أحمد بن طولون لكي يكون من خلال هذا المشروع معلماً بارزاً في القاهرة التاريخية ويقول: «إن الوزارة تسعى إلى إظهار القيمة العليا للأثر، من خلال نظرة عصرية تخص المدينة بكل تاريخها المعماري المتباين فكان العمل على وصل شمال القاهرة التاريخية بجنوبها، مع التعامل الحذر مع كل أشكال المتاعب التى أثقلت كاهل القاهرة من تحديات الزمن والإنسان».

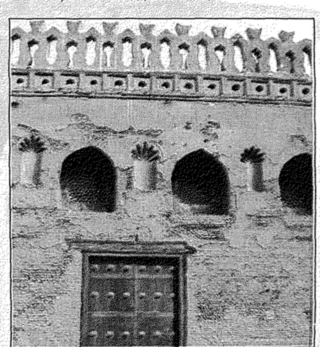
أما زاهي حواس أمين عام المجلس الأعلى

المصرى للآثار فيرى أن مشروع مسجد أحمد بن طولون يجسد فلسفة المجلس التى تهدف ليس فقط للحفاظ على البنايات التراثية لكن أيضاً تهدف لرسم مستقبل مجتمع متفرد بتقاليده وأصالته، ونشر الوعي الثقافي بين طوائفه، والعمل على تحسين ظروف إعاشتهم لينعموا بما ورثوه من قيم فنية وعمرانية.

تاريخ المسجد :

أمر بإنشاء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون الذي يرجع أصله إلى المماليك الأتراك، حيث كان أبوه - طولون - مملوكاً تركياً من منغوليا أهداه عامل بخاري إلى الخليفة المأمون. وظل يعمل في البلاط العباسي حتى بلغ مصاف الأمراء.

ولد أحمد بن طولون ببغداد سنة (٢٢٠هـ/

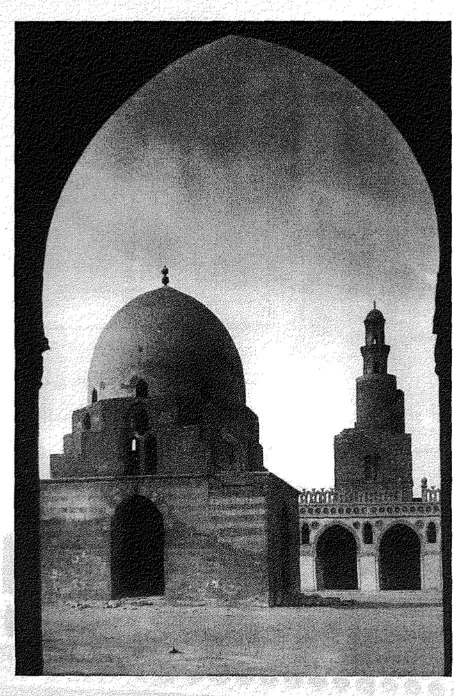


٨٣٥م) ونشأ وترعرع بمدينة سامراء، وكان محباً للعلم كما حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والحديث وأظهر من النجابة والحكمة ما يميزه على أترابه، توفي أبوه وتزوجت أمه من باكباك الذى تقلد إمارة مصر من قبل الخليفة العباسي المعتز، فأناب أحمد بن طولون عنه في ولايتها، تزوج أحمد بن طولون «خاتون ابنة عمه يارجوخ» وولد له منها ابنه البكر «العباس».

قدم أحمد بن طولون إلى مصر عام (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) وكانت ولايته قاصرة على الفسطاط أما الخراج فكان موكولا إلى ابن المدبر واستمر ابن طولون بحسن سياسته يوسع نفوذه حتى شمل سلطانه مصر جميعها وتولى أمر الخراج.

مات باكباك عام (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ، ولحسن طالع ابن طولون تولى حماه «يارجوخ» فأطلق يده في مصر جميعها، وامتد نفوذه إلى الشام وبرقة، واستقل بمصر عن الخلافة العباسية، مكوناً دولة جديدة بزعامته حكمت مصر منذ عام (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م إلى ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) توفي أحمد بن طولون عام (٢٧٠هـ/ ٨٨٤م). وتولى مصر من بعده أولاده، وتعتبر شخصية أحمد بن طولون من الشخصيات الهامة في تاريخ مصر الإسلامية حيث نقلت مصر من ولاية تابعة للخلافة العباسية إلى دولة ذات استقلال ذاتي، حكمها خمس

شخصيات طولونية هم (أحمد ابن طولون، خمارويه، أبو العساكر جيش، أبو موسى هارون ، شيبان) إلى أن أرسل الخليفة العباسي قائده محمد بن سليمان الملقب بالكاتب الذى قبض على شيبان وأنهى حكم الدولة الطولونية.

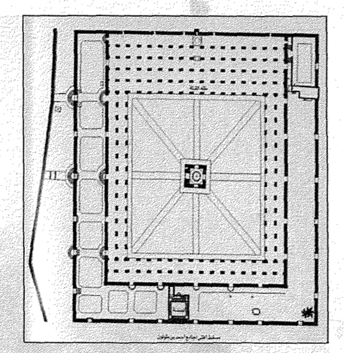


اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد تاريخ بدء بناء المسجد والفراغ منه، فقد ذكر المقريزي أنه ابتدأ في بناء المسجد سنة ٢٦٣هـ وفرغ منه في سنة ٢٦٥هـ، بينما ذكر عبد الله بن عبد الظاهر: أنه ابتدأ في عمارة الجامع سنة ثلاث وستين ومائتين، وانتهى العمل منه سنة ست وستين ومائتين، وبلغت النفقة على بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وذهب آخرون ومنهم أبو المحاسن ابن تغري بردي وابن دقماق إلى أن أحمد بن طولون شرع في بنائه سنة ٢٥٩هـ، بينما خالفهم الكندي فقال ابتدأ في بنائه سنة ٢٦٤هـ وانتهي في سنة ٢٦٦هـ.

والأرجح هو ما أورده المقريزي عن تاريخ الفراغ من البناء لتوافقه مع اللوحة التذكارية «التأسيسية» المثبتة فوق إحدى دعامات رواق القبلة.

الموقع :

عزم أحمد بن طولون على بناء مسجد جامع لمدينة القطائع، فأشار عليه جماعة من الصالحين


مسقط أفقي لجامع أحمد بن طولون

أن يبنيه على جبل يشكر، فقد ذكر القضاعي: أن هذا الجبل ينسب إلى يشكر بن جديلة من لخم ـ قبيلة من قبائل العرب ـ شيدت خطتها «حاراتها» عليه عند الفتح العربي لمصر، فعرف من ثم بجبل يشكر.

وقد وصفه ابن عبد الظاهر: بأنه لم يكن بمصر بقعة أعظم من البقعة التي بني عليها هذا الجامع، حيث قيل إن موسى عليه السلام، ناجى ربه عليه وهي بقعة مشهورة بإجابة الدعاء ـ حسب قولهم ـ ..

وقد ذكر المقريزي أن هذا الجبل كان يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء كما كان يشرف على البركتين ويعني بركة الفيل والبركة التى تعرف ببركة هارون، وعليه كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل إرسالها للثغور.

وقد طلب ابن طولون من المهندس الذي شيد الجامع أن يشيد له مسجداً جامعاً لا تأتي عليه النيران، أو تهدمه مياه الفيضان، فإن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي، فحقق المهندس رغبته فبناه من الآجر الأحمر، ورفعه على دعامات من الآجر أيضاً، ولم يدخل في بنائه أعمدة من الرخام، سوى عمودي القبلة لأن أساطين (أعمدة) الرخام لا صبر لها على النار.

المبنى وتحليله :

يتبع تخطيط جامع بن طولون النظام التقليدي للمساجد المكون من صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلات، أكبرها ظلة القبلة. وإن كان ينفرد عن كافة الجوامع السابقة له بمصر بوجود سور خارجي بنفس ارتفاع حوائط المسجد يليه مساحة سماوية (زيادة) تتقدم المسجد في جهاته الثلاث الشمالية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية.

تبلغ مساحة الجامع مع الزيادات نحو ستة أفدنه ونصف فدان وهي على هيئة مربع طول ضلعه ١٦٢م، وعرض كل زيادة من الزيادات الثلاث ٩م تقريباً، وهي من المسجد تشبه زيادات جامعي سامراء وسوسة، وأسوار هذه الزيادات عالية تتسم بالبساطة وتنتهي بعرائس أو شرافات وفتحت بها أبواب يبلغ عددها ١٩ باباً تقابل أبواب الجامع، ويوجد في بعض الأبواب معابر خشبية

قديمة بها زخارف مورقة. أما عن أسباب إضافة هذه الزيادات للمسجد فهي عدة أسباب منها:

أ - أنها أسلوب هندسي استخدمه المعماري للصعود المتدرج من مستوى شوارع المدينة - القطائع - إلى جبل يشكر حيث شيد المسجد.

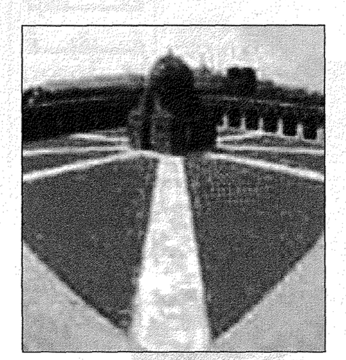
ب - أنها أسلوب معماري الغرض منه التحضير النفسي لدخول الجامع وفصل المصلى عن العالم الخارجي بما فيه من ضوضاء وتوفير السكينة والطمأنينة لأداء المناسك.

جـ - أن هذه الزيادات لاحقة لعصر الإنشاء بناها ابن طولون نتيجة ازدياد عدد المصلين، وهذا التفسير يضعفه وجود مثيلتها بجامعي سامراء وسوسة.

ونلاحظ أمام بعض أبواب الزيادتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية درج سلم حجري، بينما نقل الدرج الخاص ببعض أبواب الزيادات الأخرى إلى مسجد الملكة صفية المؤرخ ١٦١٠م. وبالزيادة الشمالية الغربية للمسجد تقع مئذنة المسجد الملوية التى تدل على عظمة المعماري المسلم وإبداعه في إخراج عناصره المعمارية.

المئذنـــة :

تعد من العناصر المعمارية الهامة والأساسية للمساجد، وقد شيدت مئذنة ابن طولون بالزيادة الشمالية الغربية الى الشرق قليلا من محور المسجد، وتتكون من قاعدة مربعة التخطيط وتعلوها



منطقة متوسطة اسطوانية التخطيط، يجري حولها من الخارج درج سلم صاعد، يوصل إلى المنطقة العلوية التى تتكون من مثمنين: العلوى أصغر من السفلي، وفي قمة المئذنة توجد طاقية مضلعة على شكل مبخرة ويتجلى الأسلوب المعماري المحلي في مصر في شكل الجوسق المثمن الذي تنتهي به المئذنة من أعلاها وقد كان الجوسق والمبخرة التى تعلوه هو الأسلوب السائد في مصر منذ أواخر العصر الأيوبي وطوال الفترة المبكرة من العصر المملوكي، ويبلغ ارتفاع المئذنة عن سطح الأرض (٤٠ر٤٤م)، ويربط المئذنة بحائط المسجد الشمالي الغربي قنطرة على عقدين من نوع حدوة الفرس.

وقد ذكر المقريزي وابن دقماق أن المنارة عليها عشاري، وهي على شكل سفينة من البرونز تملأ بالحبوب كطعام للطيور وقد سقطت سنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م) ■

دراسات قرآنية



حول جواز ترجمة تفسير القرآن الكريم

مقدمة البحث :

☐ *يسعى هذا البحث إلى استنطاق دلالتى الترجمة والتفسير، وبما يكفل الوقوف على إمكان جواز ترجمة تفسير القرآن الكريم من عدمه، وذلك في محاولة الإجابة على السؤال المطروح.*

أولا : الترجمة بين اللغة والاصطلاح :

ارتبط مصطلح الترجمة عموما بمعنيين لغويين :

أ / سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته.

ب / تفسير الكلام، أو شرحه، أو نقله من لغة الى أخرى.

جاء في لسان العرب: «والتَّرْجَمَان

والتُّرْجُمَان: المفسِّر، وقد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان والجمع التراجم»[١].

وجاء في القاموس المحيط: «الترجمان وهو المفسر للسان، وقد ترجمه وترجم عنه، والفعل يدل على أصالة الفاء»[٢]، وجاء في المعجم الوسيط: «ترجم الكلام، بينه ووضعه، وترجم كلام غيره وعنه، نقله من لغة إلى أخرى. وترجم لفلان، ذكر ترجمته، والترجمان وجمعه تراجم، وتراجمه، وترجمة فلان: سيرته وحياته، وجمعها تراجم»[٣]، وورد في الصحاح: ويقال: «قد ترجم كلامه، إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع التراجم. ويقال: ترجمان ولك أن تضم التاء لضمة الجيم، فتقول تُرجمان»[٤].

والجدير بالذكر أن ابن النديم (ت ٤٣٨هـ) لم يستخدم كلمة الترجمة للدلالة على نقل الكلام من لغة إلى أخرى، فابن المقفع (ت ١٤٢هـ) عنده «أحد النقلة من الفارسي إلى العربي»[٥].

أما بخصوص البنية الصرفية للفعل (ترجم) فيرى بعض دارسي اللغات الشرقية أن أصلها (رجم) الوارد في العربية والآرامية والأوغاريتية وغيرها وأن التاء الزائدة وسبب زيادتها يحتاج إلى بحث لغوي في تاريخ الكلمة[٦]، وعلى عكس ما أورده صاحب القاموس المحيط من أن الفعل يدل على أصالة التاء.

ويؤكد هؤلاء الدارسون ندرة وجود لفظي (ترجم) و(ترجمة) المتعارف عليهما حديثا في النصوص العربية القديمة. ولعل ما دعاهم إلى مثل هذا الحكم، هو أن المعاجم العربية لا تقدم تأريخا عاما، أو مفصلا لتطور معاني تلك الكلمات، ودلالاته على غرار بعض المعاجم الأجنبية[٧]،

د. عبدالقادر سلامي

قسم اللغة العربية- جامعة تلمسان
- الجـزائر -

يضاف إلى ذلك أن كلمة (ترجمة) في اللغات الشرقية القديمة الموجودة بالمنطقة العربية (كالسريانية والآرامية والعبرية) والحبشة تعني: (تفسير الكلام)[٨].

ومهما يكن من أمر، فإن ما ذهب إليه هؤلاء الباحثون من أن وجود كلمة (ترجمة) بالمعنى المتعارف عليه حديثا، هو النقل من لغة إلى أخرى نادر في النصوص العربية القديمة، لا يستند إلى دليل علمي، فالمصطلح أصيل في العربية وما يدل على أصالته أن العرب استعاروه لقبا للأفراد.

فالترجمان على أيام الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ) ابن هُرَيْم أبي طخمة[٩].

كما كان المصطلح عنوانا لبعض مؤلفاتهم، فابن النديم يذكر لأبي عبد الله المَفَجَّع البصري (ت ٣٢٠هـ) كتابا عنوانه (الترجمان في معاني الشعر)[١٠]، وهو من الكتب المفقودة.

كما وردت كلمة (الترجمان) في الشعر العربي القديم مرّات عديدة.

قال الراجز نقادة الأسدي:[١١]

فهنَّ يُلْغطْنَ به إلغاطا
كالتُّرْجُمَان لقي الأنْباطَا

وقال عوف بن معلم الخزاعي:[١٢]

إنّ الثمانين وبُلِّغتها
قد أحوجتْ سمعي إلى ترجُمان

كما وردت كلمة (المترجم) في قول المتنبي:[١٣]

إذْكــارُ مـــثلك تركُ إذْكــاري له
إذْ لا تُريدُ لما أريدُ مُـتــرْجـمَــا

فـأذكرته بمنزلة ذكرته والمترجم المعبّر عن الشيء المترجم مثل التُّرجمان[١٤].

وبعد هذا فليس لنا إلا أن نقر بأصالة الفعل (ترجم)، وبالأسماء والصفات (ترجمان) و(مترجم) و(ترجمة) في اللغة العربية أصالتها في اللغات السامية، مبرزين مدى التقارب الحاصل بين معانيها، وعنايتها بنقل الكلام من لغة إلى أخرى، على اعتبار أنها مثّلت فعلا حضارياً أصيلا في التراث العربي القديم، وما ندرة دوران الكلمة في لغة العرب، كما يدعي بعض المستشرقين لا يقوم دليلا على أن العرب مارسوا الظاهرة لمسميات ابتدعوها، الأمر الذي لا يعدم الترجمة على تأخرها كمصطلح في شيء.

ثانيا: معاني الترجمة في حاضر اللغة :

يتفق المنظرون والكتاب المترجمون على أن الترجمة هي: «نقل من لغة إلى أخرى» وللترجمة بهذا المعنى معنيان آخران مختلفان[١٥]:

أ / (الترجمة نتيجة لعملية محددة)، وتطلق في هذه الحالة على النص المترجم. فإذا قلنا مثلا: «هذه ترجمة ممتازة لرباعيات الخيام»، فإننا نعني بالترجمة هذا النص المترجم.

ب / (أي الترجمة باعتبارها العملية بالذات)، فإنها العمل الذي يظهر بنتيجته نص الترجمة بالمعنى الأول.

والجدير بالذكر أن المنظرين والكتاب المترجمين غالبا ما يستعملون (الترجمة) بالمعنى الثاني.

على أن النقل من لغة إلى أخرى هو في حقيقة الأمر نقل نص من لغة إلى نص في لغة أخرى، مما يستدعي وجود نصين: نص الأصل أو (الأصل) ونص الترجمة أو (الترجمة) بمعنى النص المترجم، إن اللغة التى يكتب بها نص الأصل، تسمى «لغة الأصل» واللغة التى ينقل إليها نص الأصل تسمى «لغة الترجمة»، وليس أي نقل لنص في لغة إلى نص في لغة أخرى هو الترجمة، إذ أن للنقل قواعد محددة لابد من أن نراعيها، وإلا فقدنا الحق في تسمية النص المترجم ترجمة. ولكنّا نمتلك الحق في أن نسميها كذلك، وفقا للمعنى الأول للكلمة، إذ ينبغي أن نحافظ في أثناء النقل عن ثابت محدد.

ولكن ما الذي يبقى ثابتا في أثناء النقل من لغة إلى أخرى ؟.

ترتبط الترجمة مباشرة بما يسمى في علم الرموز بطابع الرمز الثنائي، وله جانبان: جانب التعبير أو الشكل وجانب المضمون أو المعنى. واللغة كما هو معلوم، منظومة من الرموز الخاصة ولذلك فإن وحدات اللغة تتصف كذلك بوجود جانبين: جانب الشكل وجانب المضمون.

ومن الواضح أن اللغات المختلفة تتضمن وحدات مختلفة في جانب التعبير، أي من حيث الشكل، إلا أنها متطابقة في جانب المضمون، أي من حيث المعنى، وبهذا تعرّف الترجمة بأنها: «عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى، مع المحافظة على جانب المضمون الثابت، أي على المعنى»[١٦]، أو بتعبير آخر: إنها «إعادة إنشاء نص أو قول ما بوسائل لغة أخرى»[١٧].

وتبقى المحافظة على جانب المضمون الثابت أمراً نسبياً؛ لأن تطابق نص الترجمة مع النص الأصلي لا يمكن - أحيانا - أن يكون تاما. وعلى هذا فمهمة المترجم تتلخص في جعل هذا التطابق كاملا قدر الإمكان[١٨]. كما أن المحافظة على جانب المضمون الثابت، أي على المعنى، تفترض وجود وحدات متطابقة من حيث المعنى.

ولما كان المعنى جزءاً لا يتجزأ من الوحدة اللغوية، أفلا يعني هذا أن لكل لغة معانيها الخاصة بها؟ وأن تحويل نص في لغة إلى نص في لغة أخرى، لا يستدعي تغيير الأشكال اللغوية فحسب، بل والمعاني المعبّرة عنها ولو نسبياً. فعلى أي أساس ينبغي أن يبقى المعنى ثابتاً أثناء عملية الترجمة؟.

إن المترجم لا يتعامل مع اللغات على أنها منظومات، وإنما يتعامل مع الإنتاج الكلامي، أي عن النص فالتطابق المطلوب بالنسبة للترجمة ليس تطابق الكلمات المنفردة أو الجمل المستقلة، وإنما هو تطابق النص المترجم (الإنتاج الكلامي) بالنسبة إلى نص الترجمة كلّه. كما أن الاختلافات الدلالية بين لغتين لا يمكن أن تحول دون الترجمة نظراً إلى أن المترجم لا يتعامل مع اللغتين على أنهما منظومتان مجردتان، وإنما مع إنتاجين كلامين ملموسين، أي مع نصين ويتحقق في نطاق هذين الإنتاجين الكلاميين تعاون الوسائل اللغوية والصيغ الصرفية النحوية التى تنقل بالمجموعات الدلالية اللازمة للمحافظة على جانب المضمون[١٩].

ثالثا : التفسير بين اللغة والاصطلاح :

ارتبط مصطلح التفسير في المعاجم العربية بمعان منها: البيان، والتأويل، والتوضيح، والشرح. فالفسرُ في الصّحاح واللسان هو البيان، وفسرْتُ الشيء أفسره فسْراً وفسَّره: أبَنْتُهُ، والتفسير مثله. واستفسرته كذا، أي: سألته أن يفسِّر لي، وكلّ شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرتُه[٢٠].

وقد ارتبط هذا اللفظ بلفظ آخر، وهو التأويل، وهو في معناه. فقد جاء في اللسان: وأوَّل الكلام وتأوَّله: دبّره وقدّره وأوَّله: فسَّره.. وسئل أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) عن التأويل، فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد[٢١]، ويرى ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) أن التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقوله عز وجل: {وأحسن تفسيراً}[٢٢]، الفسر: كشف المغطى والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[٢٣].

أما الشرح، فقد ارتبط بمعان، منها: الكشف والتوضيح والبيان، والفتح والتفسير والحفظ. فقد ذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) أن الشرح هو الكشف، يقال: شرح فلان أمره، أي: أوضحه، وشرح مسألة مشكلة: بينها، وشرح الشيء يشرحه شرحا: فتحه وبيّنه وكشفه. وكل ما فتح من الجواهر، فقد شرح أيضا، تقول: شرحت الغامض: إذا فسّرته[٢٤]. ثم ذكر ما قال ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) في هذه المادة نفسها والشرح: الحفظ، والشرح: الفتح، والشرح البيان، والشرح: الفهم[٢٤].

والحق أن أغلب المعاني وتلك معان مشتركة، وإن كانت في الوقت نفسه تتفرد بالدلالات خاصة تميزها عن المعاني الأخرى، إلا أن الشرح ارتبط كثيرا بالتفسير، ولعل هذه المفردة هي التي تؤدي

المعنى على أحسن وجه، فالمعاني الأخرى تحوي معنى الشرح ولكنها لا تشمله. فقد جاء في المعجم الوسيط: «شرح الكلام: أوضحه وفسّره»[٢٥] وسبب هذا الارتباط الوثيق بين الشرح والتفسير، وجدنا من يسمي شرحه بالفَسْر، مثل ما فعل ابن جني (ت ٣٩٢هـ) عندما عنون شرحه المتنبي «بالفَسْر».

وبعد هذا الذي أوردناه، ألا يوجد فرق بين هذين المصطلحين: «شرح» و«تفسير»؟ فالجواب يكون بالإيجاب. فالتفسير: «بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا[٢٦]»، وأما الشرح فإنه «يجمع بين بيان وضع اللفظ وبين تفسير باطن اللفظ، أي «التفسير والتأويل[٢٦] وبذلك خرجت دلالات هذه الألفاظ من معنى المشترك حين دخلت مجال الدراسة العلمية، فاختص التأويل والتفسير بالدراسة القرآنية[٢٧] والمعجمية، والشرح بالشعر، إلا فيما ندر، وأصبح لكل منها اصطلاح خاص به. فالشرح هو التعليق على مصنف درس من وجهة علوم مختلفة وقد كتبت الشروح على معظم الرسائل المشهورة أو الأشعار العربية نحو شرح مقامات الحريرى (ت ٥١٦هـ) (فقه اللغة)[٢٨]، وشرح مشكل شعر المتنبي. وعلى هذا فالشرح أيضا: «توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة»[٢٩]، ومن هنا اكتسب الشرح معناه الخاص. وأما التفسير، فهو شرح، لكنه من نوع آخر، فهو «شرح لغوي أو مذهبي لنص من النصوص»[٢٩]، ومن هنا نجد أن هذا الاختصاص لم يأت اعتباطا، فلكل مصطلح مجاله الذي يتقاطع فيه مع المجال الثاني، لكنه لا يتحد معه رغم اتحادهما في الأصل اللغوي.

ومما سبق، نخلص إلي القول: إن الشرح لفظ عام، وهو مصطلح ذو شقّين: التفسير والتأويل، وقد يتداخل الشِّقاَّن أثناء عملية الشرح، وقد نضطر الى التعامل مع التفسير على أنه مرادف للشرح.

رابعا : ترجمة تفسير القرآن في الميزان:

يكاد يجمع المسلمون على جواز ترجمة تفسير القرآن الكريم لأنها بمنزلة ولا تختلف عنه إلا أنها لغة أخرى فليس فيها دعوى المحافظة على نظم الأصل وترتيبه ولا دعوى شمول جميع معانيه ومحاكاة بلاغته وأساليبه، فكل هذا خارج عن طاقة البشر[٣٠].

والترجمة هنا لا تتناول في الحقيقة إلا رأي المفسر وفهمه لمراد الله سبحانه وتعالى على قدر طاقته، خطأ كان فهمه أو صوابا، ولم تتناول كل مراد الله من كلامه قطعا، فكأن هذا المفسر وضع أولا تفسيراً عربياً ثم ترجم هذا التفسير الذي وضعه[٣١].

وإنّ ترجمة القرآن الكريم من ناحية الدلالات الأصلية ما هو في الحقيقة إلا ترجمة لتفسيره.

وهذا ما أورده الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في موافقاته حين قال: «وقد نفي ابن قتيبة إمكان الترجمة في القرآن يعني على هذا الوجه الثاني (ترجمة الدلالات التابعة)، فأما على الوجه الأول فهو ممكن ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائز باتفاق أهل الإسلام، فصار الاتفاق حجة الترجمة على المعنى الأصلى»[٣٢].

والذي يدقّق النظر في هذا القـــول، لا يرى ترجمة تجوز في القرآن سوى ترجمة تفسيره، وهذا مالا يخالف فيه أحد من العلماء لأن شبهه بالتفسير أنه قد شمل جميع المعاني المرادة لله من كلامه بخلاف الترجمة الحرفية أو المعنوية، فإنها في الإصطلاح متضمنة لهذه الدعوى[٣٣]. وهو مضمون ما ذهب إليه الزركشي (ت ٧٩٢هـ) حين قال: «لا يجوز ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها، بل يجب قراءته على الهيئة التى يتعلق بها الإعجاز لتقصير الترجمة عنه، ولتقصير غيره من الألسن عن البيان الذي خص به دون سائر الألسن، قال : {بلسان عربي مبين}[٣٤]، هذا لو لم يكن متحدى بنظمه وأسلوبه، وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي المتحدى بنظمه فأحرى ألا تجوز الترجمة بلسان غيره، ومن هنا قال القفال في فتاويه: «عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية، فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله»[٣٥].

وقد عالجت مشيخة الأزهر هذا الموضوع منذ سنة ١٩٢٩م في اجتماعات عديدة باشراف الشيخ مصطفى المراغي، وقد صارت بيانا فيما بعد جاء أنها: قد أنشأت لجنة تعمل على تفسير بعض آيات القرآن الكريم نقلا عن الألوسي والبيضاوي وغيرهما من مشاهير أصحاب التفسير، للقيام بترجمتها على يد أخصائيين في اللغات، وقد اشترطت هذه اللجنة شروطا أخرى في ترجمة هذا التفسير إلى اللغة الأجنبية[٣٦].

وتجدر هنا الإشارة إلى حماسة الشيخ المراغي الشديدة في الدفاع عن ترجمة القرآن الكريم، في أحد أقواله، ولعل هذا الإضطراب في الرأي، وعدم استقامة الحجة لديه، هو الذي دعا الشيخ إلى العدول عن رأيه في إمكان ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية أو معنوية واستقرار رأيه على جواز ترجمة التفسير فقط. وفي هذا يقول عبد الجليل عبد الرحيم: «والواقع أن كل ما ذكره من أدلة لن تدل أكثر من هذا الذى استقر رأي الشيخ عليه. وإذا كان هو أكبر من دافع عن ترجمة القرآن الكريم وأجرأ من صرَّح بها ودعا إليها، قد رجع عنه وبان له ضعفه، فلا يصح الإعتداد ، بما كتبه في رسالته أو ما كتبه أنصاره في تأييد دعوته، فعلم أن الأمر في منع الترجمة الحرفية أو المعنوية هو مازال على ما أجمع عليه المسلمون من حين نزول القرآن إلى يومنا هذا، وإن ترجمة تفسير القرآن، التى لم يمنعها أحد من العلماء تكفي في تبليغ معانيه إلى من يتعذر عليهم تعلم اللغة العربية»[٣٧].

وقد انبرى لفكرة ترجمة تفسير القرآن محمد فريد وجدي الذي نادى بوجوب ترجمة القران الكريم ترجمة دقيقة صحيحة كاملة لمجابهة المحرفين، على اعتبار أن الاكتفاء بترجمة تفسيره لا يؤدي الغرض المطلوب من نشره، ونعى وجدي على بعض العلماء إصرارهم على حبس الإسلام في الدوائر العربية، التي لا يحسن فهمها غير أهلها وتجريده من الأسلحة العالمية وهي اللغات الحية، فوضع القيود غير المعقولة في مسألة نقل القرآن الكريم يقضي عليه بهزيمة منكرة، تقع نتائجها علينا وعلى أعقابنا قرونا طويلة وهذا معناه صده عن الجولان في الدورة الفكرية العالمية مع غيره من الأديان السابقة، وإن تعطيل القرآن

الكريم عن الترجمة الحرفية والزج به في معترك الأفهام إلى اليوم، قضى عليه بألا يكسب أنصارا من الأمم الغربية، فصار مقصورا على الأمم الشرقية التي رضيت أن يكون حظها من دينها كحظ الببغاء[٣٨].

ويقول أحمد حميد الله في شأن ترجمة القرآن الكريم: «ومع أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فإنه يحتاج إلى التفاسير، وهذا لبلاغته وعمق معانيه، وبما أن القرآن نزله الله للناس بشيرا ونذيرا، فإن الله سبحانه يهدي به إلى الإسلام كثيرا من غير العرب، وهؤلاء والحمد لله يزداد عددهم كل يوم، وهم يحتاجون قبل إسلامهم وفي بداية إسلامهم إلى أن يقرؤوا القرآن الكريم مترجما إلى لغاتهم، أما ترجمة معاني القرآن أو تلخيصها، فعل لا معنى له ولا فائدة»[٣٩].

وفي حوار جرى بين مندوب صحيفة الأهرام وفضيلة شيخ الأزهر في الأربعينيات بخصوص ترجمة القرآن الكريم بعد أن وجه المندوب هذا السؤال: هل يمكننا - يامولانا - أن نأخذ من فضيلتكم ما يفيد أن ترجمة القرآن في مثل هذا العصر، عصر العلم والمادة، ضرورية أداة للتعبير عما يزخر به الإسلام من مدنية وحضارة، وعلم ونور؟.

فردّ عليه شيخ الأزهر بأن: «يجب أن يراعى أن هاهنا شيئين: ترجمة القرآن، وذكر معانيه وتفسيره، فأما الترجمة فهي غير ممكنة وغير جائزة، وأما معاني القرآن الكريم وتفسيره بلغات غير اللغة العربية، فهذا من الأمور المرغوب فيها شرعا، لنشر الإسلام بين الأمم وإني أرى الثاني فيه الكفاية في هذا العصر، وغيره من العصور؛ لأنه إذا كان هذا العصر هو عصر العلم، فالعلم نفسه بين أن هذه الترجمة غير ممكنة، ولا يمكن اتخاذ شيء من أحوال العصر مسوغا لإجازة ما لا يجوز وإمكان ما لا يمكن»(ثم سأل المندوب الشيخ مرة أخرى بخصوص دعوة العلماء المسلمين الذين يحسنون أداء بعض اللغات الأجنبية للقيام بوضع ترجمة للقرآن الكريم أو لتفسيره تحت إشراف مشيخة الأزهر، فرد عليه شيخ الأزهر بما يلي: «أما الترجمة فلا، ولا أقرها مطلقا، لما سبق وأن ذكرته لكم، أما بيان معاني القرآن أو تفسيره، فإني أرحب بهذا العمل كل الترحيب، وأرجو أن أوفق في ذلك إلى شيء نافع»[٤٠].

وننبه في هذا المقام أن الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، بضرورة اطلاع الأمم المختلفة على حقائق القرآن الكريم وأحكامه ومحتوياته، هي دعوة بدأت تجادل عن نفسها، وتلح منذ أوائل عهد الاحتلال البريطاني لمصر بدعوى حاجة العالم الإصلاحية إلى ذلك[٤١].

وفي هذا نقول: إذا كان القصد من ترجمة القرآن الكريم ، الاطلاع على حقيقته وعظمته، فإن القرآن الكريم هو اللفظ المنزل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، واللفظ الأعجمي ليس الذي أنزل فهو ليس بالقرآن البتة، وأما عظمته وروعته، فإن شيئا من ذلك لا يبقى أو يظهر عند تقديمه مترجما على الناس، بل يظهر منه عند ذلك معان مشوهة غير مفهومة.

وإن كان المقصود من ذلك، أن تطلع الأمم المختلفة على ما تضمنه القرآن الكريم من مبادىء

وشرعة وأحكام، فإن ذلك يمكن أن يتم بأجلى مظهر ومن أيسر طريق، إذا ما فسر القرآن الكريم تفسيرا واضحا باللغة المطلوبة، فالتفسير هو الذي يفي بهذا الغرض لا الترجمة المزعومة ■

الهوامش :

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٢٢٩/١٢، مادة (رجم).

(٢) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٨٤/٤ ، مادة (ترجم).

(٣) ابراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ٨٣/٢ ، مادة (رجم).

(٤) الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٩٢٨/٥، مادة (رجم).

(٥) المصدر السابق ص ٥٢٣.

(٦) فؤاد عبد المطلب: الترجمة بين الأصالة والدلالة، ص ١٣.

(٧) *Harrap s, Petit dictionnaire, Anglais-Francais/ Francais-Anglais, 1998,P 354-355.*

(٨) فؤاد عبد المطلب : الترجمة بين الأصالة والدلالة، ص ١٣.

(٩) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٨٤/٤ مادة (رجم).

(١٠) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(١١) ابن منظور : لسان العرب، ٢٣٠/١٢، مادة (رجم).

(١٢) القالي : الأمالي في لغة العرب، ٥١/١.

(١٣) المتنبي : الديوان، ص ٢١.

(١٤) أسعد مظفر الدين حكيم: علم الترجمة النظري، ص ٣٨.

(١٦) المرجع السابق، ٤٠.

(١٧) عبد الوهاب مدور : فن الترجمة ص١٩.

(١٨) علم الترجمة النظري ، ص ٤٠.

(١٩) المرجع السابق ص ٤١.

(٢٠) الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٧٨١/٢، مادة (فسر) وابن منظور: لسان العرب ٥٥/٥، مادة (فسر).

(٢١) المصدر السابق، ٣٣/١١، مادة (أول).

(٢٢) الآية ٣٣ من سورة الفرقان.

(٢٣) ابن منظور: لسان العرب، ٥٥/٥، مادة (فسر).

(٢٤) المصدر السابق ٤٩٧/٢ ـ ٤٩٨، مادة (شرح).

(٢٥) ابراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط، ٤٧٧/١، مادة (شرح).

(٢٦) وناس بن مصباح : ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٤١، ١٩٨٦، ص ٣٦.

(٢٧) أمين الخولي : التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم، ص ٦٨.

(٢٨) دائرة المعارف الإسلامية، ١٨٨/١٣.

(٢٩) يوسف خياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص ٣٥١، ٥٠١.

(٢٩) المرجع السابق ص ٣٥١، ٥٠١.

(٣٠) عبد الجليل عبد الرحيم : لغة القرآن الكريم، ص ٥٣٦.

(٣١) عبد العظيم الزرقاوي : مناهل العرفان في علوم القرآن، ص ٣١.

(٣٢) الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة، ص ٦٨ وينظر: ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص ٨٨.

(٣٣) عبد الجليل عبد الرحيم : لغة القرآن الكريم ص ٥٧٠.

(٣٤) الآية ١٩٥ من سورة الشعراء.

(٣٥) الزركشي، البحر المحيط، ص ١٩٥.

(٣٦) محمد الصالح البنداق : المستشرقون وترجمة القرآن، ص ٧٣.

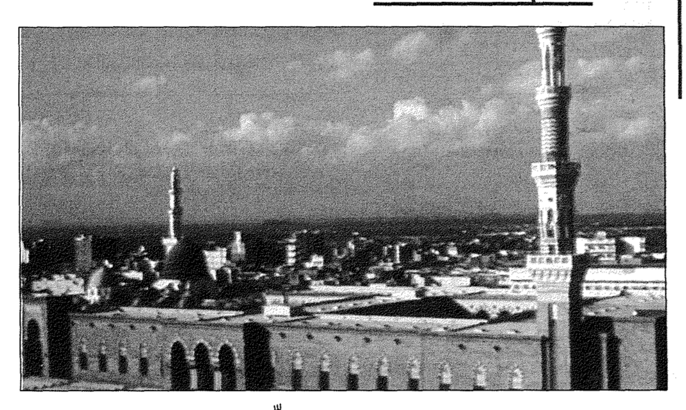
(٣٧) عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم ص ٥٧٩.

(٣٨) محمد الصالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ٧٤.

(٣٩) المرجع السابق ص ٧١.

(٤٠) محمد الصالح الصديق: البيان في علوم القرآن ص ٣٠١.

(٤١) المرجع السابق ص ٣٠٢.

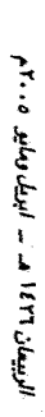


كتابة السنة النبوية وتدوينها وردّ الشبهات المثارة عنها

السنة في عصر الصحابة والتابعين :

□ انتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الأعلى ولم يترك وصية لمن يتولى الخلافة من بعده مكتفيا بتعاليمه الشريفة التى تضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة، وقد أكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ (سورة المائدة آية/٣) وقد تمثلت سعادتهم في الأصلين الكريمين: الكتاب والسنة، فحرصوا على حفظهما وحراستهما. ولا خوف على التراث النبوى في ظل الحياة المستقرة الآمنة مادام بعيدا عن أعداء الدعوة وأهل الأهواء، أما حين تضطرب الحياة وتظهر العداوة والبغضاء والفتن والاهواء فحينئذ يخشى على التراث النبوى أن تمتد اليه أيدى من مردوا على البغى والعدوان.

وقد كان أول اهتزاز يخشى منه اضطراب الدولة الاسلامية ويشب بين المسلمين الخلاف من جرائه هو مسألة الخلافة بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فقد اختلف المهاجرون والأنصار فيمن يكون خليفة، واجتمعوا في السقيفة وبعد محاورة بينهم





أ.د. احمد عمر هاشم

عضو مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة

ومناقشة تداركهم الله بفضل منه، فانحسم الأمر وتمت البيعة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه، وكان على الصديق أن يباشر مهام خلافته، وكانت أولى مسئولياته الضخمة التى واجهته تلك الحركة المتمردة العنيفة التى تمثلت في المرتدين ومانعى الزكاة، وهي حركة لو قوبلت بلين وهوادة لهددت الدعوة وكانت خطرا جسيما على المسلمين لذا نشط الصديق في مقاومتها من أول يوم وتأهب للقتال وأعد عدته، ونازلهم حتى أصاخوا لحكم ربهم واستجابوا لأبى بكر رضوان الله تعالى عليه فدخلوا الاسلام وأدوا الزكاة فانتظم أمر الدعوة واستقرت الأمور وعادت الحياة آمنة، وصفا الجو العلمى للصحابة فاستكمل صغارهم علومهم ومعارفم كما أرادوا، ونهل التابعون من علوم الصحابة التى حملتها إليهم صدورهم الأمينة وحوافظهم القوية وبعض صحائفهم العزيزة التى كانت تشكل روافد صافية الى منابع السنة الشريفة.

وهكذا سارت الحياة رخاء طيبة، في عهد الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى كانت الخلافات التى بدأت تبرق شرارتها حين أخذ الناس على سيدنا عثمان رضي الله عنه بعض الأمور، ومن ذلك الوقت تسربت الفتنة بين الناس وتولى كبرها عبد الله بن سبأ اليهودى، حتى انتهت بمقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه، ومن هنا بدأت تتسعر نار الفتنة التى أطاحت بكثير من الصحابة.

ووسط هذا الجو الخانق تولى الامام علي رضى الله عنه الخلافة فكان أول صدام واجهه على أثر مطالبة معاوية بدم عثمان - تلك المعارك التى أصابت سير الحياة بهزات عنيفة وفرقت المسلمين، (وانتهت بمعركة صفين التى كان على أثرها تفرق أصحاب عليٍّ إلى خوارج وشيعة)[١].

أما الشيعة فهم الذين يرون أن الخلافة يجب أنْ تكون في بيت النبى وقد قرروا أنها حقّ لعلى بن أبي طالب ثم لأولاده بالوراثة من بعده.

وأما الخوارج فهم من أشياع على بن أبى طالب الذين خرجوا عليه بعد التحكيم ثم صاروا حربا عليه وعلى جماعة المسلمين من بعده، وقد قضى عليهم المهلب بن أبى صفرة في عهد الدولة الأموية. ووسط هذا الانقسام، وبين تلك الثورات العارمة والمعارك الدامية لابد أن يجد الأعداء وأصحاب الأهواء الطريق ممهدة لهم، فاستغل اليهود والفرس وأعداء الدعوة تلك الفرصة السانحة ليكيدوا للاسلام ويناهضوا ببغيهم وعدوانهم التراث النبوى ليدسوا ويضعوا، فماذا ترى يفعل الصحابة؟!

منهج الصحابة في الرواية :

لم يكن هناك مجال للخلاف في عهد النبي {صلى الله عليه وسلم}، ولا خوف على السنة الشريفة، لأن الصحابة كانوا اذا ظهر بينهم خلاف في مسألة من المسائل يرجعون الى النبي {صلى الله عليه وسلم}، واذا عنَّ لهم أمر يسألونه فيه. فلما انتقل الرسول {صلى الله عليه وسلم}، الى الرفيق الأعلى خيف العبث بالسنة، خصوصا والحديث لم يدون بعد في كتاب، والاسلام تتسع رقعته يوما بعد يوم ويدخل فيه الكثير وفيهم من لا يؤمن جانبهم على الدين من المنافقين ونحوهم؛ لذا كان من الضرورى أن يتثبت الصحابة في سنة نبيهم الذى وضع لهم الاساس الأول في قاعدة التثبت فبنوا عليها منهجهم في الرواية وذلك بما بينه لهم عليه الصلاة والسلام من خطر الكذب عليه حين قال (من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[٢] وقال «من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[٣].

وكان أول من وضع قوانين الرواية فيهم أبو

بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه وتبعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسائر الصحابة.. ويتلخص منهجهم في أنهم أقلوا من رواية الحديث كراهية أن يشتغل الناس برواية الحديث وينصرفوا عن تلاوة القرآن، وخشية الوقوع في الخطأ أو تسرب التحريف الى السنة، والاقلال من الرواية كان سيرا سليما على ما رسمه لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»[٤]. كما سار الصحابة على طريق التثبت من الراوى والمروى فما اطمأنوا اليه قبلوه وما لم يطمئنوا اليه طلبوا عليه شاهدا، وما لم تقم البينة على صدقه ردوه وكان تثبتهم قائما على ميزان النقد العلمى الصحيح. ومنع الصحابة الرواة من أن يحدثوا بما يعلو على فهم العامة.. لأن في هذا مدعاة الى تكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه ومدعاة للخطأ والارتياب في الدين فامتنعوا عن ذلك خشية أن يستغل أصحاب الأهواء ظاهر النصوص لصالح بدعهم وأهوائهم.

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٥].

ومن أمثلة التثبت عند الصحابة ما رواه البخارى عن أبي سعيد الخدري قال: «كنت في مجلس من مجالس الأنصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال: ما منعك؟ فقلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، «اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع» فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي {صلى الله عليه وسلم}؟، فقال أُبَيّ بن كعب: والله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم وقمت معه فأخبرت عمر أن النبي {صلى الله عليه وسلم}، قال ذلك فقال عمر لأبى موسى أما أنى لم اتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}،[٦].

وقد سار على سنة التثبت التابعون ومن جاء بعدهم وعنوا بالاسانيد والنقد العلمى الدقيق. ولما كان الصحابة متفاوتين في العلم فلم يكن عند الجميع ما قاله الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فقد بدأت الرحلات العلمية فقام الصحابة والتابعون بالرحلات الى كثير من البلاد حتى كان يتميز البعض بكثرة الرحلات والانتقال الى أكثر من بلد، وكانت الرحلة سبيلا الى طلب الحديث والتثبت منه.

كما كانت أيضا تدعيما لوحدة المسلمين وتعرفا على الجو العلمى في شتى الاقطار الاسلامية، ومعرفة وإلماما بطرق الحديث الكثيرة.

تدوين السنة :

قام أعداء الاسلام يعملون في ظلام الفرقة التى دبت بين المسلمين على أثر قتل الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضى الله عنه - حين افترق المسلمون فرقا وأحزابا ما بين شيعة وخوارج وجمهور، وساعدهم على ذلك اتساع البلاد، فوجدوا المناخ ملائما لبث سمومهم ودس أكاذيبهم، وبعد أن انقضى عهد الخلافة الراشدة وافترق المسلمون الى فرق، ظهر أرباب الكذب والنفاق من الملل الأخرى يكذبون ويلفقون ويضعون الاحاديث، فكان ظهور الوضع في الحديث أهم الأسباب التى حفزت همم العلماء لتدوينه وتصنيفه صيانة له من الايدى العابثة، يقول الامام الزهرى: «لولا أحاديث تأتينا من المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ولا أذنت في كتابه»[٧].

ظهور الوضع والوضاعين كان من الأسباب الدافعة لتدوين الحديث

ولم يكن ذلك الوقت الذى ازداد فيه

> **كتابة الحديث بدأت بصورة فردية منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)**

نشاط العلماء في الجمع والتدوين هو مبدأ زمن التدوين وإنما بدأت كتابة الحديث منذ عهد النبي [صلى الله عليه وسلم]، بصورة خاصة وغير رسمية فالسنة النبوية لم تبق مهملة طيلة القرن الأول الى عهد عمر بن عبد العزيز، وانما كانت تكتب كتابة فردية في عهد الرسول [صلى الله عليه وسلم]، والصحابة والتابعين، وحفظت في الكراريس والصحف بجانب حفظها في الصدور، حيث كانت توجد بعض الصحائف التى شاركت الصدور في حفظ السنة ومن بين هذه الصحائف صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التى تسمى بالصادقة، لأنه كتبها عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، مباشرة، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد: «هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وليس بيني وبينه أحد»[٨].

وهي تشتمل على ألف حديث[٩]، وكان لسعد بن عبادة الانصارى صحيفة، ولسمرة بن جندب صحيفة، والصحيفة التى دونت فيها حقوق المهاجرين والانصار واليهود وعرب المدينة.

وكان لجابر بن عبد الله الانصارى صحيفة ولأنس بن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس ولهمام بن منبه صحيفة تسمى الصحيفة الصحيحة رواها عن أبى هريرة وكان ابن عباس معروفا يطلب العلم وبعد وفاة النبي [صلى الله عليه وسلم]، كان يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكانت تلك الصحف والمجاميع تحتوى على العدد الأكبر من الأحاديث التى دونت في القرن الثالث.

يقول الاستاذ ابو الحسن الندوى في كتابه «رجال الفكر والدعوة»: «واذا اجتمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الاحاديث التى جمعت في الجوامع والمساند والسنن في القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب في عهد الرسول [صلى الله عليه وسلم]، وفي عصر الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع في الناس حتى المثقفين والمؤلفين ان الحديث لم يكتب ولم يسجل الا في القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون في القرن الثاني وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين:

الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدونى الحديث في القرن الثاني ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت في القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة.

الثانية : أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور أن يكون قد جاء في هذه المجاميع الصغيرة التى كتبت من القرن الأول «أ.هـ»[١٠].

ويقول العلامة مناظر أحسن الكيلانى متفقا مع الندوى في كتابه (تدوين الحديث) «وقد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الاحاديث المروية فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث، وكذلك يقال عن أبى زرعة، ويروى عن الامام البخاري أنه كان يحفظ مائتي ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة، ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابي من ثلاثمائة ألف حديث.. ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يُكَوِّن هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التى عنى بها المحدثون، فحديث إنما الاعمال بالنيات يروى من سبعمائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد

لبقى عدد قليل[١١] من الأحاديث، وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذي يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الاحاديث التى في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف٠٠»[١٢]، (أ٠هـ٠)٠

وأنا أرجح هذا الرأي وهو كتابة الحديث في القرن الأول، لأن أهل القرن الأول هم حلقة الاتصال بالنسبة لمن بعدهم من اصحاب القرون التالية الذين انتقلت على أيديهم السنة، وأهل العهد الأول وإن كانت الأحاديث المدونة عنهم يظن أنها قليلة الا أنها صحيحة كلها لا يداخلها شك، إذ لم يكن الكذب أو الوضع قد شاع فيهم كالذين جاءوا من بعدهم فهم عدول وهم خير القرون وما من شك فيما كانوا عليه في العهد الأول من المنزلة العالية في الحفظ والضبط، وليس هذا غريبا على قوم انحدروا من أصلاب آباء كانوا قمما عالية في الحفظ والاتقان، ولكن مع هذا فقد كتب بعضهم الأحاديث فكان وصولها الى القرون التالية شفاهة وتحريرا وهذا أقوى وأوثق، يقول ابن الصلاح «ولولا تدوينه ـ أى الحديث ـ في الكتب لدرس في الأعصر الأخر»[١٣]٠

ومنذ سنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الامام على ومعاوية دبت الخلافات السياسية والمذهبية وظهر الوضع في السنة النبوية من الذين لا ثقة فيهم ولا صحبة لهم حقيقية، الا أن هذه الحركة قوبلت بقوة مؤمنة من علماء السنة الذين حصروا الوضاعين وصانوا سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام سيرا على منهجه الكريم الذى وضعه لهم في الحفاظ على السنة الشريفة، قال عليه الصلاة والسلام: «من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[١٤]٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، قال «من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»[١٥]٠

وقد وردت بعض أحاديث تنهى عن الكتابة منها ما رواه أبو سعيد الخدرى أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، قال: «لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه»[١٦]٠

وعن أبى نضرة قال: قيل لأبى سعيد لو اكتتبنا الحديث؟ فقال لانكتبكم، خذوا عنا، كما أخذنا عن نبينا [صلى الله عليه وسلم][١٧]٠

وهذا النهي عن كتابة الحديث كان في بدء الدعوة خشية أن يختلط الحديث بالقرآن فيلتبس على بعض الناس، أو أن النهى كان في حق من يوثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة ولذا أذن بالكتابة لمن لا يوثق بحفظه كأبى شاه٠

عن أبى هريرة رضي الله عنه : «أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبي [صلى الله عليه وسلم]، فركب راحلته فخطب فقال: «إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل»، قال أبو عبد الله: كذا، قال أبو نعيم وسلط عليهم رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنها أحلت لى ساعة من نهار ألا وإنها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن ـ يعقل وإما أن يقاد أهل القتيل، فجاء رجل من أهل اليمن ـ هو أبو شاه فقال: اكتب لي يا رسول الله: فقال: اكتبوا لأبى فلان٠٠»[١٨]٠

صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ كانت تسمى بالصادقة

اي الخطبة التى سمعها من رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، أو أن النهى كان عاما وخص بالسماح له من كان كاتبا مجيدا لا يلتبس عليه الحال بين السنة والكتاب كعبد الله بن عمرو بن

العاص رضى الله عنهما، قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه: «ما من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم}، أحد أكثر حديثا عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»[١٩].

كما كان للنهى عن الكتابة ثمرة عظيمة: هى اتساع المجال أمام القرآن الكريم حتى يأخذ مكانه في الكتابة ويثبت في صدور الحفاظ، «أو أن النهي كان خاصا بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة والإذن في تفريقهما»[٢٠].

أو أن النهى متقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس وهو أقرب الآراء وممن روى عنه كراهة الكتابة في الصدر الأول (عمرو بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى، وأبو سعيد الخدرى - وممن روى عنه إباحة ذلك أو فعله: عليّ وابنه الحسن وأنس وعبدالله بن عمرو بن العاص)[٢١].

بعض الصحابة اتخذوا صحائف سجلوا فيها ما سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(قال البلقينى: وفي المسألة مذهب ثالث وهو الكتابة والمحو بعد الحفظ[٢٢].

وأرى أن النهى عن الكتابة كان عاما في بادىء الأمر، وخص الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بعض الصحابة بالاذن في الكتابة لأسباب منها: أن البعض لا يوثق بحفظه كأبى شاه، ومنها أن البعض كان كاتبا مجيدا لا يلتبس عليه الحال كعبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان قارئا للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانية والعربية[٢٣].

وظل النهي عن الكتابة قائما حتى كثرت السنن وخيف عليها أن تضيع من البعض فكان الإذن بالكتابة ناسخا لما تقدم من النهي، ولم يلحق الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها.

وقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابة الحديث واستشار أصحاب الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فأشاروا عليه، فطفق يستخير الله في ذلك مدة ثم عدل عن ذلك، روى البيهقى في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم أجمعين - أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له وقال: إنى كنت أردت أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا[٢٤].

واستمر حال السنة على هذا حتى انتشر الاسلام، واتسعت الفتوحات وتفرق الصحابة في الاقطار ومات الكثير منهم، فدعت الحالة الى تدوين الحديث النبوى، وذلك حين أفضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز فأراد أن يجمع السنن ويدونها مخافة أن يضيع منها شيء، وكان ذلك على رأس المائة الأولى، فكتب الى بعض علماء الامصار يأمرهم أن يجمعوا الأحاديث، كما كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية، وهكذا أصدر الخليفة العادل أمره الى أقطار الاسلام: «أنظروا حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فاجمعوه»[٢٥].

وكتب الى ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ١١٧هـ. (اكتب اليَّ بما يثبت عندك من الحديث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وحديث عمرة فإنى خشيت دروس العلم وذهابه) وفي رواية: (فإنى خشيت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي {صلى الله عليه وسلم}، وليفشوا العلم

وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا)[٢٦].

كما أوصاه أن يكتب له بما عند القاسم بن محمد بن أبى بكر كما أمر ابن شهاب الزهرى ١٢٤هـ وغيره بجمع السنن فكتبوها مستجيبين لأمر الخليفة الذى حفز هممهم وصادف أمره في نفوسهم الاستجابة والقبول، وهكذا أتم الله على يد عمر بن عبد العزيز تنفيذ رغبة جده عمر بن الخطاب التى عدل عنها خشية التباس السنة بالقرآن الكريم.

وكان تدوين الامام الزهرى للسنة عبارة عن جمع الاحاديث التى تدور حول موضوع واحد في مؤلف خاص، فكان لكل باب من أبواب العلم مؤلف قائم به، فكتاب للصلاة مثلا، وآخر للصوم، وهكذا وكل مؤلف من هذه المؤلفات تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه، ومختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وقد أخلص الامام الزهرى نيته وعمله لله وللرسول في تدوين السنة والتنبيه على العناية بأساليبها.

أما بعد الامام الزهرى فقد تناول الأئمة رسالته، وأخذوا يكملون ما بدأه فقد كان عمل الزهرى بمثابة حجر الأساس لتدوين السنة في كتب خاصة، ولكى يوضح الامام الزهرى هذا العمل ويسلم أساس البناء للجيل الذى سيأتى بعده. كان يخرج لطلابه الأجزاء المكتوبة ليرووها عنه.

وفعلا فقد بدأ العمل بعده، وتعاون الائمة والعلماء في المدن الاسلامية: في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة وفي البصرة والكوفة والشام وخراسان واليمن وواسط والرى، واضطلع الأئمة من أمثال الامام ابن جريج ١٥٠ هـ بمكة، والامام مالك ١٧٩هـ بالمدينة، والامام سفيان الثورى ١٦١هـ بالكوفة وغيرهم بالمهمة الجليلة الملقاة على عاتقهم، فأكملوا ما بدأه الزهرى، الذى قام بالتدوين فجمع كل باب في مؤلف خاص كما سبق، فجاء هؤلاء من بعده، فجمعوا أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة ثم ضموا الابواب بعضها الى بعض، فكانت مصنفا واحدا، وخلطوا الاحاديث بأقوال الصحابة والتابعين.

أحاديث النهي عن كتابة الحديث كانت مخافة اختلاط الحديث بالقرآن الكريم

أما من جاء بعد هؤلاء الأئمة - من أهل عصرهم فقد سار على دربهم ونسج على منوالهم الى أن رأى بعض الأئمة إفراد الحديث وخاصة على رأس المائتين في أوائل القرن الثالث الهجري .. فألفت المسانيد، ثم جاءت طبقة أخرى دونت السنة في كتب خاصة تحروا في تدوينها الصحيح على شروطهم وأفردت الحديث عن غيره، وجمعته على أبواب الفقه، واختارت الرواة المشهورين بالثقة، وبهذا يتضح أن تدوين السنة لم يأخذ وضعه في الظهور والتصنيف تماما إلا في منتصف القرن الثانى في خلافة بنى العباس، وإن كان قد بدأ قبل ذلك.

وكان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره الجليل في حفظها من الدخيل، ومن الكذب على الرسول {صلى الله عليه وسلم}، كما كان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره حيث سهل الطريق للاجتهاد والاستنباط.

بعد هذا كله أرى أن السنة النبوية كانت تكتب في عهد الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وأنه وإن وردت بعض الأخبار بالنهى عن كتابتها، فإنّ إباحة الكتابة كانت جائزة للبعض، وكانت آخر ما ترك الرسول {صلى الله عليه وسلم}، أصحابه عليه، فلم يلحق بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث قائمة وقد حفظت في الصحف بجانب حفظها في الصدور، ولم

تبق مهملة طيلة القرن الأول الى عهد عمر بن عبد العزيز، وأحاديث الإذن بالكتابة أكبر شاهد على ذلك. وهكذا كتبت الأحاديث، وحفظ الكثير منها في الصدور من لدن صدورها من الرسول {صلى الله عليه وسلم}، الى أن تلقفتها الصدور الواعية، والصحف الأمينة، وتناقلتها جيلا بعد جيل الى أن تسلمها منهم أهل القرن الثالث ■

ـ للدراسة صلة ـ

الهوامش :

(١) الحديث والمحدثون ص ٦٥.

(٢) رواه البخاری جـ ١ ص ١٧٩ فتح الباری بلفظ (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار) ورواه مسلم جـ ١ ص ٥٥ ط الشعب عن أبى هريرة والترمذي جـ ٤ ص ١٤٢ ـ عن عبد الله وأخرجه الزهرى عن أنس بن مالك وقال الترمذى حديث حسن غريب، صحيح من هذا الوجه من حديث الزهرى عن أنس بن مالك، والدارمى جـ ١ ص ٦٦ عن جابر.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ٥١ عن سمرة بن جندب وعن المغيرة بن شعبة ط الشعب، والترمذي جـ ٤ ص ١٤٣ عن المغيرة بن شعبة وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجه جـ ١ ص ١٠.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٦٠ ط الشعب.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٦٣ ط الشعب.

(٦) فتح البارى جـ ١١ ص ٢٢، شرح الزرقانى على الموطأ جـ ٤ ص ١٨٨، الرسالة ص ٤٣٥ برقم ١١٩٨ مختصرا.

(٧) تقييد العلم ص ١٠٨.

(٨) المحدث الفاصل، وتقييد العلم ص ٨٤.

(٩) أسد الغابة ٣/٢٣٣.

(١٠) رجال الفكر والدعوة ص ٨٢.

(١١) أى بالنسبة الى ضخامة عدد الاحاديث المروية فالقلة نسبية.

(١٢) القرآن والنبى للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٣٧، ص ٣٣٨ عن «تدوين الحديث».

(١٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٧١.

(١٤) الحديث سبق تخريجه (راجع هامش (٢) السابق من هذه الدراسة).

(١٥) فتح البارى جـ ١ ص ١٨٠ عن سلمة بن الاكوع بلفظ «من يقل..» واخرجه احمد جـ ٢ ص ٥٠١ عن أبى هريرة (بلفظ من قال) بإسناد صحيح وابن ماجه ص ١٠ من طريق محمد بن عمرو وعن أبى سلمة ومسلم جـ ١ ص ٥ والحاكم جـ ١ ص ١٠٢ والشافعى في الرسالة ص ٣٩٦ والدارمى بنحوه جـ ١ ص ٦٧.

(١٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٢٩ وكتاب جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٧٦ ورواه الدارمى جـ ١ ص ٩٨.

(١٧) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٧٦.

(١٨) فتح البارى جـ ١ ص ١٨٣، مسند الامام احمد جـ ١٢ ص ٢٣٢ وجامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٨٤.

(١٩) فتح البارى جـ ١ ص ١٨٤ وجامع بيان العلم جـ ١ ص ٨٤ ورواه الدارمى جـ ١ ص ١٠٣.

(٢٠) حاشية الدارمى جـ ١ ص ١٠٣ وتدريب الراوى ص ٢٨٧.

(٢١) مقدمة ابن الصلاح ص ٧١.

(٢٢) تدريب الراوى ص ٢٨٥.

(٢٣) تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٦.

(٢٤) جامع العلم وفضله جـ ١ ص ٢٢، تدريب الراوى ص ٢٨٧ تقييد العلم ص ٥٠.

(٢٥) فتح البارى جـ ١ ص ٢٠٤.

(٢٦) المرجع السابق.

الشعر
رسالة

الجواهري شاعر الرفض والإباء

□ مازلت أذكر ذلك الشهر شهر أغسطس من عام ١٩٩٧م حين نعت إلينا جريدة «الحياة» اللندنية رحيل شاعر العربية الكبير محمد مهدي الجواهري، وهكذا أسدل الستار برحيل الجواهري على آخر عمالقة الشعر الكلاسيكي من طراز بدوي الجبل وبشارة الخوري والأخطل الصغير وعمر أبو ريشة وغيرهم.

كنت حينها بجنيف السويسرية ولم تستطع جنيف ببحيرتها الخلابة ولا بنهر الرون وجسوره الأخاذة ولا بجزيرة روسو الجميلة أن تبدد الحزن الذي غمر نفسي والأسى الذي سكن روحي وأنا أقرأ الخبر في جريدة الحياة.

عاد الجواهري الى دمشق ليموت فيها بعد العاصمة التشيكية براغ وغيرها من المنافي، كما عاد البياتي من منافيه في موسكو أو مدريد وغيرهما ليرقد رقدته الأبدية إلى جوار الشيخ محي الدين بن عربي وكأن جلّق صارت بالنسبة إلى شعراء العراق جسر العبور إلى العالم الآخر، ينفحهم بردى والجامع الأموي بنفحات العروبة ويمسح ما بأنفسهم من ألم الغربة وأوجاع المنافي الأوروبية.

وفي أدباء العراق - كتابه وشعرائه - ميزة لا تخطئها العين وظاهرة لا يختلف بشأنها اثنان ألا وهي ظاهرة الرفض والتمرد وما ينجر عنهما من نفي وتشرد في بلاد الدنيا.

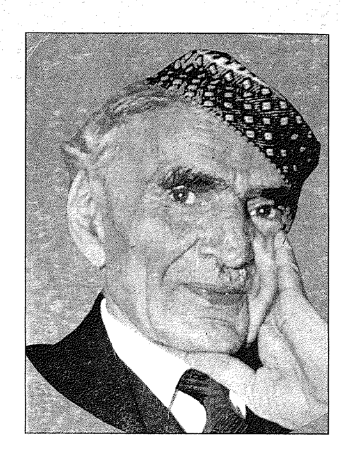
فالروائى العراقي غائب طعمة فرمان مات طريدا ودفن شريدا في موسكو، وفي أحد أعداد مجلة العربي الأخيرة حدثنا الدكتور سليمان العسكري عن انتحار أديبة عراقية أجبرت على البقاء في العراق قبل سقوط بغداد وكانت تريد الخروج من العراق إلى بلاد الله فلما استعصى عليها ذلك خرجت من الدنيا بقتل نفسها.

والعراق أو أرض السواد كما أسماه أسلافنا حالة فريدة بين بلداننا العربية، فبالرغم من كونه أرض الخصب والنماء وأرض الرافدين، والبلاد التى عرفت أقدم الحضارات وأعرق الشرائع، وما أرض السواد إلا دلالة على كثرة النخيل التى تظلل الأرض والأفق فحيثما امتد بصر الإنسان رأى سوادا وما ذاك إلا فأل خير وبشارة يمن، ولقد ظل البلد على الرغم من بوادر اليسر وسمات اليمن أرض الفتن والخصومة والانقلابات.. فالإمام علي - كرم الله وجهه - قتل بالكوفة. وفي كربلاء سقط الإمام الحسين شهيدا. وفي العراق نبه ذكر الحجاج بن يوسف واستشاط أمره وتلطخ بالدماء سيفه، بعد أن دوى بالتهديد لسانه، وسواء أكان العراق ملكيا أو جمهوريا في العصر الحديث فلقد كان بلدا قائما على الرمضاء ومستقرا على بركان وما تهدأ فتنة حتى تقوم فتنة وإن هدأت فبفوهات البنادق وشفرات المقاصل.

والعراقيون مهما تعددت أطيافهم وتباينت نحلهم يميلون إلى الحرية ويأبون الضيم وتعاف نفوسهم الخسف فيثورون وفي كل ثورة تسيل الدماء وتقطع الرؤوس.

ابراهيم مشارة

الجـــزائر



وفي هذا البلد وفي النجف الأشرف ولد محمد مهدي الجواهري عام ١٩٠٠م في بيت علم ودين وآل الجواهري أسرة عريقة نبغ فيها شعراء وأئمة وعلماء كلام، وفي بيت والده أتم حفظ القرآن الكريم وعلى يد مشايخ النجف النابهين أتم علوم اللغة والدين.

غير أنه آنس من نفسه القدرة على قرض الشعر، وتهيأت ملكاته الفطرية لذلك، فجادت قريحته بالشعر منذ عهد الصبا وفي عام ١٩٢٧م صدر الجزء الأول من ديوانه.

مارس الجواهري التعليم في الكاظمية، ولكنه تركه ليتفرغ للصحافة فأصدر جريدة «الفرات» عام ١٩٣٠م، ثم «الانقلاب» ولما عطلت هاتان الصحيفتان ولاقى الشاعر من الحكومة القهر والعنت عاد إلى التعليم وفي سنة ١٩٣٥م، أصدر الجزء الثاني من ديوانه، وفي سنة ١٩٤٧م دخل المجلس النيابي نائبا عن كربلاء، وقام برحلة إلى فرنسا وبولونيا، ولا شك أن هذه المرحلة تركت في نفسه أعمق الأثر فلقد قارن ما نعم به الأوروبيون من عدل ومساواة وتقدم وحرية وعصر صناعي بما يقاسيه الشعب العراقي من جور وطبقية ورجعية وعصر حجري وفي سنة ١٩٥٣م أصدر الجزء الثالث من ديوانه، ولما قامت الثورة وأنهيت الملكية في العراق طمح الشاعر إلى الحرية والديمقراطية والمساواة، ولم يستطع السكوت فأصدر جريدة «الرأي العام» ليجهر برأيه ويصدع بأفكاره التى تعارضت مع فلسفة الحكم والنظام القائم فاختار المنفى سبع سنوات في براغ بتشيكوسلوفاكيا - سابقا - وعاد بعدها إلى العراق، ولكنه كان كدأبه ناقما على الجور أبيا للخسف عصيا على الهوان متعطشا الى الحرية، تواقا الى العدل، شغوفا بالمساواة، طامحا إلى وثبة حضارية ونهضة علمية تدخل بلاده في ركاب الحضارة كغيرها من دول العالم المتمدن، فلاقى من كل الأنظمة الجهامة والتضييق على حريته وهو الشاعر الحر - الذي سجن في العهد الملكي جراء جهره بمعارضته وإبداء مخالفته لفلسفة الحكم القائم إلى أن رحل عن دنيانا نظيف اليد، صادق الوعد، سليم النية، مخلصا لعقيدته في الحياة.

فالجواهري من الشعراء الذين آمنوا برسالة الشعر وأمانة الشاعر التى استودعها عنده الشعب، ألا وهي اتخاذ الكلمة مصباحا يبدد الظلام، وسيفا في وجه الجور ومنجنيقا يحرق بنيرانه الظلم والظالمين، والشعر كما يصلح لوصف النهود والأرداف، وتباريح الجوى، ونشوة المدام يصلح معلما هاديا ومنارة حق، وسوطا يلهب حماسة الخانعين من أبناء الشعب، وسيفا يقطع رقاب الظالمين من الحاكم وحاشيته.

إنه ما يدعوه جون بول سارتر بالإلتزام ، وقد

التزم الجواهري بقضية وطنه الراسف في أغلال الاستبداد، النائم في مغارة التاريخ الساكت على نهب خيراته وتجفيف ضرعه.

اسمعه يخاطب المستبدين من حكام بلده:

ما تشاؤون فاصنعوا
فرصة لا تضيع
فرصة أن تحكموا
وتحطوا وترفعوا
وتدلوا على الرقاب
وتعطوا وتمنعوا
لكم الرافدان والزاب
ضرع فاضرعوا
ما تشاؤون فاصنعوا
الجماهير هطع
ما الذي يستطيعه
مستضامون جُوَّع؟

فهي صيحة صريحة لا كناية فيها ولا تعمية لغتها مشبعة بالتحدي والرفض، لغتها شديدة الايحاء بمعاني الجور والظلم والنهب لخيرات البلد من جهة الحكام، والخنوع والاستسلام من جهة المحكومين.

والجواهري يتصرف في اللغة تصرف الواثق من نفسه المطمئن إلى ملكاته فلا تعاني لغته الكلال أو الفتور، ونفسه طويل لا يعرف الإرهاق ولا غرو في ذلك فهو قد امتلك زمام اللغة فأسلست له القياد وتشبعت روحه بفلسفة الحداثة، وتعمقت ثقافته بالوعي التام بمعاني الحرية والعدالة الاجتماعية والديموقراطية، وزادته قناعته ثباتا في الموقف وتصميما على الفكرة فلم يعرف نضاله الكلال أو الاضطراب لكأنه الرصاصة تمشي إلي هدفها بنفس القوة وفي نفس الخط بغير نكوص أو فتور.

وهذا التصرف في اللغة تصرف الواثق من نفسه، والقدرة على ايصال الفكرة سليمة معافاة، وحسن اختيار اللفظ الموحي بالمعنى المقصود كل هذه العوامل أشعرت الشاعر بحريته التى زهت بها نفسه فلم يجد ما يدعوه إلى التخلي عن الشعر العمودي واللجوء إلى شعر التفعيلة استزادة من الحرية في القول والأصالة في المعنى.

والجواهري شاعر من النسق الكارزماتي يشظي نفسه قنابل في وجه الظلم لا يهادن ولا يسالم واقرأ له هذا المقطع يصف الخونة من أبناء البلد الذين كانوا خدما للاستعمار وأعوانا له:

ولقد رأى المستعمرون فرائسا
منا وألفوا كلب صيد سائبا
فتعهدوه فراح طوع بنانهم
يبرون أنيابا له ومخالبا
أعرفت مملكة يباح شهيدها
للخائنين الخادمين أجانبا
مستأجرين يخربون ديارهم
ويكافأون على الخراب رواتبا؟

وكما نعى الشاعر على الحاكم بغيه نعى على الرعية استسلامها وخنوعها، فقذفها بألسنة من نار ونخسها بمهماز من فولاذ علها تفيق من غفوتها، وتقهر خوفها ومسكنتها وهو في ذلك متفق مع قول أبي العلاء:

أعاذل قد ظلمتنا الملو
ك ونحن على ضعفنا أظلم

وذمه للشعب هو الذم البناء لا الهدام إنه الهجاء بغير حقد، الصادر عن حب وغيرة على الشرف والوطن، واقرأ له هذا المقطع يذم خنوع الشعب وهو ذم شديد اللهجة، قاسي النبرات:

أطبق دجى أطبق ضباب
أطبق جهاما يا سحاب
أطبق دماراً على حماة
دمارهم أطبق تباب

أطبق على متبلدين
شكا خمولهم النباب
لم يعرفوا لون السماء
لفرط ما انحنت الرقاب
ولفرط ما ديست رؤوسهم
كما ديس التراب
أطبق على المعزى
يراد بها على الجوع احتلاب
أطبق على هذي المسوخ
تعاف عيشتها الكلاب

وقد ردد الشاعر كلمة «أطبق» سبع مرات في هذا المقطع القصير وهو فعل أمر غرضه التمني يوحي بيأس الشاعر من خمول الشعب وبلادته، والألفاظ شديدة اللهجة دالة على الغضب العارم والثورة الجارفة التى تضطرم في نفس الشاعر.

إن الذي يعرف الجواهري ويعرف ما جبلت عليه نفسه من تعطش للحرية وإلى العدالة وما لاقاه من وجع في المنافي وتضييق الحكام يستطيع أن ينسب إليه شعره فلا يختلط بأشعار غيره، فقد كان شعره نفثة من روحه الناقمة وشواظا من لهيب نفسه أو كان كما يقال مرآة نفسه عكست ما فيها من إباء وكرامة وشرف وكبرياء.

وهناك ميزة في شعره ظاهرة للعيان مسفرة للقارىء وهي روح السخرية، وكأنها البلسم الذي يبلسم جراحه، والشهقة التى يجد فيها الراحة والعزاء، وهو يستخدمها في شعره طريقة من طرق التعبير عن تبلد الجماهير، ومهمازا يستنهض به العزائم ويستثير به الهمم.

وأكثر ما تتجلى هذه الميزة في قصيدته «تنويمة الجياع» وهي مطولة تنعي الينا بلادة الشعب وغفلة الرعية ولا أدل على ذلك من تكرار الفعل «نامي» في القصيدة حوالي أربعا وخمسين مرة في قصيدة عدد أبياتها تسعة وتسعون بيتا، ونكتفي منها بهذه الأبيات حيث تتجلى روح السخرية المرة والتهكم اللاذع :

نامي جياع الشعب نامي
حرستك آلهة الطعام
نامي على زبد الوعود
يداف في عسل الكلام
نامي تصحي نعم نوم
المرء في الكرب الجسام
نامي إلى يوم النشور
ويوم يؤذن بالقيام
نامي على نغم البعوض
كأنه سجع الحمام
نامي على البرص المبيض
من سوادك والجذام
نامي فنومك فتنة
إيقاظها شر الأثام
إن التيقظ لو علمت
طليعة الموت الزؤام
نامي ! إليك تحيتي وعليـ
ـك نائمة سلامي!

وهي قصيدة كما أشرنا آنفا طويلة تتجلى فيها مرارة اليأس وروح التهكم وطابع السخرية.

لقد آمن الجواهري أن الشعب مصدر القوة ومنبع الحصانة وجرثومة النماء، وأدرك أن جبروت الحاكم يستمد بقاءه من جبن الشعب، ونهبه لخيراته من سكوت الرعية ولا مبالاتها واستهتاره من بلادة الناس، فصك الشاعر الآذان بالكلمات القاسية، وزلزل القلوب الواجفة بالمعاني القارصة، وحرك النفوس الغافلة بالتهكم البناء والذم الصادر عن حب وإخلاص أملا في حرية غائبة ، وعدالة أعز من الأبلق ، ومساواة موؤودة، ونهضة مؤجلة إلى يوم النشور ■

شعراء ومواقف

بشر بن أبي حازم

□ **_شاعرنا لم يقف عنده التاريخ طويلا، ولولا شعره لضاع ذكره، وعلى كل فهو « بشر بن أبى حازم بن عوف، حِمْيَريّ من بنى أسد التى كانت تعتز بشاعرين نبتا على شجرتها، الأول كان عبيد بن الأبرص - أحد أصحاب المعلقات في رأى - والثاني كان شاعرنا بشرا[١] ._**

ويبدو أن أسرته كان لها بصر بالشعر، فقد كان له أخ يسمى سوادة بَصَّر شاعرنا بعيب في شعره وهو «الإقواء»، كما أن له أخا قُتل فرثاه بأكثر من قصيدة، ولقد عاش حياته يخرج من حرب إلى حرب، وكان من الحروب التى شهدها حرب «الفجار»، وهى الحربُ التى شهدها الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: شهدت الفجار وكنتُ أنبلُ على عمومتى وأنا غلام - أي أدافع عن أعمامى بالنبل - ولقد وقعت هذه الحرب في الجزيرة العربية بين قبائل «قيس عيلان» وبين قبيلتى «كنانة وقريش» في أواخر القرن السادس الميلادى، وقد انتصرت كنانة وقريش، ومعنى هذا أن شاعرنا عاصر الرسول [صلى الله عليه وسلم] قبل الرسالة.

وعلى كل فقد ظل بشر بن أبى حازم رافعا رأسه وسيفه، ومشاركا في أيام العرب مثل «يوم النسار» ومثل يوم «الجفار»[٢]، وفي كل معركة كان يرفع صوته بالشعر، ولكنه لم يصبح في دائرة الضوء إلا حين اصطدم بشاعر كبير وفارس كبير هو «أوس بن حارثة»، وسببُ هذا الاصطدام أن ملك الحيرة «النعمان بن المنذر»، جمع في بلاطه وفود العرب من كل حي، ودعا بحلة فاخرة ثم عرضها على الوفود وقال: أنتم جميعا مدعوون للحضور غداً، وحين تحضرون سأُلبسُ هذه الحلّة أكرمكم وأحبكم إليّ، وحين جاء الغد حضروا جميعا ما عدا «أوس بن حارثة» وكان مما قال مبررا غيابه: إن كان المراد غيرى فأجمل الأشياء ألا أكون حاضراً، وإن كنتُ أنا فسأُطلبُ ويُعرف مكاني، وحين جاء الغد ولم يحضر «أوس بن حارثة»، بعث إليه الملك رسولا يقول له: احضر وأنت آمن مما خفت، ويعود «أوس» ويحظى بالحلَّة وبتقدير الملك، وقد أثقل هذا على رؤساء العرب، وكان أن عزموا على التهوين من أمره، ولن يكون هذا إلا بهجائه، وكان أن قالوا للحطيئة أهج «أوس بن حارثة» ولك ثلاثمئة ناقة، ولكن الحطيئة يرفض ويقول:

كيف الهجاء؟ وما تنفكُّ صالحة
من آل لأم بظهر الغيْب تأتيني

وبينما الرؤساء في ضيق ، سمعوا صوتا يقول: أنا أهجوه لكم ولى ما عرضتم من الإبل، ولقد كان صاحب هذا الصوت هو شاعرنا «بشر بن أبى حازم» الذى أسرع فقال:

إنك يا أوسُ اللئيمُ محتدُهْ
عبد لعبد من كلاب تسنده
معلهج فيهم خبيث مقعدُه
إذا أتاهُ سائلٌ لا يحمدُه
مثل الحمار في حمير ترفده
واللؤم مقصور مضافٌ عُمُدُه!

ويحظى الشاعر بالإبل، وتقع بينه وبين أوس بن

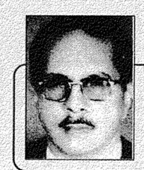
حارثة خصومة شديدة، كان من أثرها أن أوس بن حارثة نذر لئن ظفر به ليحرقنه: ولا يأبه الشاعر بهذا، وإنما يواصل هجاءه وسخريته من الإيعاد بالحرق، فيقول:

فقولوا للذى آلى يمينا
أفيَّ نذرت يا أوسُ النُّذروا؟
إذا ما المكرماتُ رفعن يوماً
مددت لنيلها باعاً قصيرا
غدرت بجانبى يا ابن لأم
وكنت بمثل فعلتها جديرا
فلو عاينتنا وبنى كلاب
سمعت لنا بعَقْوتِهم زئيرا
وكم من جمع قوم قد تركنا
ضباع الجو فيهم والنسور.

وواصل هجاءه في قصيدة أولها :

تعنى القلبُ من سلمى عناءُ
فما للقلب إذْ بانتْ شفاء[٣].

وقد ظل كل منهما يتوعد الآخر، حتى تمكن «أوس بن حارثة» من الشاعر، وقد كان على وعده بأن يحرق الشاعر ، فقد أوقد بالفعل ناراً عظيمة لحرقه، ويقال: إنه أراد أن يبالغ في تعذيبه حتى لا يموت سريعا فيستريح، وذلك أنه ذبح جملا، ثم سلخه ثم وضع الشاعر في جلده، وخاط عليه، ثم ألقى به في الحي ليتلاعب به الصبية، ويقال إنه صار في الجلد «كأنه العصفور»، ولكن حدث شيء أوقف هذا كله، ذلك لأن أم أوس بن حارثة، لم ترض عن هذا التعذيب، فقد توجهت إلى حيث يجلس ابنها، ثم قالت له في غضب: يا أوس بن حارثة... قبّح الله قوماً يُسَوِّدونك، أو يقتبسون من رأيك، لقد مات أبوك فرجوتك لقومك عامة، فأصبحتُ والله لا أرجوك لنفسك خاصة، والله لكأنك أخذته رَهْدناً - والرَّهْدَنُ طائر صغير كالعصفور - أما تعلمُ ما منزلته في قومه؟ أو ما تعلم أنه هجاك في بنى بدر؟ أزعمت أنك تحرق رجلا هجاك، إذاً فمن يمحو ما قال فيك، وأيْمُ



أ.د. عبده بدوي

- مصر -

الله، لو فعلت ما استقلتها أنت ولا قومك أبدا، ولظلت لاصقة بك[٤].

وهنا يقول أوس لأمِّه: فما أصنع به؟ وترد الأم: أرى أن تردَّ عليه ماله، وتعفو عنه، وتحبوه، وتكرمه، وأفعل أنا مثلك، ويستجيب «أوس» لرأى أمه، فيطلقه من جلد البعير، ويحسن إليه، ويكسوه، ويحمله على نجيبه الذى كان يركبه، ثم يسير به مودعا حتى يبلغ مأمنه في قبيلته، ويتأثر الشاعر من هذا الموقف ويقول: لا جرم والله .. لا مدحتُ أحداً غيرك حتى أموت، ويصدق الشاعر، ويقف شعره عليه، وكان مما قاله:

تداركني أوس بن سعدى بنعمة
وقد ضاق من أرض عليَّ عريضُ
فمنٌّ ، وأعطانى الجزيل، وإنَّهُ
بأمثالها رحبُ الذِّراع، نهُوضُ
تداركت لحمي بعد ما حلَّقت به
مع النَّسْر فَتْخَاء الجناح قبُوضُ
فككتَ أسيراً، ثم أفضلت نعمة
فسُلِّمَ مبريُّ العظامِ مهيضُ

وكان مما قاله :

إلى ماجد أعطى على الحمد مالهُ
جميل المحَيَّا، للمغارم دافعُ
وكنت إذا هشَّتْ يداك إلى العُلا
صنعت، فلم يصنع كصُنعك صانعُ
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتى
بنى أسد أقصاهمُ والأقاربُ

وفي ضوء هذا قال أبو محمد الأخفش: مدح بشرٌ أوساً وأهل بيته، مكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة وكان هجاهم بخمس، فمدحهم بخمس[٥].

ولما كان قد عاش حياة صاخبة، فإن النقاد قد وقفوا عند شعره، وكان مما قالوه: إن شعره في مدح أوس بن حارثه، كان أروع من هجائه فيه، ذلك لأنه كان وراء الهجاء الحسد، والاندفاع، والاستجابة لأصداء الغيرة السابحة في وجدان القبيلة، أما دوافع المدح فقد كانت قوية، ذلك لأنها أبعدته عن الموت المحقق وأعادته الى الحياة بعد الإشراف على الهلاك، ولأن الإنسان يكون في أروع حالاته الإنسانية حين يعفو عن قدرة، وحين يصفح عن اقتدار، وقد جمع أوس بين القدرة والاقتدار، فكان جديراً بالمدح لا بالهجاء، وبالحب لا بالكراهية، وإن كان هناك من يرى أن نفس بشر بن أبى حازم لم تكن مطمئنة، ولا مستقرة فمدحته التى أولها[٦]٠

كفى بالنأى من أسماء كاف
وليس لحبها إذ طال شاف
بلى إن العزاء له دواء
وطولُ الشوق ينسيك القوافى
فياك حاجة ، ومطال شوق
وقطع قرينة بعد ائتلاف

توضّح ذلك ٠٠

ومما يذكر له التصوير الجيد للمرأة السبية، المنهكة من السير والخوف والظلام[٧]٠

وعلى كل فقد ظل وفيا للحياة البدوية المتوترة، وفي أواخر حياته أغار على بنى صعصعة، وكانوا معروفين بالشدة والفروسية، وقد التحم بأربعة من الأشقاء، وأقبل مستخفاً بواحد منهم، وطلب منه أن يستأسر، ويغضب الشاب من هذا القول ويهزأ بالشاعر الشيخ، ولكن الشاعر يصمم على أخذه أسيرا، وهنا تتاح فرصة للشاب أن يصوب إليه سهماً في صدره، وحين يصاب يبتعد عنه، ويقول: انطلق فأخبر أهلك أنك قتلت بشر بن أبى خازم، وحين اجتمع إليه أصحابه وهو يحتضر: قالوا له أوص، فقال هذه القصيدة موجهاً إياها لابنته الصغيرة «عميرة»٠

أسائلة عميرة عن أبيها
خلال الجيش تعترفُ الركابا
تُرَجّى أن أؤوب لها بنَهْب
ولم تعلم بأن السهم صابا
وإن أباك قد لاقاه قرنٌ
من الأبناء يلتهبُ التهابا
وإن الوائليَّ أصاب قلبى
بسهم لم يكن يُكْسى لُغابا[٨]
فرجِّى الخير، وانتظرى إيابى
إذا ما القارظ العنزى آبا[٩]
فمنْ يكُ سائلا عن بيت بشر
فإن له بجنب الرِّده بابا[١٠]
هوى في ملحد لابُد منه
كفى بالموت نأياً، واغترابا
رهينُ بِلي ، وكلّ فتى سيَبْلَى
فأذري الدَّمْع، وانتحبي انتحابا[١١]
مضى قصد السبيل، وكلّ حي
إذا يُدعى لميتته أجابا
فيا للناس إن قناة قومي
أبت بثقافها إلا انقلابا
هم جدعوا الأنوف فَأوعبُوها
وهم تركُوا بنى سعْد يبابا[١٢]

وقد أعجب صدر الدين البصرى بهذه الأبيات:

أتوعدنى بقومك يابن سُعدى
وما بينى وبينك من زمام
متى ما أدعِ في أسد تُجبنى
مسوَّمة على خيل صيام[١٣]
تتابع نحو داعيها سراعاً
كما انسلَّ الفريدُ من النظام

كما أعجب أبو هلال بقوله في البحر:

ونحنُ على جوانبها قُعُودٌ
نغُضُّ الطَّرف كالإبل القماح
إذا قطعتْ براكبها خليجاً
تنكَّر ما لديه من الجناح[١٤]

كما أعجب بشعر له في السترة، والتصون، وترك

السؤال، ومن جوامع كلمه:

وأيدي النَّدى في الصالحين قروض[١٥]

وقد صنع ديوانه كل من السكري، والأصمعي، وابن السكيت، وأبو عبيدة، ولكنه لم يصل الينا، ولعل أول من التفت اليه المستشرق غريناوم، ثم الدكتور عزَّة حسن، ثم كان المستدرك على ديوانه بقلم د. محمد على رُقة[١٦]، ومن هذا المستدرك قوله:

إذا قرقرتْ في بطن واد حمامة
دعا بابن ضباء الحمامُ المقرقرُ
أظلُّ نهارى ما أفيقُ صبابة
وأمسى كئيباً ما أمرُّ وما أحلى
إذا ما راية رفعت لمجد
أقاموها ليبلُغ منتهاها

وارتجز حين مرّ مع الحطيئة على حاتم الطائى، فنحر لكل واحد منهما جزورا:

ما إن رأيت كابن سعد رجلا
في الناس أندى راحة وأكملا
فتى إذا ما قال شيئا فعلا

وكان مما أخذ عليه «الإقواء»، ويحفظ له تصويره لطبقتين من طبقات الصوت:

يُوحى بإنقاض ، ونقنقة
كما تراطن في إنقاضها الروم[١٧]

وقد احتج له ابن حجر في فصل (المحتجون بالشعر لرجم الشياطين قبل الإسلام)[١٨] ■

الهوامش :

(١) الخزانة للبغدادى ٢٦١/٢، ٢٦٤، والأعلام للزركلى ٢٧/٢.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطى، تحقيق صالح مهدى الغزاوى ص ٣٩.

(٣) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى، تحقيق على محمد البجاوى ص ٢٥٤، وقد جعلت له في ذلك جعالة.

(٤) الشعر والشعراء ١٩١/١، مختارات شعراء العرب ص ٢٧٨.

(٥) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى، تحقيق على محمد البجاوى ص ٢٧٩، الإعجاز والإيجاز للثعالبى ١٤٦ ط المكتب العالمي، بيروت ١٩٩٢م.

(٦) مقالات في الشعر ونقده، د. حسين عطوان ص ٢٢ ط ١ دار الجيل بيروت.

(٧) على نحو ما قال في سبايا بنى عامر:

بنى عامر إنا تركنا نساءكُم ... من الشل والأيجاف تُدمى عجوبها

تبيتُ النساء المرضعاتُ برهوة ... تَفَزَّعُ من خوف الجنان قُلُوبها

ديوان بشر ص ١٨، ١٩ ـ الشلُّ: الطرد ـ الإيجاف: السير الشديد ـ العجب: العصعص.

(٨) اللُّغاب: الفاسد الذى لا يحسن عمله، فهو من صفات السهم أى لم يكن فاسدا.

(٩) القارظ العنزى: رجل من عنزة خرج يطلب القرظ فلم يرجع إلى أهله.

(١٠) الردّه: المكان الذى مات فيه وهو موضع ببلاد قيس، وقال القصيدة وهو يجود بأنفاسه.

(١١) قدّمه جرير بهذا البيت على كل الشعراء.

(١٢) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى ٣٠٢ ـ ٣١٠، الثقاف: الذى تسوى به القناة، والمعنى: نحن إذا غمزنا انقلبنا كما تنقلب القناة، أوعبوها: استأصلوها، اليباب: الخراب ـ ديوانه تحقيق: د. عزة حسن. ط دمشق.

(١٣) الحماسة البصرية ٨٤/١، ٨٥.

(١٤) ديوان المعانى ١٢/٢، ١٣٩/١.

(١٥) الاعجاز والايجاز للثعالبي ص ١٤٦ ط المكتب العالمي، بيروت.

(١٦) مجلة الدارة، العدد (١) السنة ١٩ في ١٤١٣هـ السعودية.

(١٧) الأصمعيات ١٩٠، النقنقة: صوتُ الظليم، إنقاض: صوت مثل النُّقر.

(١٨) والقبر يرهقها الغبار، وجحشها... ينقضُ خلفهما انقضاض الكوكب

فتح الباري، تحقيق محمد الأمين ٥٠٧/١ ط المدينة المنورة.

الأصول النظرية للنقد الإسلامي

□ هناك صعوبات عدة تواجهنا حين نريد الحديث عن النقد الإسلامي، ولعل أبرزها كون هذا الاتجاه «لا يزال وليدا في اللفائف لم تظهر قسماته الواضحة على نحو يوحي للدارس أن يرسمها أصدق رسم»[١] ثم إنه حتى بالنسبة للدراسات القليلة التى أنجزت في الموضوع نلاحظ أنها قد شُغلت أساسا بالنص الشعري، أما مجال الاهتمام بالأجناس الأدبية الأخرى فيبقى جد محدود[٢].

وعموما، يمكن القول إن هذا الحقل لازال بكرا، لما تنضج فيه الأبحاث بعد على نحو ما هو حاصل في الحقول المعرفية الإسلامية الأخرى. ونأمل أن يمثل تأكيد غياب النقد في الأدب الإسلامي «تحديا مثيرا قد يدفع الإسلاميين الى الاستجابة له من أجل ردم هذه الهوة واستكمالها»[٣] على حد تعبير أحد الباحثين.

لكن - مع ذلك - هذا لا يمنع من الوقوف عند بعض العناصر الأساسية في الممارسة النقدية الإسلامية، التي تشكل ما يمكن أن نسميه «ثوابت» هذه الممارسة النقدية:

١- الأساس العقـدي :

أعتقد أن أي اتجاه نقدي يقوم على قاعدة فلسفية تحدد رؤيته العامة للإنسان والكون والحياة فعلى سبيل المثال، نجد جميع النظريات النقدية الاجتماعية (نظرية الانعكاس - البنيوية التكوينية - سوسيولجية النص) على حدة الاختلافات الموجودة بينها، تتوحد - مع ذلك - على مسلمات تشكل إطارها العقدي (مركزية العامل الاقتصادي في تفسير الظاهرة - التركيز على الطابع المادي، وإنكار أي بعد غيبي أو مثالي للظاهرة... الخ).

أيضا النقد الإسلامي يقوم على مجموعة من الأصول، تبدأ بالإيمان بالغيب: من حيث الوجود الإلهي الخالق المهيمن، وأنه رب السماوات والأرض، وأن حياة الإنسان ممتدة تشمل دنياه وأخراه.. إلي غير ذلك من «المسلمات» التى اجتهد النقاد الإسلاميون في التنظير لها، في إطار ما يمكن أن نصطلح عليه بنظرية الأدب الإسلامي[٤].

وإذا كانت اغلب هذه الدراسات قد كتبت في إطار التنظير لـ «الابداع» الإسلامي، فإن «النقد» الإسلامي يستند إلى الإطار المرجعي نفسه: فالإبداع الإسلامي يقتضي - بداهة - أن يصدر المبدع عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، والناقد الإسلامي يكشف عن حدود وأشكال حضور التصور المشار إليه في النص الإبداعي، وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين بقوله:

«إن منهج الدراسة الإسلامي سيبني تقويماته ويمارس تحليلاته، ويصل إلى الكثير من تفسيراته من خلال حضور أو غياب النبض الإيماني في نسيج الأدب.. أيضا من خلال كثافة القيم الإيمانية، أو قلتها أو انعدامها في النص الإبداعي، وهو في تعامله مع الظاهرة على هذا المستوى سيبذل جهده من أجل البحث عن الأسباب، وسيؤثر على القيم الإيمانية على مستوى الشكل والمضمون معا من أجل منح التقويم النهائى للأدب الذي يدرسه، ليس على

سبيل الفرز الكمي وإنما في إدراك حجم التأثير الإيماني في النشاط الإبداعي لهذا الأدب أو ذاك وتبني الدوافع الأساسية التى تجعل هذا الأدب يحمل هذه المواصفات أو تلك مما يميزه عن أدب أمة أو عصر»[٥].

٢ـ الأساس الخُلقي :

في البداية أشير إلى أن هناك تباينا بين النقاد على مستوى تحديد العلاقة بين الأدب والأخلاق، فيما يتعلق بالنقد العربي القديم أشارت الباحثة «نجوى صابر» ـ في كتابها النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته ـ إلى ثلاثة مواقف للنقاد العرب القدامي[٦]:

ـ موقف النقاد الذين يدعون الى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار «المعيار الأخلاقي» في دراسة النص الأدبي (ابن قتيبة ـ الباقلاني ـ عبد القادر الجرجاني... الخ).

ـ في المقابل هناك رأي النقاد الذين يسقطون المعيار الأخلاقي من الاعتبار، في التعامل مع الأدب (ابن سلام الجمحي ـ ابن المعتز ـ قدامة بن جعفر ـ عبد العزيز الجرجاني... الخ).

وهناك موقف يتأرجح بين الخيارين السابقين، وقد مثلت له الباحثة ـ على الخصوص ـ بالأصمعي، فهو على المستوى النظري صاحب القولة المشهورة «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان..» لكنه على المستوى التطبيقي، كان يتحرج من رواية الأشعار التى تخرج عن الضوابط الأخلاقية.

في النقد الغربي أيضا ليس هناك موقف موحد حول هذه العلاقة: الناقد الإنجليزي «اليوت» مثلا، كان يؤكد ضرورة ارتباط النقد بالأخلاق، والأخلاق المقصودة هنا، هي الأخلاق المسيحية الموجهة من قبل الكنيسة[٧].

لكن ناقدا مثل «رولان بارت» يرفض رفضا قاطعا التعامل مع النص الأدبي من

د. محمد مريني

- المغـــرب -

منطلقات أخلاقية، بل الأكثر من ذلك فهو يعتقد أن النص الحقيقي هو الذي يزعزع المقدسات والمواضعات الأخلاقية (العائلية) للقارىء، وكذا قناعته السياسية يقول على سبيل المثال: «النص هو (وعليه أن يكون) ذلك الشخص اللامبالي الذي يعري مؤخرته في الأدب السياسي»[٨].

أعود فأتساءل : ماذا عن علاقة النقد الإسلامي بالأخلاق ؟!.

أعتقد أن تأكيد ارتباط النقد الإسلامي بالأخلاق، من باب تحصيل حاصل، ما دام هذا النقد يجعل من الدين الإسلامي مرجعه الأساس، وهو دين يضع الأخلاق في مركز الصدارة: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٩].

وفعلا يبدو من خلال تأمل الممارسة النقدية للنقاد الإسلاميين بأن هناك استحضاراً للمعيار الأخلاقي في التعامل مع النصوص يمكن أن نمثل لهذا الاتجاه بما أورده الدكتور عدنان علي رضا النحوي في كتابه «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته»:

على مستوى المصطلح يرى الباحث أن كلمة «نقد» تشير إلى جزء فقط، الوظيفة المعنية، لا الوظيفة كلها، وتحمل مع إشارتها هذه ظلالا ثقيلة، مع جرس يشير الى حركة النقد (الدراهم)، وسرعة اللدغة (النقد بمعنى لدغة الحية)[١٠].

أما المصطلح البديل، وهو «النصيحة» فإنه أوسع معنى وأشمل مهمة (...) إنها تربط المهمة والوظيفة بأطيب الظلال، إنها تربطها بالعقيدة[١١].

وفي حديثه عما سواه «خصائص الناقد الناصح» وقف عند الصفات

النقد الاسلامي انصب على النص الشعري، واهمل ما عداه

حتى الآن لم تتبلور نظرية محددة للنقد الاسلامي

الأخلاقية العلمية التى ينبغي أن يكون عليها الناقد المسلم: العلم - الموهبة المؤمنة - الخبرة والمران - نهج جلي في الحياة[١٢].

كما حاول الناقد تحديد القاعدة الأساسية التى يجب أن يقوم عليها «النصح»، «النقد» فأشار الى عدة مواصفات لها طابع أخلاقي: «صدق النية، وحسن التوجه إلى الله، وإخلاص العمل (...) بدون هذه النية الصادقة، قد يغلب الفجور على التقوى (...) ويموج التحاسد والتناجش والحقد الأسود المريض، وبدون هذه النية قد يسقط العمل إلى فتنة وشر[١٣].

٣- الطابع الشمولي :

أغلب النقاد الإسلاميين يؤكدون الطابع الشمولي للنقد الإسلامي، ويمكن إرجاع طابع الشمولية هنا الى شمولية الإسلام نفسه، ونزعته الى إقامة الوحدة المتوازنة المتعايشة بين أشياء وحاجات وجوانب مختلفة. يقول الدكتور عماد الدين خليل:

«النقد الإسلامي نقد شمولي، متوازن، شأنه في ذلك شأن سائر الفعاليات التى تتحرك في إطار الإسلام، لأنها تستمد من رؤيته الشاملة المتوازنة، مقوماتها وملامحها.. إن هذه الرؤية ترفض أشد الرفض تلك الخطيئة المنهجية التى مارسها الغربيون كثيرا واستمرؤوها طويلا: النظرة الأحادية الجانب.. التشبث بوجهة النظر المحددة رغم أنها تصدر عن زاوية ضيقة، بينما هناك إذا أردنا الاقتراب من الحقيقة عشرات الزوايا الأخرى لالتقاط صورة أقرب الى الواقع»[١٤].

ما هي العناصر التفصيلية المكونة لهذه الرؤية الشمولية..؟.

من الصعب أن نقدم هنا نموذجا نمطيا واصفا لكل الجوانب التى يغطيها التحليل في إطار النقد الإسلامي، وسنكتفي بالوقوف عند المراحل التى اقترحها أحد النقاد الإسلاميين في إطار ما سماه «مراحل العمل النقدي»[١٥].

أ - الدراسة العامة : في هذا المستوى يحاول الناقد تكوين تصور مبدئي عن النص، تجتمع فيه ملامح العناصر الفنية، «وقد تؤدي هذه الدراسة الى ترك النص أو الإقبال عليه»[١٦].

ب - البحث والدراسة والتقصي: تهدف الاقتراحات المقدمة في هذه المرحلة الى تحديد الاطار المرجعي للنص، وذلك من خلال التعريف بصاحب النص، والعوامل البيئية والاجتماعية التى ساهمت في تكون شخصيته، وكذا المناسبة التى كتب فيها.

ت - دراسة الموضوع الفني: تقتضي دراسة هذا الموضوع أن يعرف الناقد «ما يحمله الموضوع الفني من موازنة بين الفكر والعاطفة، ومن الالتزام بالعقيدة، ومن التناسق مع الشكل والأسلوب، ومن ملاءمته للخطة الزمنية التى خرج فيها الموضوع الفني، وملاءمته لأحداث البيئة، ونهج العقيدة»[١٧].

ث - دراسة الصيغة الفنية: يركز الناقد هنا على جانب الصياغة، ومدى قدرة المبدع على اختيار اللفظة «من حيث المعنى والظلال والجرس (...) وكذا من حيث طهارة الكلمة وشرف المعنى»[١٨].

ج - دراسة الأسلوب.

ح - دراسة الشكل الأدبي: يقترح الناقد هنا دراسة مدى توافر الشروط الفنية في الشكل الفني الذي اختاره الأديب.

كثافة القيم الايمانية والخلقية في النص تمنحه خصوصية الابداع الاسلامي

الابداع عند الاسلاميين لوظيفته وليس لذاته

هذه هي بعض المعالم الأساسية لهذا الاتجاه النقدي.

عموما يمكن القول مع أحد الباحثين: إن «المحاولات النقدية التي ظهرت لحد الآن (في إطار النقد الإسلامي) مطبوعة في الغالب بالعمومية والمراهنة على استكشاف المضامين الإسلامية أو فضح الطابع المعادي للمبادىء الإسلامية مع بساطة في المنهج وانفصام عن المنحى الفني الصحيح في العملية النقدية»[١٩] ■

الهوامش :

(١) د. محمد رجب البيومي: *النقد الأدبي من وجهة اسلامية*، مقال بمجلة الأدب الاسلامي الصادرة عن رابطة الأدب الاسلامي العالمية، العدد ١ ، رجب ١٤١٤هـ ص ٤.

(٢) هناك ـ مع ذلك ـ بعض المحاولات نذكر منها:

ـ د. مأمون فريزجرار: *خصائص القصة الاسلامية*، دار المنارة ـ جدة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ.

ـ صفوت يوسف زيد: *التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار*، الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٤٠٥هـ.

ـ عبد الرحمن صالح عشماوي: *الاتجاه الإسلامي في آثار باكثير القصصية والمسرحية*، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٤٠٩هـ.

ـ عبد الله بن صالح العريني: *الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية*، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٤٠٩هـ.

(٣) عماد الدين خليل: *هموم الأدب الإسلامي ورقة عمل حول المنهج*، منشورات الدفاع الثقافي وحدة، ط ١، ١٩٩٤، ص ١٤.

(٤) اعتقد أن هذا الجانب قد تناوله النقد الإسلامي إلى حد الإشباع. إذ لا نكاد نجد دراسة من الدراسات النقدية الإسلامية لا تتحدث عن مفهوم الأدب الإسلامي وأصوله وخصائصه وشروطه ... الخ أنظر على سبيل المثال ، لا الحصر:

ـ محمد قطب: *منهج الفن الإسلامي*، دار الشروق، بيروت، ط ٥، ١٩٨١، ص ١٦ وما بعدها.

ـ نجيب الكيلاني، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨١، ص ١٩٣ وما بعدها.

ـ محمد إقبال عروي: *جمالية الأدب الإسلامي*، المكتبة السلفية، ط ١ ، ١٩٨٦، ص ٣٥ وما بعدها.

ـ محمد أحمد حمدون: *نحو نظرية للأد ب الإسلامي*، دار الفنون للطباعة والنشر، جدة، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٥ وما بعدها.

(٥) عماد الدين خليل : *هموم الأدب الإسلامي، ورقة عمل حول المنهج*، ص ١٧.

(٦) نجوى صابر: *النقد الأخلاقي: أصوله وتطبيقاته*، دار العلوم العربية ـ بيروت ١٤١٠هـ، ص ٢٩ وما بعدها.

(٧) للمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة يمكن الرجوع الى ستانلي هايمن، *مدارس النقد الأدبي الحديثة*، ص ١٥٧.

(٨) رولات بارت: *لذة النص* ـ ترجمة فؤاد صفا والحسين سحبان، دار توبقال للنشر، ط ١٩٨٨، ١ ص ٥٤.

(٩) أورده المناوي في كنوز الحقائق ، صك ٤٥، وعزاه إلى الامام أحمد في المسند، انظر المسند ٣١٨/٢.

(١٠) د. عدنان علي رضا النحوي: *الأدب الاسلامي إنسانيته وعالميته*، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط ١ ، ١٩٨٧، ص ٣٠٥.

(١١) نفسه ، ص ٣٠٦.

(١٢) نفسه ص ٣١١.

(١٣) نفسه ص ٣١٢.

(١٤) د. عماد الدين خليل: *مدخل الى نظرية الأدب الاسلامي*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٨٩.

(١٥) د. عدنان على رضا النحوي: *الأدب الاسلامي إنسانيته وعالميته* ، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(١٦) د. عماد الدين خليل *مدخل الى نظرية الأدب الإسلامي*، ص ١٨٩.

(١٧) د. عدنان على رضا النحوي ـ ١٦ *الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته*، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(١٨) نفســه .

(١٩) رضوان بن شقرون: اشكالية المصطلح في نقد الأدب الاسلامي الحديث، مقال بمجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، عدد خاص عن «ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، سنة ١٤٠٩هـ، عدد ٤ ، ص ٨٩.

من
عيون الشعر

أوابـــد الشـعــر

□ حفل نقدنا العربي القديم بالكثير من المصطلحات التى استنبطها النقاد لتكون عوناً لهم في العملية النقدية، وفي النظر الى النصوص الأدبية، والحكم عليها جودة أو رداءة، والمتتبع للحركة النقدية عند العرب، يلحظ اهتمامهم الواسع، وعنايتهم الفائقة، ليس بوضع المصطلحات واستنباطها فحسب، بل بإيضاح المقصود من تلك المصطلحات، وبيان دلالاتها، وتحديد المراد منها، وسوى ذلك مما يغني المصطلح، ويجعله أكثر تحديداً، وأكثر قرباً من فهم المتلقي، وعلى الرغم من وجود هذا الاهتمام وتلك العناية، فإنه يجب أن نعترف أن هنالك الكثير من المصطلحات النقدية، لم تمتد إليها يد الدرس والبحث، ولم تحظ بالعناية الكافية من قبل الباحثين، وهي تحتاج من يميط اللثام عنها، وينفض عنها ما تراكم من غبار السنين، ولا سيما أن عدداً غير قليل من تلك المصطلحات، نقع عليه متناثراً هنا وهناك في كتبنا التراثية، في إطار النقد التطبيقي، وفي معرض نقد النصوص وتحليلها، دون أن يكون هنالك بيان واضح أو محدد لدلالات تلك الاصطلاحات.

ومن هنا فإن تحديد تلك المصطلحات، ومن ثم دراستها بعناية، والوقوف على دلالاتها، أمور ينبغي الاحتفال بها، والاهتمام بشأنها، حتى لا تبقى عرضة للفهم الخاطىء، والتفسير غير الدقيق، وتنحرف وظائف المصطلح عن جادتها الصحيحة، وتطغى صفات الفوضى والتبدل والقلق، لتحل محل الدقة والثبوت والتحديد، وغيرهامن الصفات التى ينبغي أن تتوفر في المصطلح.

ومن هنا رأيت أن أتناول بالدرس واحداً من مصطلحات النقد القديم، هو (أوابد الشعر)، لأقف على نشأته، وأرصد استخداماته عند كل من الشعراء والنقاد، وأتتبع دلالاته المختلفة، وسماته المتنوعة، من خلال العودة الى معاجم اللغة، والكتب النقدية التى ورد فيها ذكر هذا المصطلح.

للأوابد في معاجم اللغة معان كثيرة، منها الدواهي وأوابد الوحش وأوابد الأشعار وسواها، وما يهمنا من هذه المعاني هنا هو ذلك الذى يطلق على نوع خاص من الشعر، له سمات محددة، وخصائص معينة، سنأتي عليها، نعني أوابد الأشعار، فقد ورد في اللسان «جاء فلان بآبدة أي بداهية يبقى ذكرها على الأبد، ويقال للشوارد من القوافي الأوابد»[١]، ويشير الزمخشري إلى أن من المجاز قولهم: «فلان مولع بأوابد الكلام وهي غرائبه، وبأوابد الشعر وهي تلك التى لا تشاكله جودة»[٢].

وأوابد الأشعار واحد من المصطلحات النقدية القديمة التى ترجع جذورها إلى العصر الجاهلي،

فقد ورد عند غير شاعر منهم، كالنابغة الذبياني مثلا الذي يقول[٣]:

نبئت زُرْعة والسفاهةُ كاسمها
يهدي إلى أوابد الأشعار

واستمر ورود هذا المصطلح بعد ذلك على ألسنة الشعراء، بصيغ متعددة، منها (الآبدات) التي نقع عليها عند جرير مثلا حين يقول[٤]:

وسيّرنا قوافي آبدات
غلبن مهلهلا وأبا دؤاد

وهو يعني بها القصائد المتميزة، التي تفوقت على قصائد المشاهير من الشعراء في جودتها وحسنها، كمهلهل بن ربيعة، وأبي دؤاد الإيادي، وهما من كبار الشعراء في العصر الجاهلي.

ومنها (المؤبدة) كما في قول الكميت بن زيد الأسدي[٥]:

ونزورُ مسلمةَ المهذَّ
ب بالمؤيدة السوائر

ويقصد بها «قصائد أو أبيات المدح الخالدة»[٦] التي يبقى ذكرها على الأبد، وتسير على ألسنة الشعراء، وتنتقل من جيل إلى آخر.

ومنها (أوابد)، وهي الصيغة الأكثر استخداماً من قبل الشعراء، والأكثر دوراناً في أشعارهم، والمدقق في أشعار الشعراء، يلحظ بوضوح شديد غلبة هذه الصيغة على الصيغ الأخرى، وطغيانها عليها، من ذلك مثلا ما نجده في قول الفرزدق في هجاء جرير[٧]:

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم
وأوابدي بتنحّل الأشعار

فهو يتهم جريرا بانتحال الأشعار وسرقتها، ومع

د. حمود حسين يونس

قسم اللغة العربية
كلية المعلمين - عرعر

ذلك فإنه لن يستطيع اللحاق به أو مضاهاته في أوابده التي ينظمها.

وأما عن استخدام هذا المصطلح من قبل النقاد، فإننا نجد أن الجاحظ يقول: «بيوت الشعر الأمثال والأوابد، ومنها الشواهد ومنها الشوارد»[٨]، وهذا يعني أن الأوابد عنده هي «الأبيات الباقية على الدهر سائرة لجودتها النادرة»[٩].

ويشير ابن رشيق في معرض حديثه عن سيرورة الشعر إلى أوابد الشعر فيقول: «والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال، وأكثر ما تستعمل في الهجاء، يقال: رماه بآبدة، فتكون الآبدة هنا الداهية، قال الجاحظ: الأوابد: الدواهي، ومنه أوابد الشعر، حكاه عن أبي زيد، وحكى الأوابد: الإبل التي تتوحش... فإذا حملت أبيات الشعر على ما قال الجاحظ، كانت المعاني السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة، وإن شئت المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه، وإن شئت قلت: إنها في بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش في نفارها من الناس»[١٠].

إن تدقيق النظر في هذا النص النقدي الهام، وكذلك فيما حكيناه عن الجاحظ، ونقلناه من معاجم اللغة، ينتهي بنا إلى أن أوابد الشعر تحاكي الأمثال السائرة من حيث سيرورتها بين الناس، وانتشارها على الألسنة، وذيوعها بين العامة والخاصة، ووراء هذه الصفات تكمن أسباب كثيرة، إذ لا يتحقق ذلك الذيوع والانتشار، إلا لنوع خاص من الشعر، يتسم بجملة من السمات، ويختص بعدد من

الموضوع والإيقاع والوزن، من أبرز سمات الأوابد

الأوابد تلزم صاحبها وتعلق بقائلها

الخصائص، التي تؤهله لأن يكون في عداد أوابد الشعر، ولعل أولى تلك السمات والخصائص **الجودة**، وليس الجودة فحسب، بل الجودة النادرة التي لا تشاكل، ويبدو أن هذه الجودة لا تقف عند حدود الشكل أو المضمون، بل إنها تشملهما معا، فأوابد الشعر ينبغي أن تكون متميزة في شكلها ومضمونها، وأن تتحقق فيها شروط الإبداع الفني في أبهى صورها وأشكالها.

وجودة أوابد الأشعار، ونوعية المعاني التي تتضمنها، والتي تتناول موضوعات تتسم بالجدة والابتكار والأصالة، والقدرة على تجاوز الحدود الزمانية والمكانية، وملامسة آمال الناس وآلامهم.. كل ذلك قد يكون السبب في بقائها وخلودها، فهذا النوع من الشعر يتسم **بالبقاء والخلود**، وهذه هي السمة الثانية لأوابد الأشعار.

وثمة سمة ثالثة للأوابد، تتعلق بمبدعها، فهي **تَلْزَم صاحبها، وتعلقُ بقائلها لا تفارقه**، ولا يستطيع أحد من الشعراء أخذها أو السطو عليها وانتهاك حرمتها، وإن فعل ذلك فسره مفتضح، وأمره بائن، وذلك نظراً لما تتسم به من سمات الإبداع والاختراع، التي يختص بها قائلها دون سواه، ولعلها من هذا الجانب تقترب مما أطلق عليه النقاد في معرض دراستهم للسرقات الأدبية، وتصنيفهم لأنواع المعاني، بالمعاني المخترعة أو المختصة، التي عرَّفوها بقولهم: «المخترع من الشعر ما لم يُسْبَق إليه صاحبه، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه»[١١].

وقد وسمها حازم القرطاجني (بالمعاني العقم) «لأنها لا تلقح، ولا تحصل عنها نتيجة، ولا يقتدح منها ما يجري مجراها من المعاني، فلذلك تحاماها الشعراء، وسلموها لأصحابها علماً منهم أن من تعرض لها مفتضح»[١٢].

وقد بيّن أنها تحتل «المرتبة العليا في الشعر من جهة استنباط المعاني، من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك، لأن ذلك يدل على نفاذ خاطره، وتوقد فكره، حيث استنبط معنى غريباً، واستخرج من مكامن الشعر سراً لطيفاً»[١٣].

ومن سمات أوابد الأشعار كذلك، ما أشار إليه صاحب العمدة في نصه السابق، من أنها **أكثر ما تستعمل في الهجاء**، وهذا يعني أنها لا تقتصر على غرض الهجاء وحده، وإن كان جلُّها فيه، بل قد تكون في أغراض الشعر الأخرى، كالمديح مثلا، كما في بيت الكميت بن زيد الذي سلف ذكره، وأما عن دلالتها على الهجاء، واستخدامها في هذا الغرض، وفقاً لما ذكره ابن رشيق، فإننا نجد أن بعض الشعراء قد أشار إلى ذلك صراحة، من مثل مُزرد بن ضرار، الذي قال متوعداً[١٤].

فقد علموا في سالف الدهر أنني
مِعَنٌّ إذا جدَّ الجراءُ ونابلُ
زعيم لِمن قاذفتُه بأوابدٍ
يغني بها الساري وتُحدى الرَّواحل

فالأوابد ها هنا تعني قصائد الهجاء، التي سيوجهها الشاعر إلى خصومه، وقد أشار في عجز بيته إلى أن أوابده الهجائية ستنتقل بين الناس، وتنتشر على الألسنة، حتى يسمع بها القاصي والداني، ويبدو أنه سيتوخى في تلك الأوابد أن تكون ذات إيقاعات موسيقية سهلة سلسة ومطربة، حتى تكون صالحة للغناء، وتحدو على أنغامها الرواحل، وهذا أدعى

السيرورة والخلود سر إبداع الأوابد

لانتشارها وذيوعها وسيرورتها بين الناس، ولعل هذه الخاصية تكون سمة خامسة لأوابد الأشعار، تضاف إلى مجموع السمات السابقة، فالشعراء قد يقصدون في أوابدهم إلى الأوزان الشعرية ذات الإيقاعات المطربة السلسة، وذلك حتى يسهل حفظها، ومن ثم تداولها بين الناس، وانتقالها عبر الأجيال، ومن ثم يستطيع الشاعر أن يحقق غايته التى قصد إليها من خلال أوابده، فإن كان رمى إلى المديح، لهجت بذكر ممدوحه الأنام، وشهر اسمه بين الناس بفضائله الحميدة، وخلاله النبيلة، وإن كان قصد إلى هجاء أحدهم، طار اسمه كذلك في الآفاق، وعرف ولكن بخصاله السيئة، وصفاته الدنيئة.

هذه هي بعض سمات أوابد الأشعار التى وقفنا عليها، واستطعنا تحديدها من خلال الرجوع الى معاجم اللغة، واستخدامات الشعراء لها في أشعارهم، والعودة كذلك إلى النصوص النقدية التى أشارت إلى هذا المصطلح، ونبهت على وجوده، وبينت بعضاً من خصائصه المتعددة والمتنوعة في آن معاً، وقد رأينا أن من تلك الخصائص والسمات ما يعود إلى المبدع، ومنها ما يرجع إلى المتلقي، ومنها ما يتعلق بموضوعاتها ومعانيها التى تتضمنها، ومنها أخيراً ما يتصل بإيقاعاتها وأوزانها التى تنظم عليها ■

الهوامش :

(١) ابن منظور المصري. لسان العرب: مادة/ أبد، دار صادر - بيروت - بلا تاريخ.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة: مادة/ أبد. دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: د. شكري فيصل - دار الفكر - بيروت ١٩٦٨م - ص ٠٩٧

(٤) ديوان جرير بشرح محمد بن الحبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ، ٦٩٢/٢.

(٥) شعر الكميت بن زيد الأسدي - جمع وتقديم: د. داود سلوم - عالم الكتب - بيروت ط٢ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٧م - ١٩٤/١.

(٦) الشاهدالبوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - ص ٥١.

(٧) ديوان الفرزدق - دار صادر - بيروت - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - ٣٥٩/١، وثمة أمثلة أخرى على استخدام الشعراء لصيغة (الأوابد) في أشعارهم منها قول جرير مخاطباً الفرزدق:

وما بك ردٌّ للأوابد بعدما
سبقْنَ كسبْقِ السيف ما قال عاذلُهْ

(انظر ديوان جرير: ٩٧٠/٢).

ومنها قول حسان بن ثابت :

لكل أناس ميْسمٌ يعرفونه
وميْسمُنا فينا القوافي الأوابد

(انظر ديوان حسان بن ثابت - تحقيق: د. وليد عرفات - دار صادر - بيروت - ١٩٧٤م - ٥٠/١)

(٨) الجاحظ. البيان والتبيين - تحقيق: عبد السلام هارون - دار الفكر - بيروت - ٩/٢.

(٩) الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين: ٤٩.

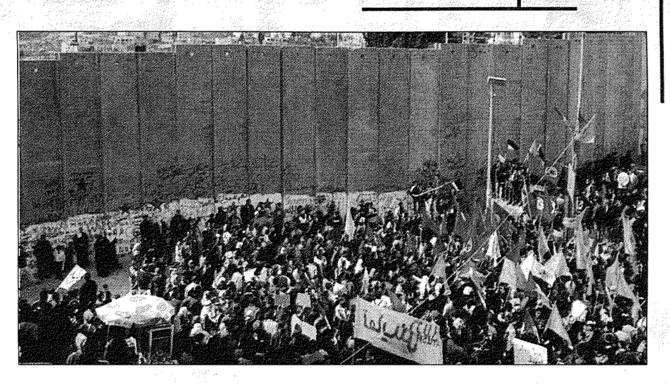
(١٠) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: د. محمد قرقزان - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ٨٦٩/٢.

(١١) نفسه ٤٤٨/١.

(١٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط ٣ - ١٩٨٦م - ص: ١٩٤.

(١٣) نفســه .

(١٤) المفضل الضبي المفضليات - تحقيق : أحمد محمد شاكر - عبد السلام هارون - دار المعارف - مصر - ط ٣ - ١٩٦٤م - ص: ١٠٠.



موقف اليهودية التلمودية من الآخرين

□ على درب العنصرية الرافضة للآخر - كل آخر - تتوالى نصوص العنصرية التلمودية، فنجد - ليس فقط رفض الآخر، وإنما لعنه، وذلك عندما « ينص التلمود على أن عقوبة يسوع في الجحيم هي إغراقه في غائط يغلى . . وفي ("مشناه توراه) » - (الشروح الشفوية للتوراة) - التى دونها موسى بن ميمون، ولخص فيها التلمود - دعوة إلى أن يقول اليهودى - كلما سمع اسم يسوع -: « أهلك الله الاسم الشرير . . و: فليبلي الاسم الشرير: يسوع الناصرى وتلامذته » .

«وفي التلمود أمر لليهود بإحراق أى نسخة من الانجيل، علانية إذا أمكن·· وفي الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٨٠م أحرقت مئات من نسخ الإنجيل، بصورة احتفالية، في القدس، تحت رعاية المنظمة الدينية «يادلعاخيم» ـ والتى تتلقى المعونات المالية من وزارة الشئون الدينية الإسرائيلية»[١]!!

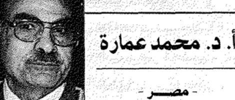
*** وتعميم اللعن على أموات الأغيار وأمهاتهم:**

«ينبغى أن يتلفظ اليهودي المتدين باللعنات إذا مر بجوار مقبرة غير يهودية، بينما يتلفظ بالتبريكات إذا مر بجوار مقبرة يهودية»·

«ومن مقاطع التلمود ـ تلك التى أعيد نشرها في إسرائيل·· في طبعة شعبية ـ تحت عنوان «هيرسونوت شاس» ـ والتى يتم تعليمها للأطفال ـ الأمر لكل يهودى كلما مر بجوار مقبرة أن يدعو بالرحمة إذا كانت يهودية، وأن يلعن أمهات الموتى إذا كانت المقبرة غير يهودية» ـ وفقا لـ (أرميا: ٥٠ ـ ١٢) ـ «تخزى أمكم جدا تخجل التى ولدتكم»[٢]·

*** واستعباد الأغيار :**

«في (كتاب التربية) ـ الذى أسهمت الحكومة الإسرائيلية بقدر كبير في نفقات طباعته ـ والذى طبعت منه طبعات عديدة ـ ويعد من أكثر الكتب شعبية في إسرائيل ـ في المدخل ٣٢٢ ـ : «وجوب إبقاء العبد غير اليهودى عبدا طيلة حياته ـ بينما ينبغى عتق العبد اليهودى ـ وذلك «لأن اليهود أفضل الكائنات البشرية، خلقوا ليعرفوا خالقهم وليعبدوه، ويستحقون الاحتفاظ بعبيد لهم، وإذا لم يكن لديهم عبيد من الشعوب الأخرى، سيضطرون لاستعباد بنى جلدتهم، الذين



أ. د. محمد عمارة

- مصر -

لن يتمكنوا بهذه الطريقة من خدمة الرب·· وهذا ما تقصده آية {لن تستعبد إخوتك الذين يتهيئون جميعا لعبادة الرب} (سفر اللاويين: ٢٥، ٤٦)·· «وإن تعبيرات من مثل: إن العبودية هى القَدَر «الطبيعى» لغير اليهود، قد أصبحت قابلة للتداول علانية،وحتى في التلفزيون، وعلى يد فلاحين يهود يستغلون العمالة العربية·· وحتى الذين يرفضون هذه المفاهيم، يرفضونها سياسيا، ولاعتبارات الجدوى، والمصلحة الذاتية اليهودية، وليس من منطق إنسانى وأخلاقى·· إذ يرونها مفسدة للمجتمع الإسرائيلي·· وغير ممكنة التطبيق في الظروف السياسية الراهنة·· ومؤدية إلى عزلة اسرائيل دوليا·· ومن حيث المبدأ فإن جميع الصهاينة تقريبا، وخاصة «اليسار» الصهيونى ـ وهم علمانيون ـ يشتركون مع المتدينين في اعتناق المواقف العميقة المعادية لغير اليهود، التى تعمل اليهودية الأرثوذكسية على تعزيزها في الوقت الحاضر·· وكل من يعيش في اسرائيل يعرف كم هى عميقة وشائعة مواقف الكراهية والقسوة تجاه غير اليهود جميعا بين غالبية اليهود الاسرائيليين»[٣]·

في القدس أحرق اليهود مئات النسخ من الانجيل في تظاهرة احتفالية

*** وحتى: إنكار إنسانية الأغيار·· واعتبارهم شياطين·· وكلابا·· وخنازير·· وحميرا:**

«كان ابن ميمون ينكر استطاعة

اذا مر اليهودي بمقبرة للآخرين لعن أمهات أولئك الموتى

قطاعات مختلفة من بني البشر بلوغ القيمة الدينية العليا، والعبادة الحقيقية للرب٠٠ ومن هؤلاء «بعض الترك [أي العرق المغولى] والقبائل الجوالة في الشمال، والسود، والقبائل الجوالة في الجنوب، ومن يشبهونهم بيننا - [أى في العالم الاسلامي حيث كان يعيش] - لأن طبيعتهم مثل طبيعة الحيوان الأبكم، فهم أدنى مرتبة من الكائنات الانسانية، ومرتبتهم بين الكائنات الحية أدنى من الإنسان، وأعلى من القرد؛ لأن هيأتهم أقرب إلى الإنسان منها الى القرد»[٤]٠

«ومن عقائد (الحركة الحسيدية) - التى هى استمرار للصوفية اليهودية٠٠ والتى لديها مئات الآلاف من الأتباع، الذين أحرز بعضهم نفوذا سياسيا كبيرا في إسرائيل، ويتواجدون بين قادة معظم الأحزاب السياسية، وحتى في المراتب العليا للجيش - «أن كل غير اليهود مخلوقات شيطانية، ليس بداخلها أى شيء جيد على الإطلاق، حتى الجنين غير اليهودى يختلف نوعيا عن الجنين اليهودى، كما أن وجود غير اليهودى مسألة غير جوهرية في الكون، فقد تشاكل الخلق من أجل اليهود فقط»[٥]٠

«والمرأة اليهودية العائدة من حمامها الطقسي الشهرى من أجل الطهارة، يجب أن تحاذر ملاقاة أحد أربعة كائنات شيطانية: أحد الأغيار٠٠ أو خنزير٠٠ أو كلب ٠٠ أو حمار٠٠ وإذا حدث وقابلت أحدهم يجب أن تعيد الاستحمام مرة ثانية»[٦]٠

*** وعموم هذه العنصرية حتى عند الملاحدة واليساريين اليهود :**

ولا يحسبن أحد أن هذه العنصرية، التى لا نظير لها في التاريخ البشرى والفكر الانساني، قد وقفت عند اليهود المتدينين، الذين يحتكمون إلى المصادر الدينية وإلى فتاوى الحاخامات٠٠ فلقد تحول هذا الفكر «الدينى» اليهودى إلى «ثقافة» انتمى إليها - تقريبا - كل اليهود، حتى أولئك الذين اختاروا الإلحاد في الدين، أو انتموا إلى الحركات اليسارية اللادينية٠٠ فكل اليهود - المتدينين والعلمانيين - في هذه العنصرية الغريبة والمتوحشة سواء٠٠ ويشهد على هذه الحقيقة البشعة «اسرائيل شاحاك» فيقول:

«إن دراسة الأحزاب الراديكالية والاشتراكية والشيوعية تقدم العديد من الأمثلة حول شوفينيين وعنصريين يهود - يعملون بالتقيّة - انضموا إلى تلك الأحزاب لأسباب تتعلق «بالمصلحة اليهودية» وهم يؤيدون التمييز الموجه ضد الأغيار٠٠ و«الكيبوتس» - وهي مؤسسة عمالية اشتراكية - إنما تمثل مؤسسة عنصرية مغلقة بوجه غير اليهود من مواطني إسرائيل»[٧]٠

ورغم أن هذه العنصرية المتوحشة قد كانت السبب الأول بين أسباب النبذ والاحتكار والاضطهاد التى حلت باليهود ، عبر تاريخهم - وخاصة في إطار الحضارة الغربية - إلا أن ذلك لم يجعلهم يراجعون هذا الفكر العنصرى وإنما زادهم ذلك استمساكا بالعنصرية٠٠ ونفاقا يخفون به هذه العنصرية عن أعين الرقباء في فترات الاستضعاف مبررين هذا النفاق والكذب بالعديد من المبررات٠

العبودية هي القدر الطبيعى لغير اليهود

وعن هذه الحقيقة يقول «اسرائيل شاحاك»:

«إن اليهود يكذبون بدافع الوطنية، اعتقادا منهم أن من واجبهم الكذب لصالح مصلحة يهودية، أولئك كذبة وطنيون، ترغمهم نفس الوطنية على الصمت عندما يشاهدون التمييز والقمع ضد الفلسطينيين»[٨].

«وأمام رقابة الدول الأوربية على المطبوعات اليهودية.. فإن التعبيرات التلمودية، مثل «غيرى» و«لايهودي» و«غريب» - التى تظهر في المخطوطات والطبعات الأولى - استبدلت بمصطلحات مثل «وثنى» و«همجى» و«كنعانى» و«سامرى» و«عربي» و«مسلم» - «يشماعيلى» - و«مصرى» .. لكن القارئ اليهودى يعرف أنها مصطلحات ملطفة للتعبيرات القديمة.. وفي نفس الوقت جرى توزيع قوائم بالمحذوفات التلمودية، على هيئة مخطوطات، تشرح التعبيرات الجديدة وتشير الى المحذوفة»!.

«وقد استخدم بعض الحاخامات، بعد الاحتلال الانجليزي للهند، حيلة تفيد أن أى إشارة تثير الغضب أو تحط من الكرامة يستخدمونها، يقصد بها الهنود فقط، وفي مناسبات أخرى، تمت الإشارة الى السكان الأصليين في استراليا اعتبارهم المقصودين بتلك التعبيرات.. أما في إسرائيل فلقد نشرت تلك المحذوفات التلمودية في طبعة رخيصة بعنوان «هيرسونوت شاس» ليقرأها الجمهور، ويتم تعليمها للأطفال اليهود»[٩].

وإذا كان اجتماع اليهود على هذا الكذب والنفاق هو من كبائر العجائب.. فإن الغريب والعجيب أن تبلور تيار عريض في الثقافة الغربية - من غير اليهود - يبرر لليهود هذا الكذب وهذا النفاق، حتى ليجعله «مذهبا» يدعون إليه.. وموقفا يدافعون عنه.. وعن هذا التيار الغربي، الذى يبرر هذا الكذب، والنفاق، يقول «إسرائيل شاحاك»:

«ويعتنق كثير من غير اليهود (بما في ذلك رجال الدين المسيحيين وبعض العوام المتدينين وكذلك بعض الماركسيين في جميع المنظمات الماركسية)، الرأي الغريب القائل: إن أحد أشكال «التكفير» عما أصاب اليهود من اضطهاد ، تعنى عدم الحديث عن الشر الذى يمارسه اليهود أنفسهم، بل المشاركة في «الكذب الأبيض» حول اليهود. كما أن الاتهام الفج بالعداء للسامية الموجه لأى شخص يحتج على التمييز ضد الفلسطينيين، أو يظهر أى حقيقة حول الديانة اليهودية، أو الماضى اليهودى، تتناقض مع «الصورة المتفق عليها» يأتى محملا بقدر أكبر من العداء من جانب «أصدقاء اليهود» أكثر مما يأتى من جانب اليهود أنفسهم»[١٠] ■

الأغيار: شياطين وكلاب وخنازير، بحسب تعاليم اليهود

للدراسة صلة -

الهوامش :

(١) اسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ٢٨، ٢٩، ٣٦. طبعة القاهرة ١٩٩٤م.
(٢) المصدر السابق . ص ١٦٨، ٣٤.
(٣) المصدر السابق . ص ١٧٢ - ١٧٥.
(٤) المصدر السابق . ص ٣٦، ٣٧.
(٥) المصدر السابق . ص ٤٠.
(٦) المصدر السابق . ص ٥٤.
(٧) المصدر السابق . ص ٢٢.
(٨) المصدر السابق . ص ٤٥.
(٩) المصدر السابق . ص ٣٣، ٣٤.
(١٠) المصدر السابق . ص ٤٥.





محمد هاشم رشيد

على دروب الشمس

ديوان شعر ١٤٢
للشاعر / محمد هاشم رشيد
منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي

□ ما أحلى ان تتحرك خطانا على دروب الشمس حيث الضياء.. ووضوح النهار.. وحركة الناس.. والحياة.. وشاعرنا محمد هاشم رشيد أراد لنا هذه الرحلة معه على دروب الشمس.. على اكثر من درب واحد.. الدرب الأول لرحلتنا جاء عبر «صدى الهجرة» :

لا يزال الصـدى يرن بسـمـعي
من «حـراء» ومن جـوانب «سلع»
وعلى كل بقـعـة من بقـاع الأر
ض تهـفـو الى الضيـاء المشع
لا يزال الصدى: صدى الثورة الكبرى
على اليـأس، والدجى، والقيـود
يتحـدى قـوى الظلام .. ويلقى
بالطواغيت .. في حنايا اللحود

ويلقى هنا تحتـاج ياؤها الأخيـرة الى تنقيط ..إلى أن يقول في وصف أخاذ:

ريع منه الضلال وابتأس الشرك.
وقـامت قـيـامـة الأوثان
وأصـيـبت «قـريش» منه بداء
سد في وجـهـها دروب الأمـان

ويسترسل في قصيدته «صدى الهجرة» قائلا:

وأذاقـوا الرقـيق والضـعـفـاء
والمسـاكين شـدة .. وبلاء
اسـألوا «ياسـرا» هناك عنهـا
ورعـاقـاً له قـضـوا شـهـداء

وأحسب انه يعني رفاقاً له .. وليس رعاقا كما جاء في الديوان خطأ..

ونتجاوز قصيدته «أغنية حب الى تونس» لنعيش مع حبه في «اليوم الوطني» فقال :

أقبلتَ تسبق موكب الزمن
يا أجمل الأيام في وطني
يا يوم وحدتنا .. وما حملت
للعرب .. من خير ومن منن
أقبلتَ ذكرى أمة صمدت
وشعار شعب قط لم يهن
ونشيد حب من جزيرتنا
نشدو به في يومنا الوطني

ومع مهرجان الفكر.. يتحدث يراعه..

اخوة الفكر .. ورواد البيان
مهرجان الفكر اسمى مهرجان
وصدى ألحانه تطوي المدى
بشذا العطر .. ونبض العنفوان

إلى أن يقول مشيراً الى «طيبة» مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

تزدهي بالصيد في سوح الوغى
وتحى عبقريات البيان..

ملاحظتان على هذا البيت.. ملاحظة أولى حول كلمة « **سوح** » ولعله كان يعني «ساح» الوغى.. اما الملاحظة الثانية فكان حريا به تصحيح كلمة «تحي» أو استكمالها بمعنى أصح على هذا النحو «تحيي».

وننتقل مع شاعرنا محمد هاشم رشيد حيث نقتحم معه دربا مشمسا حارا يتوهج بنهاره فنحن



سعد البواردي

- الرياض -

وإياه «في لهيب المعركة» ومع أول أبوابها .. «صوت من الماضى»..

في كل شبر من بلادى
فوق الجبال وفي الوهاد
صوت يرن بسمعي
ويقول: حي على الجهاد

ويقول :

ويرن في أفق الصدى
مستصرخا .. مستنجدا
«القدس» تنهشها الوحوش
وتستبيح «المسجدا»

ويختتم قصيدته قائلا :

سنعود رغم الغاصبين
ورغم تجار الفناء
سنعود .. فانتظري بنيك
المخلصين .. الأوفياء

وأخالها يا صديقى الشاعر مازالت تنتظر عودة بنيها المخلصين الأوفياء! وقد طال بها الانتظار..

ترى ماذا ألمَّ بشاعرنا في ليلة عيده؟. انه يندب حظه.. ويكاد يلطم خده ..

دمدمي واصخبي .. وثوري. فهذا الـ
ـيوم يوم المناحة الخضراء

والمناحة كما نعهدها تتشح بالسواد.. وليس بالخضرة .. ليته أحل كلمة «سوداء» مكان «خضراء»..

واقذفي بالدخان .. واللهب المعتم
في جبهة الوجود المرائي

واللهب لا يكون معتما.. وانما متوقدا متوهجا.. فالاعتام صفة من صفات الليل والسواد.. حبذا لو أبدل كلمة «معتم» بكلمة «محرق»..

ثم يقول في بكائية العيد :

دمدمي يا مدافع العيد إن
العيد أمسى مظاهرا ورسوما
دمدمي يا مدافع العيد إني
ها هنا في الدجى المروع وحدي
في ضلوعي أحس بالألم الباكي
وأصغى لهمسة المستجد
وبهدبي المخضل ترتعش الذكرى
وفي جبهتي ظلال التحدي
كمصباح المشردين يعانون
مع العيد صولة المستبد

ونقف على أسباب شكواه..

ولماذا الغناء والليل داج
مكفهر والفجر ضل سناه
أنغنى والجرح ينزف والعار
ثقيل به تنوء الجباه؟!

ويمسرى الرسول .. يجثم مسخ
أنكرت أرضنا الطهور خطاه؟

ثم يفسر لنا العيد كما يريد..

عيدنا الحق يوم لا يبصر العيد
بآفاقنا مظاهر بؤس
عيدنا الحق يوم نستأصل الشر
ونلقيه في قرارة رمس

وجميعنا يتطلع الى عيد الأعياد.. يوم أن نسترد أرضنا.. وشرف عرضنا .. وحقنا السليب.. «الجناح المهيض» درب من دروبه الذى يحتاج الى ضوء الشمس لكي يحلق.

أطلت وفي ناظريها نداء
نداء.. يجلجل في أضلعي
وذل توشحه الكبرياء
وترويه بالأمل الممرع
ومدت إليّ يداً تنطوى
على لقمة عَفَّرتها الرياح
وفي هدبها رعشة لم تزل
تخط بصدرى طريق الجراح

ويأخذ الحماس الحزين بشاعرنا الى قدر من الخيال الشاطح في رومانسيته لا يمكن تصديقه.. انه يقول:

وخاضت صحارى يموت الهجير
صريعاً، بأنفاسها اللاهب

ثم يسترسل في قصيدته:

بأحـــداقـــهـــا أمل مميت

وفي قلبـهـا ثورة صـاخـبـة

ويخاطبها ببيتيه الأخيرين:

أيا أخت عـفـوك لا تعـجـبني

اذا مـــا بكيت فنحن الجناه

تـركـنـاك لـلـنـاب والمخـلـب

وعـدنا كـمـا عـدت نشكو الحيـاة

وأتصور أن الشطر الأول من بيتيه على النحو الآتي :

أيا أخت عــفــوك لا تعـجـبي

وشاعرنا محمد هاشم رشيد.. يأخذنا معه ومع ابنه والعيد.. انه يقول:

عـمـره خـمس سنين وشـهـور أربعـه

عـاشـهـا وهو قـرير في أمـان ودعـه

مـثل أطفـال بلادي، لـم يصـارع زوبعـه

انه سعيد بعيشه .. وبطفولته :

لم يعش بعد كما عشنا بأعماق اللهيب

لا. ولم يبصر من الكون سوى اللون الحبيب

لوّن دنيـاه.. ودنيـا الطفل من زهر وطيب

وانطلاقـات اغـاريد على افق رحـيب

بجناحين يرفـان بإيقـاع.. ولحن..

ولكن الصغير وقد بدأ يعي ما حوله.. ويتطلع الى من حـوله بمنظار استطلاع طفـولي يقظ لمح دمعتين ساخنتين تنحدران على خدَّي والده.

يا أبي .. يا أبي .. أتبكي؟ أتبكي؟

في ضحى العيد.. في ظلال الهناء؟

لِمَ تبكي.. وليس في الكون إلا

زغـردات الأفـراح ملء الجـواء؟

ويأتي رد أبيه هامسا مشفقا على صغيره من صدى دموعه..

قلت يا طفلي الصـغـير لك السـعـد

لك اليـمـن في الضـحـى والمسـاء

في غد ان كبرْتَ .. ان لم تعد طفلا

كـبـيـراً يعـيـش بالأهـواء..

فستبكي.. كـمـا بكيت على العيد

وترنو إليـه باسـتـجـداء..

ولكن طفله بكى.. ومازال صغيراً لم يكبر بعد..

ويكى الطفل والمواكب مـــازالت

تغني في فــرحـــة وانتـشــاء

عـجـبـا قـد بكى الصـغـير ومازلنا

نغنى على دروب الشــقـــاء

ولِمَ العجب ومازال الغناء على دروب الشقاء في أن يبكي الطفل؟! إن الشـقـاء يبكي.. وان الطرق الموعرة تدمي الاقدام.. حتى وان كانت على دروب الشمس.. ولعل الصغير جاء باراً بدموعه المبكره قبل أن يفكر في عيد قادم قد يكون عيداً وقد لا يكون.. والى لقاء ■

شعر



نداء إلى قطز

كانت مشيئةُ الإلهْ
لمْ يبْق منْ ذنب سواه
تنازل الشيّْطان لهْ
عنْ كُلّ ما أغْوى .. وما أودى قذاه
أسدى إلى الشيّْطان كُلّ ما كفاه
يخزى جبينُ الخلق من إثم
أتـاه
شلّتْ يداه
الكوْن مشْطُورٌ إلى ..
إمّا صريع قال لا ..
أو خانع يقْفُو ثراه ! ! !

* * * *

لمّا خلتْ مواقعُ الآساد منّا ..
وارتضينا أن يهشّ جمعنا ..
نيلُ الطّغاه
ظنّ القطيعُ الأمن في وهم بناه
إليه يسعى يرتجى ..
منه النّجاه
فما أفاق من كرى ..
حتّى هوى ..
صريع بطش من عصاه
كما استجارت ..
بالذئاب الجائعة ..
شريدة من الشياه !!!

* * * *

تسابق الجمعُ الذّليل في رضاه
حتّى لثمْنا ..
كُلّ ما ألقت يداه
أغلى مُنانا رشْفة ..
من كأس سقط ..
من قذاه ..
تأمركت نفوسنا ..
نبدو بها ..
مسخ الحياه
استلقفتها ..
أنْفُسٌ فيها عمى
فاستعْذبت ..

فُجْراً همى
واستمرأت ..
ذُلَّ الجباه !!!
لساننا أكذُوبةٌ ..
في عُجْمة تُرْدى الشفاه
قُرآنُنا تمائمٌ مهْجُورة ..
لولا الحفيظ لانتهى ..
منَّا وتاه
أين الهويةُ التى تاهت سدى ..
بين الدُّروبْ
أين العُرُوبةُ التى كانتْ هُنا ..
ملء القُلُوبْ
ما ضاع من حياتنا ..
هلْ يا تُرى .. يوماً يعُودْ ؟؟

* * * *

بالرَّغْم منْ كُل الضَّياعْ
بالرَّغْم منْ كُل انْصياعْ
فحين قسَّم الورى
ألقى بنا ..
في زُمْرة القوم العُصاه
المارقين عنْ رضاه
كأنه الرَّبُّ الإله !!!
من بحره .. وأرضه .. وسماه
أهدى بلادنا .. بلاه
بكلِّ صرْصر محت ..
وجه الحياه
فات الأوانْ
لم يُجْد حتَّى أنْ تُرى الأقْدام حلَّتْ ..
حيث حلَّت الجباه
فقد أتى وقتُ العقاب
لأننا بعنا سماء سامية ..
كي نشترى منْهُمْ سرابْ
والْتَهمَ الذئبُ القطيع
مُبْتدئاً بما اشتهاه
وازدرد العراق يهوى في حشاه
فزُلْزلت .. بقيَّةُ الشياه
ضاع العراق يوم أن .. وأن .. وأن

على محمد عبدالمنعم

- مصـــر -

ونقبُوا عن كُلِّ أنْ ..
من قبل أن ..
تلقُوا جحيماً من محن!!!

* * * *

والآن أين يُرْتجي دربُ النَّجاه
ضلَّتْ بنا كلِّ الدُّرُوبْ
لم يبق من درب سوى ..
إلى جذُورنا نعُود .
إلى صراط مُسْتَقيم
نستلهمُ المجد العتيد
ذكراً مجيداً
وسُنَّة ..
بها نسُودْ
هيَّا نبيع ما اشتراه
فلا جُنُوح للطُّغاه
هيَّا إلى شهادة ..
فيها رداه
يصلى بها ناراً لظى..
وفي الجحيم منتهاه
وما رمينا إذ رمينا ..
إنَّما ..
رمى لنا الرَّبُّ الإله
هيَّا إلى ..
عـز الحياه
ما كانت الدُّنيا لمن ..
أحنى الجباه
ما كانت الدُّنْيا لمن ..
أحنى الجباه
كما التتار يا قُطُز
سينتهى كلُّ الطغاه
كما التتار يا قُطُز
سينتهى كل الطُّغاه





□ سبق القول في الحلقة الماضية أن الشريف عز الدين حميضة بن أبى نمى تولى إمارة البلد الحرام سنة ٧٠١ للهجرة الشريفة بعد وفاة أبيه، وأنه نودي له ولأخيه بالمسجد الحرام على قبة زمزم وفي شوارع أم القرى بمكة شرفها الله، وكانت ولايته في مستهل شهر صفر الخير من هذا العام وكان مراسيم توليه في يوم الجمعة، وكان الأمير عز الدين حميضة يتمتع بقسط كبير من الحرمة والجاه والشجاعة والكرم. وكان مقداما جسورا بحيث لا يمكن لأحد أن يتعدى طوره بين يديه. وكان الشعراء والبلغاء يمدحونه بما فيه من مكارم الأخلاق ومنهم الشاعر الأديب عفيف الدين عبد الله بن جعفر في قصيدة له ذكرها الإمام تقى الدين محمد الفاسي في تاريخه العقد الثمين قوله:

تحدثني يارياح الشيح والغار
عما تحملت من علم وأخبار

إلى أن قال:

لا تحسبوني أنسيت المواثق بل
حفظتها حفظ عز الدين للجار

حميضة الحسنى الندب خير فتى
كاسي من الحمد بل عار من العار

الى آخر الأبيات التى ذكرت بعضها في كتابى جلاء العينين. وقد سار الأمير الشريف عز الدين في ولايته سيرة حسنة فضبط الأمن في الربوع الحرمية وحارب الفساد وضرب المفسدين والمعتدين على أموال الناس بالنهب والسلب وقطع الطريق.

وفي ولايته اتفق أن شخصا امتدت يده لأخذ رطبة من نخل فقطع عليها يده فصارت بعد ذلك أموال الحجيج والمعتمرين والأهالى في الديار والبرية إن بقيت دون حراسة فلا يتعرض لها أحد من اللصوص وقطاع الطرق. هيبة لسلطان الأمير.

وقد ظل في ولايته حتى موسم الحج من سنته فعزل عنها مع أخيه ونقل إلى القاهرة مخفورا، لأن ولاية الحجاز آنذاك كانت لحكام مصر المحروسة. ثم إنه أفرج عنه وعن أخيه الشريف رميثة وأعيد الى ولاية البلدة المقدسة في عام ٧٠٤ للهجرة المباركة. بعد أن رضى عنه السلطان محمد بن قلاوون سلطان الديار المصرية وخلع عليهما الخلع والأعطيات وبالغ في إكرامهما ورفع مكانتهما على الملأ. فعادا الى الرحاب الحرمية برفقة الأمير عز الدين إيدمر الكوكندى في موسم حج هذا العام. ودخلا مكة شرفها الله في موكب عظيم وبعد

انقضاء الموسم أعلن ولايتهما من جديد. وأعلن عزل أخويهما أبي الغيث وعطيفة وكانا يليان إمارة البلاد المقدسة أثناء سنوات عزلهما، ولكن الأخوان ابو الغيث وعطيفة تضجرا من عودة أخويهما حميضة ورميثة وأبديا مقاومة ضدهما ولكن قبض عليهما فحملا الى القاهرة. فاستلم الأميران حميضة ورميثة زمام الأمور بالبلد الحرام وبدرت منهما حسن السيرة وطيب المعاملة. وتميزت بحسن السياسة فأبطل بعض المكوس المحرمة والضرائب الجائرة التى تثقل كاهل جيران بيت الله عز وجل وتؤذى عمار حرمه وحجاج بيته، فأحب الناس سيرته وحمد الأهالى ولايته، فدام عليها نحوا من تسع سنوات والأمور على خير ما يرام ولم ينشأ ما يعكر صفوها أو يكدر جوها.

ثم إنه ولابد من عثرة لفارس وكبوة للجواد فصدرت منهما ومن بعض عمالهما بعض التجاوزات بحق الأهالى والمجاورين والحجاج والعمار فضج الناس بالشكاوى فبلغت الى أسماع السلطان فبعث السلطان جيشا جرارا كثيفا بصحبة الأخوين السيد أبو الغيث والسيد عطيفة فعلم بقدومهم هو وأخوه فلاذا بالهرب من البلاد الحرمية الى جهة حلى بنى يعقوب وهو موقع كما حدده العلامة ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين مكة المشرفة مسافة ثمانية أيام. فعلم بهروبهما أخواهما أبو الغيث وعطيفة القادمين بصحبة الجيش القاهرى فطارداهما ولكنهما لم يظفرا بهما وكانا قد تسلما زمام الأمور بالبلد الحرام.

وبعد أن غادر الجيش المصرى أعتاب الديار الحرمية علم الأمير حميضة عز الدين خلو مكة شرفها الله من الجيش المصرى الداعم لولاية أخويه ابي الغيث وعطيفة فانتهز بقاءهما مجردين من القوة فهاجم أم القرى مرة أخرى فاستطاع أن ينتزع ولاية البلدة المعظمة من أخويه أبي الغيث وعطيفة وكان ذلك في سنة ٧١٤



السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

للهجرة الشريفة. وظل واليا للبلد الحرام بمفرده مستقلا بها حتى شهر رمضان المبارك من هذه السنة فورد عليه شريكه وأخوه رميثة بقوة عسكرية ضد أخيه وشريكه عز الدين وهذه المرة يحدث النزاع بين الشريكين.

فعلم بذلك الأمير عز الدين حميضة فانزاح الى وادى النخلة التى كانت ملجأ وملاذا آمنا لمن تكدرت عليه الخواطر وانتزعت منه الأوامر من أمراء البلد الأمين في تلك الأيام. فطورد من قبل أخيه الأمير رميثة فلجأ الى العراق واستنصر الأمير خربندا التتارى فوعده بالنصر وجهز له قوة عسكرية كبيرة ولكن جرت الأمور على غير ما يريد فقد ذكرت بعض تفاصيل هذه القصة في كتابى جلاء العينين.

ثم عاد الى البلاد الحرمية وأقام بنخلة مدة من الزمن ثم استطاع أن ينتزع الأمر من أخيه رميثة وتمكن من إخراجه من الرباع الحرمية بموافقة الشريف رميثة نفسه وبموافقة أهل مكة شرفها الله، وتسلم زمام الأمور بها وحكم البلاد الحرمية وقطع الخطبة والدعاء عن السلطنة القلاوونية المصرية ووجهها الى ملك التتار أبو سعيد الخربندا ولكن لم تدم ولايته بعد ذلك طويلا.

فعلم بما يجرى السلطان الناصر بن قلاوون فوجه جيشا الى الرحاب الأبطحية لقتاله وذلك في سنة ٧١٨ للهجرة، بقيادة القائد الأمير صارم الدين أزبك الجرمكى فلما علم بذلك الأمير حميضة هرب من البلاد الحرمية الى البرية فأسند الجيش ولاية البلد الحرام الى أخيه عطيفة عوضا عنه وظل السيد حميضة منقطعا حتى قتل في سنة ٧٢٠ للهجرة وذلك في شهر جمادى الثانية من هذه السنة على بعض الأقوال، فرحمة الله عليه ■

ـ للحديث صلة ـ



مقال من وحي القلم

(تأليف الاستاذ مصطفى صادق الرافعي)



□ *قلت في بحث كتبته عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي من قبل[١].*

« تستطيع أن تجد لكل أديب شبيها يماثله في السابقين أو المعاصرين، ولكنك لا تستطيع أن تجد لمصطفى صادق الرافعى في نثره الشاعرى هذا الشبيه إذ كان الرجل نسيج وحده دون خلاف.

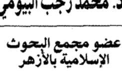
إذا طلبتَ للرافعى شبيها يحاكيه فاترك الإنسان الى غيره من مظاهر الطبيعة، لتجد للرافعى هذا الشبيه المنشود، هل رأيت الرعد المجلجل الذى يأخذ عليك سمعك وشعورك حين يدوّي في الفضاء، هكذا يكون الرافعي حين يزأر غاضبا لحرمة تنتهك، أو معصية تذاع!

هل رأيت الزلزال المدمـر، يبعث اللهب ويرمى بالشواظ، هكذا يكون الرافعى حين يقف أمام أعداء الإسلام ليرجمهم بالنقد القاتل، ويسحقهم بالصاعق المبيد؟.

ثم هل رأيت النسيم الهادىء يرف على الروض الزاهر ، ليحمل عبيره الفواح الى النفوس، يشرح به الصدور، ويمتع به الأحاسيس! هكذا يكون الرافعى إذا رق في عتاب، أو عذب في مناجاة، أو حَنّ إلى غائب حبيب، ثم هل رأيت النمير العذب يترقرق به الجدول الصافي، فتنهل منه شرابا لذيذ الرشف حلو الوقع في اللهاة والصدر، هكذا يكون الرافعى إذا روى حديثا عن السلف الصالح يفيض بالعبرة الواعظة، ويدعو إلى القدوة الحسنة، عن هدى وإيمان.

هذه هى أشباه الرافعى حين تتطلب له الشبيه في دنيا الكتابة والكاتبين!..»

هذا ما قلته فى بحث لي كتبته من قبل، وقد أردت اليوم أن أكتب عن كتابه (وحي القلم) فتعاظمنى أن يكون هذا السفر الرائع في دنيا التصوير الأدبي الخلاب مجالا لمقال واحد! فرأيت أن آخذ منه مقالا واحدا تدور حوله الأحاديث، ليكون مطلع القصيدة من معلقة نادرة الأبيات، وأنا معذور حين أتجه هذا الاتجاه، وقد برع الرافعى في أحاديثه الدينية عن كبار الأئمة من رجال السلف، فتحدث عنهم حديثاً يقرأه من عرف سيرة هؤلاء، فيجد تصويراً لهم لم يقع في خاطره من قبل، ويجد النبتة الصغيرة التى يعرفها في كتب التراجم والطبقات قد صارت دوحة زهراء مورقة، تحفل بالثمر اللذيذ، ويصدح فوقها الطير، ولن آخذ مقالى مما كتبه عن هؤلاء العظام، أمثال الحسن البصرى وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي والعزّ بن عبد السلام، وابن دقيق العيد وغيرهم، لأن مواقفهم الرائعة قد تكون باعثة هذا الإلهام المتدفق في أسلوب الرافعي، وسراً من أسرار جاذبيته الكبرى، ولكنى أختار موضوعا مألوفاً نراه عشرات المرات في حياتنا، حتى يتصفه الوصف الذى لا يترك شاردة أو وارده من محسوسه المشاهد، هذا الموضوع المألوف المشتهر نقرأ عنه للرافعى



أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فنجد ما لم يطرأ على تصور إنسان! لأن الرجل ذا الخيال الواثب قد قفز به خياله إلى آفاق لا يحلق فيها سواه، حتى أتى بأعجب وأبدع وأغرب ما يقال!.

كلنا قد شهد جلوة العروس ليلة زفافها، مشهد المنصة المحفوفة بالزهر، وفوقها تاج من الورد النضير، وفيها العروسان يأتلقان ككوكبين نيّرين، ومن فوقهما الثريات الكهربائية تملأ المكان بروائع الضوء، وقد وفدت الأوانس والأتراب في أبهج الحلل مشرقات اللمح والحسن يشاركن في هذا المحفل فزدنه ضياء وبريقا، كما جلست فتاة صغيرة جميلة أنيقة في أسفل المنصة فأضافت معنى الأبوة المنتظرة عن قريب.

كلنا قد رأينا ذلك في أرقى مناظره وأبدعها، حتى ليستطيع كل أب أن يهيىء هذا المنظر الرائع متى توفرت دواعيه، فأدواته حاضرة، وعناصره مهيأة، ولكن هذا المشهد قد جلاه الرافعي بقلمه حين زفت ابنته الحبيبة إلى قرينها، وجلست معه في منصة الجلوة، فكتب مقالا تحت عنوان (عرش الورد) لا يكتبه إلا الرافعي الكاتب، ولا يستطيع أن يحلله مبيناً لوامح العبقرية في تصويره غير الرافعي الناقد! وحسبي أن أقدمه الآن موجزاً للقارىء ليغني بنفسه عن كل شرح، إذ كل شرح يضائل من حقيقته، لأنه لا يبلغ مداه البعيد!.

بدأ الرافعي مقاله بأن جعل الحفل حُلْماً خرج من النوم الى اليقظة فقال[٢] **«كانت جلوة العروس كأنها تصنيف من حُلم توافت عليه أخيلة السعادة، فأبدعت إبداعها فيه حتى إذا اتسق وتم، نقلته السعادة إلى الحياة في يوم من أيامها الفردة التى لا يتفق فيها في العمر الطويل الا العدد القليل، خرج الحلم السعيد من تحت النوم الى اليقظة، وبرز من الخيال إلى العين، وتمثل قصيدة بارعة جعلت كل ما في المكان يحيا حياة الشعر، فالأنوار نساء، والنساء أنوار، والأزهار أنوار ونساء، والموسيقى بين ذلك تُتَمِّمُ من كل شيء معناه، والمكان وما فيه نغم في نغم، وسحر في سحر».**

هذا هو الحلم الذى انتقل من النوم الى اليقظة، فماذا عن الجلوة نفسها؟ أهي مما صنع البشر، أم أنها فوق ما يصنع البشر؟ لأنها هبطت من السماء، ولم تأت من عالم الأرض؟! إنها كما قال الرافعي:

«رأيت كأنما سحرت قطعة من سماء الليل، فيها دارة القمر، وفيها نثرة من النجوم الزهر، نزلت فحلت في الدار، يتوضحن ويتألقن من الجمال والشعاع، وكأنما سحر الربيع فاجتمع في عرش أخضر، قد رُصّع بالورد الأحمر، وأقيم في صدر البهو ليكون منصة للعروس، وقد نسّقت الأزهار في سمائه وحواشيه على نظمين منها مفصل ترى فيه من الزهرتين من اللون الواحد زهرة تخالف لونهما، ومنها مكبس بعضه فوق بعض، من لون متشابه أو متقارب، فبدا كأنه عش طائر من طيور الجنة أبدع في نسجه وترصيعه بأشجار سقى الكوثر أغصانها».

فالوصف الحسى للزهر المتناسق يقترن بصورة خيالية لعش طائر ملكى من طيور الجنة رُصِّع بأشجار لم يسقها ماء النيل، ولكن ماء الكوثر قد وفد إليها من الجنة فرويت منه حتى أزهرت!.

«وقامت في أرض العرش تحت أقدام العروسين ربوتان من أفانين الزهر المختلف لونه، يحملها خمل من ناعم النسيج الأخضر على غصونه اللدن تتهافت من رقتها ونعومتها»، أما تاج المنصة الوردى فقد قال عنه الكاتب المصور:

«وعقد فوق هذا العرش تاج كبير من الورد الناضر كأنما نزع من مفرق ملك الزمان الربيعي، وتنظر إليه يسطع في النور بجماله الساحر، سطوعاً يخيل إليك أن أشعة الشمس التى ربّت هذا الورد لا تزال عالقة به،

وتراه يزدهي جلالا، كأنما أدرك أنه في موضعه رمز مملكة إنسانية جديدة، تألفت من عروسين كريمين، ولاح لي مراراً أن التاج يضحك ويستحي ويتدلل، كأنما عرف أنه وحده بين هذه الوجوه الحسان، يمثل وجه الورد».

إن قول الرافعي إن ورد التاج الذي رمته أشعة الشمس في مغرسه، لم تفارقه الشمس في هذه الجلوة، بل علقت به فازدهى جلالا يمثل وثبة تصويرية نادرة، فإذا كان هذا التاج يدرك أنه رمز لمملكة إنسانية جديدة تألفت من عروسين كريمين، فقد عرف سرَّ جماله كما عرف أنه من الوجوه الحسان ـ وهي عند الإنسان تفوق الورد في تأثيرها الخالب ـ قد زادا قدراً وبهاء عليها! لأنه وحده سر الجمال! يخيل اليَّ أن للرافعي حواس أخرى تساعد الحواس المعروفة، وقد جعلت من النظر واللمس والشم والسمع والذوق أشياء أخرى يدرك بها فوق ما يدرك الناس، والا فما الذى جعل أشعة الشمس تلازم الورد في الليل لا في النهار! وما الذى جعل التاج يدرك أنه رمز لمملكة جديدة ستظهر عن قريب! ولماذا ضحك ورد التاج حتى برِّ وجوه الحسان، وهن ماهنّ! أليست حواس الكاتب الكبير فوق حواس القراء والكاتبين!.

أما الجمال حقاً ففي قول الرافعي «**وتدلت على العرش قلائد المصابيح، كأنها لؤلؤ تخلَّق في السماء لا في البحر، فجاء من النور لا من الدر، وجاء نوراً من خاصته أنه متى استضاء في جو العروس أضاء الجو والقلوب معاً، هذه لفتات روحية عذبة، وما المظاهر الحسية للنور واللؤلؤ الا وثبة من وثبات هذه الروح المحلقة التى نقلت النور من العيون الى القلوب، فأصبح لها إنسان باصر يتمتع ويسحر ويتيه!».**

أما أتراب العروس وهن ماهن، فقد كن حاشية رائعة للعروسين حين جلسا جلسة كوكبين حدودهما النور والصفاء، «**وأقبلت العذارى يتخطرن في الحرير الأبيض كأنه من نور الصبح، ثم وقفن حافات حول العرش حاملات في أيديهن طاقات من الزنبق تراها عطرة بيضاء ناضرة حييّة، كأنهما عذارى مع عذارى وكأنما يحملن في أيديهن من هذا الزنبق الغض معانى قلوبهن الطاهرة هذه القلوب التى كانت مع المصابيح، مصابيح أخرى فيها نورها الضاحك».**

إن هذا التصوير الحيّ لدى الرافعي نجد أمثاله عند من؟ عنده وحده فيما أبدع من آثار نادرة نجدها في كتب غير وحي القلم، تحمل عناوين، أوراق الورد، والسحاب الأحمر، وحديث القمر، ومزيّة وحي القلم على هذه وغيرها كالمساكين ورسائل الأحزان؛ إن الرافعي في وحي القلم قد رأف بالقارىء لأنه يكتب المقال في صحيفة أسبوعية قد يقرؤها من لا يستطيع اللحاق به فمن حقه عليه أن يقدم له ما يمكن أن يرتقي إليه، أما هذه الكتب، فليست ملكاً لكل قارىء، إذ لا يتجه إليها غير من يعرف سحر الرافعي ورمزه وإيحاءه وإيغاله في الحلم البعيد، وهو بهذه المعرفة مضطر إلى أن يصبر ويصابر حتي يبلغ كثيرا مما يريد!.

أما وصف الطفلة الصغيرة التى جلست تحت أقدام العروسين، فيغضّ منه أن نفسده بالشرح الشاحب الكليل، ولكننا ننقله كما رواه الرافعي في قوله:

«واقتعدت درج العرش تحت ربوتى الزهر، ودون أقدام العروسين طفلة صغيرة كالزهرة البيضاء تحمل طفولتها، فكانت من العرش كله كالماسة المدلاة من واسطة العقد، وجعلت بوجهها للزهر تماما وكمالا، حتى ليظهر من دونها كأنه غضبان منزو ولا يُرى، وكان ينبعث من عينيها فيما حولها تيارٌ من أحلام الطفولة جعل المكان بمن فيه، كأن له روح طفل بغتته مسرة جديدة، وكانت جالسة جلسة شعْر تمثل الحياة الهنيئة المبتكرة لساعتها، ليس لها ماض من دنياها، ولو أن مبدعاً افتن في صنع تمثال للنية الطاهرة وجيء به في مكانها، وأخذت هى في مكانه لتشابها وتشاكل الأمر، وكأن وجودها على العرش

دعوة للملائكة كي تحضر حفل الزفاف وتباركه. وكانت بصغرها الظريف الجميل تعطي لكل شيء تماما، فيرى أكبر مما هو، وأكثر من حقيقته، كانت النقطة التي استعلنت في مركز الدائرة، ظهورها على صغرها هو ظهور الإحكام والوزن والانسجام في المحيط كله».

بهذا النص النثرى المبدع، تضامن الشعر في حضرة النثر، وأثبت الرافعى أنه شاعرٌ؛ شاعرٌ في إبداعه النثرى شاعرٌ يمد نظره الى الغيب الممتد قبل أن يمد بصره إلى المشاهد الملموس، وإلا فمن كان يدرك أن الطفلة الطاهرة كان وجودها على العرش دعوة للملائكة كى تحضر حفل الزفاف وتباركه غير بصر شفاف ناقد هو بَصَر مصطفى صادق الرافعى، لقد كدت أقول بالجلاء البصرى الذى يتحدث عنه من يتحدثون على عالم الروح فيرون مالا يراه الناظرون.

هذا بعض ما قال في وصف المشهد الساحر، أما أثره بعد ذلك في نفس الكاتب الوالد الحنون فهو ما عبّر عنه في قوله «**عرش الورد كان جديداً عند نفسى على نفسى، وفي عاطفتى على عاطفتي، نزل صباح يومه على نفسى بروح الشمس، وجاء مساء ليلته لقلبى بروح القمر، وكنت عنده كالسماء أتلألأ بأفكارى كما تتلألأ بنجومها، وقد جعلتني أمتد بسرورى في هذه الطبيعة كلها، اذ قدرت أن أعيش يوماً في نفسي، ورأيتُ وأنا في نفسى أن الفرح سرّ الطبيعة كلها، وأن كل ما خلق الله جمالٌ في جمال، فالله تعالى نور السموات والأرض وما يجيء الظلام مع نوره».**

إن إيمان الرافعى يتغلغل في كل ذرة من ذراته، وكنت وأنا أقرأ مقاله قبل أن أبلغ هذا المقطع أفكر في أن هذا الوصف السحرى مصدره الإيمان الرائع بخالق هذا الكون الساحر، وما رسخ هذا الإيمان في عقله إلا بعد مشاهد حية ملموسة في حياته، فجاء هذا المقطع ليصدق ما فكرت فيه، وبعد سبحات رائعة بارعة ختم الكاتب الكبير مقالته بتلك اللفتة الساحرة:

«كان الشباب في موكب نصره، وكانت الحياة في ساعة صلح مع القلوب حتى اللغة نفسها لم تكن كلماتها إلا ممتلئة بالطرب والضحك والسعادة آتية من هذه المعانى دون غيرها، مصورة على الوجوه إحساسها ونوازعها، وكل ذلك سحر عرش الورد، تلك الحديقة الساحرة المسحورة التى كانت النسمات تأتى من الجو ترفرف حولها متحيرة كأنما تتساءل: أهذه حديقة خلقت بطيور إنسانية، أم هي شجرة ورد من الجنة بمن يتفيأن ظلها ويتنسمن شذاها من الحور، أم ذاك منبع عطرى نورانى لحياة هذه الملكة الجالسة على العرش».

لا أدرى كيف سيطرت عليّ روح الرافعى في مشهد عرس رأيته من بعد، لقد كان والد العروس من كبار الأغنياء ذوى الملايين، فرأيته عابس الوجه كأنما يجلس في مأتم، وكان يرى مشاهد العرس التى وصفها الرافعى وكأنه يرى سعيراً يتأجج، لم أجد لديه بصيصاً من السرور والطرب والسعادة التى تحدث عنها صاحب وحي القلم؟!

فظننت أن الأب مريض بداء جسمى يكتم ألمه. وتظهر دلائله في عبوسه، فتقدمت أسأله متحيرا، فقال في ثورة: فرح وزفة وتبذير! إنها حماقة امرأتي، أترمي النقود هكذا كالمجانين!! تأوهت من أعماقى، وقلت: إن الرافعى الموظف الصغير يطير من الفرح في ليلة الزفاف، وصاحب الملايين يتفجر من الغيظ لما يراه من حمق امرأته حين دعت الناس إلى حفل صغير!! وأطرقت برأسي إلى الأرض لأكتم ما يملأ وجهي من الانفعالات!!.. رحم الله الرافعي ■

الهوامش :

(١) النهضة الأدبية في سير أعلامها المعاصرين جـ ٣ ص ٢٩ الطبعة الأولى.

(٢) مقال (عرش الورد) من الجزء الأول من وحى القلم ص ٣٩ وما بعدها.

نحو مسرح إسلاميّ هادف

□ ***في عصر الأقمار الصناعية والغزوات الاستعمارية التي تُشن علينا من جميع الجهات على هيئة برامج وأفلام ومسلسلات ومسرحيات تترك آثاراً سيئة على شباب الأمة وأطفالها على وجه الخصوص وتشدهم نحو هاوية الانحراف والرذيلة.***

في ظل عصر هذا حاله، ما أحوجنا إلى أن نسرع فنمتطي صهوة هذه الأقمار ونقوم بغزوات فكرية مضادة ننشر من خلالها الإسلام وحضارته في العالمين.. ونظهر دور الأبطال العظام الذين استطاعوا بسلاح «العلم والإيمان» أن يتسيّدوا العالم ويؤسسوا أعظم دولة وأرقى حضارة عرفها الإنسان عبر العصور والأزمان كافة.

يُعدّ المسرح .. من الوسائل الإعلامية الأكثر تأثيرا في عقول الجماهير.. والحق أقول إنني أشعر بمزيد من الحزن والأسى عندما أشاهد على شاشات التلفاز التي تديرها بعض الدول العربية والإسلامية حوارات ولقاءات مستفيضة مع (س) من الممثلين الذين يتفاخرون ويتنافسون ويتجادلون على من له الحق في كونه الممثل الذى أتقن شخصية هاملت، أو فاوست، أو عطيل، أو ماكبث.. ولا أدرى أهؤلاء جميعاً في شجاعة المعتصم أم في بطولة صلاح الدين الأيوبي؟!!.

إن تاريخنا الإسلامي حافل بالمواقف والبطولات العظيمة التي لو صيغت صياغة جيدة – من قبل كتابنا – لصارت أعمالا فنية عالمية. بدل الاقتباس من أعمال الغرب التي في معظمها تنشر الرزيلة وما هو مخالف لشريعتنا وسلوكياتنا .

وإني أدعو كتابنا إلى الغوص في تراثنا وتاريخنا ففيهم الدرر والنفائس التي يمكن مسرحتها .

ولكن كيف يكون المسرح الإسلامي ؟ أو كيف نصل إلى مسرح إسلامي جاد وهادف ؟ ..

نشأة المسرح .. وموقف الإسلام منه :

كانت النشأة الأولى للمسرح في بلاد الأغريق، ومنها انتقل إلى روما وغيرها من الدول والممالك الوثنية القديمة، وقد اعتمد في نشأته على «الميثولوجيا» أو الأساطير بهدف نشر المعتقدات الوثنية، مع ابرازالصراعات الغامضة بين آلهة صوّرتها مخيلتهم.

الى أن ظهر نبي الله عيسى عليه السلام. وبدأت دعوته لعبادة الواحد الأحد تلقى قبولا حسنا في قلوب البشر، وانتشر أثرها في مناطق واسعة.. وبظهور دعوة المسيح وانتشارها، اختفى

المسرح الوثني.. إلا أنه وبعد عدة قرون مضت ظهر في ثوب جديد بتشجيع من الرهبان والقساوسة الذين كانوا يستخدمونه كوسيلة لنشر المواعظ الكنيسية بين الجماهير، والدعوة للنصرانية القائمة على موروث مشوّه ومحرّف عبثت به الأيدي.

ثم تطور المسرح الأوروبي في ظل ما استجد من جمعيات ونقابات فنية، ليبدأ في معالجة أمور اجتماعية وموضوعات الحياة العامة.. إلا أنه سرعان ما انحدر مرة أخرى الى التراث المسرحى القديم عند اليونانيين والرومانيين.

ولقد أدرك الأوروبيون أهمية المسرح كأداة لتوصيل أفكارهم وثقافتهم إلى غيرهم من الشعوب.. فسعوا إلى تصدير الفن المسرحى إلينا ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادى، وسلكوا في ذلك مسلكين:

أولهما : الحملات الاستعمارية للبلاد العربية والإسلامية التى حرصت على غرس الثقافات الأوروبية تحت شعارات انبهرت بها الفئات العلمانية ووقعت في مصيدتها وحبائلها وعلى رأس هذه الشعارات (التنوير).

ثانيهما: الرحالة والمستشرقون والمستثمرون الأوربيون الذين مكثوا في البلاد العربية والإسلامية ونجحوا في تكوين جاليات مستقرة تروّج لأفكارهم في مجتمعاتنا. وبنفوذها ساهمت هذه الجاليات في تعريب عشرات المسرحيات

فيصل صالح أسعد

- جـدة -

الغربية التى تم عرضها على خشبات المسارح في وطننا الإسلامي الكبير.

وتلك كانت بداية نشأة المسرح في بلادنا فكان مسرحاً مقلداً منسوخاً وممسوخاً لا هم له سوى الترويج لأفكار الغرب ومعتقداته، وللأسف الشديد مازال المسرح في معظم البلاد العربية ينتهج هذا النهج حتى الآن..!!

ولكن .. ما موقف الإسلام من الفن المسرحى ...؟

نقول إن المسرح بحد ذاته إنما هو مجرد وسيلة يمكن استخدامها في نشر الخبر، ويمكن استخدامها في الإفساد ونشر البدع والخرافات والترويج لأعمال الشر.. شأنه في ذلك شأن المذياع والتلفاز وغيرهما من وسائل الإعلام.

والأصل في الأشياء الإباحة، وعلى من يحرّم أن يأتى بالدليل من كتاب الله وسنة النبى {صلى الله عليه وسلم}.. فإذا كان المسرح بوضعه الحالى يدخل بالفعل في دائرة المحرمات لما يقدمه من منكر وإسفاف ومجون وغيره من الأمور التى تخالف الشريعة.. فلماذا نحرّمه إذا خلا من ذلك؟..

وحتى نضع النقاط على الحروف في هذا الصدد، فإننا نضع بين يدى القارىء العزيز خلاصة ما اتفق عليه جميع العلماء والفقهاء حول

الأحكام الشرعية في فن التمثيل المسرحي. ويمكن وضع تصنيفهم لهذه الأحكام على النحو التالي:

- **حرام** إذا كان مصاحبا لمفسدة أو منكر.. أو كان يدعو إلى مفسدة أو منكر وذلك من باب سد الذرائع الفاسدة.. ولنضرب مثلا: فالتمثيل الفاجر الخليع والرقص، وظهور النساء المتبرجات والكاسيات العاريات.. وكلها أمور تمثيلية تؤدى الى الفتنة وانتشار الفساد والكبائر في المجتمع كالزنى وشرب الخمر والمخدرات واللواط.. الخ.

- **مكروه** .. إذا كان فيه صغائر المعاصي والذنوب.. مثال ذلك قيام الأشخاص بمسخ أنفسهم حتى يكونوا مضحكة وسخرية للجماهير.

- **مباح** .. وهو ما خلا من الكبائر والصغائر، وسعى لتزجية الوقت، والتسلية التى لا تغضب الله عز وجل.

- **مندوب** .. وهو العمل الذى يخلو من الكبائر والصغائر ويهدف الى تحقيق هدف سام كأن يظهر حسن نتائج أفعال الخير والاستقامة.

- **واجب أو فرض..** وهو فن التمثيل المسرحي الذى يبرز عظمة الإسلام والجهاد والمجاهدين، والفتح والفاتحين، والعلماء الذين قامت على أكتافهم حضارة أمة «لا إله إلا الله» وانتشر نورها في العالمين ليقتدي بهم الجيل الصاعد من أبنائنا بدلا من اللهث خلف التقليد الأعمى والخلاعة في الغرب.

يجب علينا ألا نتجاهل هذا الفن الذى لم يعد قاصراً على خشبات المسارح بل يروج له عبر الأقمار الصناعية وصار يدخل البيوت بلا استئذان، وأن نستخدمه كأداة من أدوات الدعوة الى الاسلام وحضارته، فهو سلاح قوى مؤثر وذو حدين، يمكن أن يساهم في تصحيح المسار المسرحى، وتقويم ما اعوج من عادات وتقاليد الصغار.

ولكى نصل إلى فن مسرحى إسلامى هادف، لا مناص من أن نضع له مجموعة من الخصائص والضوابط التى يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا : يجب أن نضع في الاعتبار أن الدين يعلو ولا يُعْلَى عليه، بمعنى أنه يتقدم على تلك المقولات الزائلة التى يرددها البعض مثل «حقوق الإبداع - وانطلاقة الفكر» .. فيجب أن تتساقط مثل هذه المقولات والشعارات أمام مهابة الدين الإسلامي، وأعجب أن هناك فئة من الممثلين والكتاب يهاجمون الأزهر لمجرد أنه أصدر فتوى شرعية تمنع عرض عمل فنى ما يشوّه صورة الدين الاسلامى.. فيا أيها القائمون على نشر الفن التمثيلى في عالمنا العربى والإسلامي .. اعلموا أن الالتزام الأخلاقى وتهذيب السلوك الذى يدعونا إليه ديننا الحنيف لا يقيد الفن بل يضمن سموه وخلوده، ومن الخطأ أن نُطلق على تلك النوعية من المسرحيات الشائعة الآن والتى تهدم الأذواق وتحطم المبادىء السامية إبداعاً..!!

فلكى نصل الى مسرح إسلامى هادف يشار إليه بالبنان لابد أن يكون هناك قناعة تامة بأن مبادىء الدين هى الأساس الذى يبنى عليه العمل الفنى.. إذا تحقق ذلك كانت الخطوة الأولى والمهمة للوصول الى المسرح الإسلامى الذى ننشده ونريده.

ثانيا : ألا نتخلى عن لغتنا العربية الفصحى عند كتابة وأداء العمل المسرحى الإسلامى، فالعربية هي لغة القرآن الكريم التى يجيد النطق بها مئات الملايين من البشر فلنعتز بهذه اللغة التى خلدها رب العرش.. ولا داعى للترويج إلى العامية التى تغرب ولا تقرب، تهدم ولا تبنى ولننبه جيدا إلى أن هدف أعدائنا دائما ومن سار على دربهم من العلمانيين - هم الأشد خطرا من الأعداء وهو إشاعة العامية وهدم الفصحى. ومن الواجب علينا أن نفوّت عليهم هذا الهدف الخبيث.

ثالثا : إحياء التراث الإسلامى وحضارة المسلمين التى أضاءت أركان الأرض منذ فجر الإسلام، ونهل منها الأوروبيون، وكانت سببا رئيسيا في انتشالهم من ظلمات التخلف والجهالة الى نور العلم والتمدن.. ألا تستحق هذه الحضارة السامية أن نظهرها للعالمين..؟ أليس من الواجب أن يتعرّف الأحفاد على مآثر الأجداد في الفنون والعلوم كافة التى نهبها الغرب ونسبها الى علمائه؟.

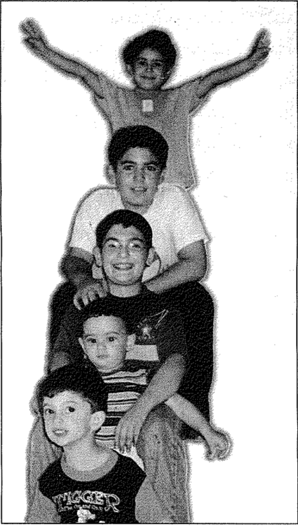
رابعا : توظيف فن المسرح في مجالات التربية التى تستمد أصولها من كتاب الله وسنة النبى {صلى الله عليه وسلم} فما أحوج شبابنا وبناتنا لهذه التربية الراقية التى تساهم في تفريغ الطاقات المعطلة لديهم في مجالات الخير والصلاح وتحصنهم ضد الغزوات المادية المغرضة التى يتعرضون إليها على الدوام من وسائل الإعلام الغربية كافة التى صارت تدخل بيوتنا وحياتنا بلا استئذان.

خامسا : مسرحة المواقف والبطولات التاريخية الإسلامية مع العناية القصوى بتصحيح صورة الاسلام في الغرب التى تآمر الأعداء على تشويهها وتحريف حقائقها، فمازال جل الغربيين يظنون أن القرآن الكريم إنما هو كتاب من تأليف نبينا الكريم محمد بن عبد الله {صلى الله عليه وسلم} وأن الدين الإسلامى لم ينتشر إلا بحد السيف..!! وغير ذلك من المفتريات والشبهات المغرضة التى يجب مواجهتها ودحضها بقوة.

سادسا : يجب أن يكون المسرح الإسلامى مستقلا ليس فيه من مصالح فردية وأن يبتعد تماما عن المذهبية والحركات الفلسفية.

سابعا : أن يستشعر جميع المشاركين في العمل المسرحى عظيم المسؤولية، فيجب أن يكون البناء الفنى متكاملا قويا حتى يترك أثراً لدى المشاهد.

ثامنا : من الضوابط المهمة للمسرح الاسلامى ألا تمثل صورة الأنبياء والمرسلين والصحابة أجمعين وأن تسمع أقوالهم فقط من خلف الستار بحيث يكون في إلقائها مهابة تليق بمكانتهم.. فمن ذا الذى يرقى من الممثلين الى شخصية نبي من الأنبياء والمرسلين أو صحابى جليل من صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذى قال عنهم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ■



توظيف التراث الحكائي في مسرح الطفل العربي

□ *يلاحظ أن أغلب الأدب الموجه الى الأطفال مستلهم من التراث بصفة عامة، والحكائي منه بشكل خاص، فما من عمل إلا ونجد فيه لمحات وبصمات تراثية.*

ومسرح الطفل - باعتباره فرعا من فروع هذا الأدب - لم يشذ عن هذا الاطار إذ انتفع كتاب هذا المسرح من التراث ووظفوه توظيفا كاملا أو جزئيا. واستأثر التراث الحكائي أكثر من الأنواع الأخرى باهتمام الكتاب نظرا لسهولة مسرحته من جهة، وملاءمته لميولات الأطفال من جهة أخرى.

بناء على ذلك، يمكن طرح التساؤلات الآتية :

١) - ما هي طرق وأشكال توظيف التراث الحكائي في مسرح الطفل العربي؟.

٢) لماذا هذا التوظيف ؟.

٣) ما هي خلفياته ؟.

التراث الحكائي في مسرح الطفل العربي: أشكال التوظيف والاستثمار:

منذ وقت مبكر، إذن، حاول الكتاب العرب استثمار التراث الحكائي في تأليف مسرحيات للأطفال وتتنوع الأشكال والأساليب التى يتوسلون بها في كتابة تلك المسرحيات، وهي لا تخرج عن نطاق الأساليب التى تستعمل لاستلهام التراث في المسرح العربي بشكل عام. لذا أمكن لنا تصنيف أشكال توظيف التراث الحكائي في النص المسرحي للطفل الى ما يلي:

١ـ **المحاكاة**: من خلالها ينحدر النص المسرحي من النص التراثي بالكامل، حيث يظل الكاتب مشدودا ومرتبطا بالحكاية الأصل أشد الارتباط ويسردها كما هي بدون أن يضيف أو يحذف منها شيئا، بل يحتفظ بالشخصيات والأحداث نفسها وكذا الزمان والمكان. أما الذي يتغير فهو الشكل الفني فحسب (نقل الحوار من الوضع الأفقي الى الوضع العمودي)، فالنص المسرحي ـ وفق هذا الأسلوب ـ يستوعب استيعابا كاملا النص الحكائي التراثي.

٢ ـ **التضمين**: من خلاله لا يتم سرد الحكاية كما هي، بل تضاف إليها عناصر ومقومات جديدة، ثم يعاد تركيب الكل في شكل يحقق التوافق بين الحكاية التراثية وبين ما ورد في النص المسرحي الجديد. وهذه التقنية تزاوج بين موضوع الحكاية الأصل والموضوع الجديد المراد طرحه في المسرحية، كالاحتفاظ بالحدث، على سبيل المثال، وتغيير المكان والشخصيات.

٣ ـ **التحويل** : من خلاله يتم استعادة الحكاية التراثية عن بعد، مما يمنحها ابعادا مختلفة ومغايرة تنتمي الى الواقع أكثر من متخيل الحكاية. إن النص المسرحي في هذه الحالة لا يرتبط بالضرورة بمنطوق الحكاية ومدلولها، وإنما ينسج على منوالها فقط كأن يتم استلهام الشخصية الرئيسية من الحكاية وتضمينها مكونات وأبعاد جديدة وعصرية، بذلك تصبح الشخصية الأصلية مجرد شاهد على الماضي.

هذه إذن أهم الأساليب والآليات التى

عبدالمجيد البركاوي

- المغرب -

تستعمل في استلهام التراث الحكائي في النص المسرحي للطفل، وفي ضوئها يمكن أن نحدد موقع أي نص في ارتباطه بالتراث. وهذا يقودنا الى التساؤل عن أهم العوامل الثاوية وراء توظيف هذا التراث في مسرح الطفل؟.

دواعي توظيف التراث الحكائي في مسرح الطفل:

لتفسير ظاهرة توظيف التراث الحكائي في مسرح الطفل، لابد من استحضار العوامل التى وقفت من قريب أو من بعيد وراء هذه الظاهرة، ولعل التعامل مع هذه العوامل يتم عبر مسلكين:

ـ المسلك الأول: يتمثل في البحث في النص التراثي عن إمكانياته الفنية التى تساعد على تحويله الى نص مسرحي.

ـ المسلك الثاني: يتمثل في البحث عن الدوافع الخارجية التى دفعت الكتاب الى توظيف التراث.

وعبر هذين المسلكين سنرصد أهم تلك العوامل والتى يمكن اختزالها فيما يلي:

أ ـ العامل الفني :

لقد أدرك الكاتب المسرحي أن المعطيات التراثية غنية بالدلالات الفنية والإمكانات التعبيرية «وأنه باستغلاله لهذه الامكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الايحاء والتأثير. بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كل الإيحاءات

والدلالات التى ارتبطت به في وجـدان السـامع تلقائيا»[١]·

وهذا الادراك نابع من «إحـسـاس رجل المسـرح العـربي بغنى تراثه بالمفـاهيم والأشكال المسرحـيـة التى تمنح مـسـرحـه طاقـات تعـبـيـرية قـصـوى·· وحين يسـتـخـدم المسرح العـربي هذا المضـمـون التـراثي أو ذاك الشكل فـإنه يكون قـد أضـفى على تجربته نوعا من الأصـالة الفنية»[٢]· وهو مـا دفع بأحـد البـاحـثين الى أن يقـوم بقـراءة مـسـرحـيـة لنصـوص من التـراث الديني والأدبي والشـعبي[٣]، ومن خلال تلك القراءة نستنتج أن تلك النصـوص تمتلك بالفعل إمكانيـات فنية عديدة تساعد على مسرحتها فـهي تستجيب للعناصر الأساسية في المسـرح: الزمـان ـ المكان ـ الحدث ـ الشخصيات ـ الحوار·

وإذا رجـعنا الى حكايات «ألف ليلة وليلة» كنمـوذج فـإننا نجـدهـا لا تخـرج عن هذا النسق، فـهي تزخـر بمؤهلات فنيـة تجـعلهـا أقـرب أشكال التـعـبـيـر الى المسـرح في تعريفه الواسـع، لأنهـا تحتوي على أهم العناصر الدرامية:

- الحكاية : وهـي روح الدرامـا كـمـا يرى أرسطو·
- المسـار الدرامي التـقليـدي : بداية ـ عـقـدة ـ حل·
- طرفا الصراع : الخير / الشر·
- الحوار ·

وهذه العناصـر مـجـتـمـعـة كفيلة بأن تمنح لمسـرح الطفل مـجـالا واسـعـا لتـوظيف الحكاية التـراثية بشكل آلي وتلقـائي، هذا فـضـلا عن كـون تلك الحكاية تمتاز بطواعيتها لكي تحول الى نص مسرحي·

وثمة عنصر آخر ينبغي الإشارة إليه وهو أن الحكاية ـ باعتبارها شكلا فنيا من أشكال السرد ـ تلقى تجـاوبا من لدن الطفل بخلاف باقي الأشكال الأخرى لذلك فان استلهامـها في قالب مسرحي من شـأنه أن يخلق جـوا من المتـعـة والتـشـويق لدى المتلقي/ الطفل وبالتـالي يتـحـقق المغـزى الذى من أجله أُنشئ العـمل المسـرحي وهو تفـسـيـر بـعض الظواهر والأحـداث التى تسـتـغلق على الطفل والإستجابة للأسئلة التى يلح دائما على طرحها·

ب ـ العامل الثقافي :

إن توظيف التراث في مسرح الطفل ضـرورة ثقـافـيـة، والسـبب في ذلك يرجـع الى الرغـبـة في الحفاظ على الهوية الأصلية لهذا المسرح وكذا على هوية الطفل نفسه «فـالذاكرة/ التراث تعطي للطفل حقيقته الماضية/ الحاضرة فهي تحـدد مـصـادره الوجـودية والثـقـافـيـة، التى هي مـصـادر عـربيـة إسلامية بالضـرورة·· فالكتابة داخل التراث تتم باسـتنطاق الحكايات القـديمة ومـسـألة التـاريخ ومـحاورة الأمـثـال والخرافات والحكم، كل ذلك من أجل أن يكون الطفل داخل جلده الحقـيـقي وداخل ثقافته، بغير هذا سيعاني الغربة والنفي ويعيش التسكع الحضـاري والعقـائدي· شيء ضروري أن يعـرف الطفل رمـوز البطولة في وطنه وأن يكون له علم بتـاريخ الوجدان الشعبي، هـذا الوجـدان الذى أفـرز الشـعـر والنثـر والحكايات والقـصـص والخرافات والأساطير»[٤]·

ولذا فإنّ استحضار التراث شيء أساسي وجوهري في تحقيق هوية ذاتية للطفل فـ «نحن بحاجة الى التراث لربط أطفالنا بجذورهم وزرع بذور الأصالة والمناعة الحضارية فيهم، وتحصينهم ضد كل أشكال الغزو الثقافي فلا يذوبون - مستقبلا - في الحضارات الغازية التى لا تنسجم بكامل قيمها مع قيمنا الذاتية»[٥].

بناء على هذا الهاجس أصبح التفكير في بلورة هوية أصيلة لمسرح الطفل ضرورة ثقافية، حيث إن توظيف التراث في هذا المسرح يحقق للطفل ذاته وهويته، «فإذا أردنا لفتيتنا مسرحا أصيلا يبلور ذاتنا وهويتنا ينبغي تضمينه شخصيات وأحداث تراثية، تضمينا يصل الماضي التليد بالحاضر في العمل الدرامي الواحد يستمد من الماضي العوامل الفاعلة في الوعي التاريخي ثم يضيفها على الآني، مثل ما نشاهده في بعض أعمال الكاتب المسرحي محمد الصندي الذي يعتمد الإيحاء والرمز والإيماء الذكي من التراث»[٦]، لهذا أصبح من الضروري الالتفات الى هذا التراث حتى نضمن هوية حقيقية لطرفي المعادلة: الطفل من جهة ومسرحه من جهة ثانية.

اجمالا يمكن القول، إن النص المسرحي للطفل كغيره من النصوص الإبداعية، قد يعقد علاقات مع نصوص تراثية مختلفة، وهذه العلاقات تتخذ اشكالا وطرقا عديدة تستند بالأساس على جدلية الاتصال والانفصال، التجاور والتباعد بين النصوص الحكائية والنصوص المسرحية المتولدة عنها.

ولقد جاء التعامل مع التراث الحكائي بهدف استثمار الجوانب الفنية التى يزخر بها هذا التراث من عناصر درامية وحكائية تؤهله للصور المسرحية على اختلافها وتنوعها، هذه العناصر تعد - في نظرنا - ضرورية للوصول إلى عقل الطفل ووجدانه.

ولا شك أن الرغبة الملحة في تحقيق هوية ثقافية عربية لمسرح الطفل كان الهدف الآخر والأسمى الذي من اجله عمل الكتاب على استلهام التراث، إذ الملاحظ أن الحكايات التراثيةالمسرحة هي في مجملها مثيرات للإحساس بالهوية ■

الهوامش :

(١) علي عيشري زايد - استدعاء الشخصيات التراثية - في الشعر العربي المعاصر - منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا - الطبعة الأولي ١٩٧٨م ص ٩.

(٢) محمد عزام - توظيف التراث في المسرح الحديث والمعاصر - مجلة الوحدة - العدد ٩٤ - ٩٥، السنة ٨، ١٩٨٨م ص ٦٧.

(٣) أنظر مجلة (الفكر العربي) العدد ٦٩ - السنة ١٣ - ١٩٩٢م، معهد الانماء العربي - بيروت - ص ٥٨.

(٤) عبد الكريم برشيد - مسرح الطفل: أسسه الفنية والجمالية - مجلة الدراسات النفسية والتربوية - العدد ٨ ، سبتمبر ١٩٨٨م، ص ٩١.

(٥) محمد عماد زكي - تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠م - الهيئة العامة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٩٠م ص ١٤٣.

(٦) هذه القولة لمحمد اديب السلاوي - أوردها العربي بنجلون في مقال «مسرح الطفل بالمغرب» بمجلة آفاق تربوية - تصدر عن نيابة وزارة التربية الوطنية بعمالة بن مسيك سيدي عثمان - العدد ٥، ٦ - ١٩٩٢م ص ١٩٨.



عبد السلام هارون في عالم التحقيق التراثي

□ يعد الأستاذ عبد السلام هارون من الصف الأول في تحقيق التراث العربي الاسلامي في العصر الحديث. حيث قدم واختصر كثيراً من كتبنا الأدبية وحققها تحقيقاً متقناً.

وقد برز محققاً أكثر منه مؤلفاً، ولكن لابد من القول أن التأليف لغة ضم الأشياء بعضها مع بعض وعلى هذا الاعتبار نستطيع إدراجه ضمن المحققين المؤلفين وليس من المؤلفين المنشئين.

وهذا من القول الذي لا يعيب شيخ المحققين في أدبنا العربي الحديث، بل إن تحقيق الكتاب الواحد - أحياناً - مضن فكريا ومتعب بصريا، ويجهد صاحبه أكثر من تعب وضنى مؤلف الكتاب نفسه الذي ينشرح باله ثقة بنفسه وتيسيراً لإبداعه كونه ممتلكاً زمام أمره ورأيه وتفكيره، الأمر الذي يختلف معه المحقق لكتب التراث القديمة وبالأخص المخطوطات مطابقة ومقارنة وتحقيقاً من حيث اللغة ومقابلة النصوص واستخراج وتدقيق الألفاظ ومقابلة تلك بالعبارات المتشابهة وترجيح عبارة عن أخرى، إضافة إلى عمل الفهارس المكملة لإخراج هذا الكتاب التراثي أو ذاك من كتب التراث.. تراثنا الإسلامي العظيم.

والأستاذ عبد السلام هارون صاحب ملكة لغوية ومكانة أدبية جديرتين بتمكنه الكبير وضبطه الدقيق لعمله التحقيقي للكتب؛ وتجعلانه امرأ ثقفاً وعالماً فهماً ولغويا أديباً. واطلاعه واسع للتفسير القرآني والحديث النبوي كتباً وتصانيف إضافة إلى ذخائر الأدب العربي واللغة العربية من دواوين ومؤلفات ومقامات وخطب وأمثال، وأشعار وقصائد ومقطعات والشذور الفنية من نحو وتصريف وعروض.

إن هذا كله عوامل وعدد عملية تسلح بها الرجل في ما نذر نفسه على تحقيق تلك المصنفات وإخراجها إلى نور النشر والطبع والتوزيع.

وقد قام بتحقيق أشهر مؤلفات الأدباء الأقدمين مثل الجاحظ على سبيل المثال لا الحصر حيث قدم له كتاب الحيوان والبرهان والبيان والتبيين كتحقيقات موسعة متكاملة النص، والشروح والفهرسة. وقد حالفه الحظ والإمكان في هذه الشروح اللغوية والبيانية والمعنوية والبلاغية. وساعد القراء على فهم النصوص المحققة بتلك الميزات والصفات في إخراجه لكتب الأدب الجاحظية في لباس قشيب من الورقات ومحتوى قيم من الموضوعات. وعملا رصينا كان في التحقيقات جد رائع قام به الرجل خير قيام من حيث المعرفة ذات القلم الواسع النافع، والفكر الصائب الثاقب والمقدرة البصيرة بلغة الضاد وأسرارها العربية. لذلك حقق المزيد من الكتب الأدبية واللغوية مثل مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن العسكري والاشتقاق لابن دريد واصلاح المنطق لابن السكيت.

كما أخرج للأدباء محققاً كتاب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي. أما بالمشاركة مع الأديب الكبير أحمد أمين فقد حقق عبد السلام هارون شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، والمفضليات للمفضل الضبي، وهما من الأعمال المهمة سواء في عداد كل من الأستاذين أمين وهارون؛ أو بمعنى آخر برز في هذا التحقيق المشترك خبرة كل من الأستاذ أحمد أمين والأستاذ عبد السلام هارون وفي تحقيق كتابين هما من مصادر ومراجع كتب الشعر في الأدب العربي، المهمة والثمينة والتاريخية.

وفي «ذيل الأعلام» للزركلي الذي أخرجه أحمد العلاونة أن الأستاذ عبد السلام هارون هو ابن خال الشيخ محمود محمد شاكر وهو أيضاً أي الأستاذ هارون

أخو زوجة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد رحمهم الله جميعا.

وفي تتمة الأعلام للزركلي المستدرك لمحمد خير رمضان يوسف ورد قوله: «وعندما سئل عمن هو أستاذه - والحديث عن الأستاذ هارون - قال: سوف تعجب إذا قلت لك إن ابن عمتي الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر كان أستاذي وكنت أستاذه» إ.هـ.

قلت : وقد اشترك الأخير معه في تحقيق «الأصمعيات» وشرحه؛ الصادر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

وهناك مزيَّة أخرى هي لا تقل علماً وتعرُّفا للأستاذ عبد السلام عليه رحمة الله في كتب تراثية أخرى هذبها واختصر حجمها المكبَّر وأخرجها محققة ميسرة وهي على وجه التحديد:

١ - تهذيب سيرة ابن هشام عن النبي [صلى الله عليه وسلم].

٢ - تهذيب إحياء علوم الدين للغزالي.

٣ - تهذيب الصحاح لمحمود الزنجاني (بالاشتراك في التحقيق مع الأستاذ احمد عبد الغفور عطار رحمه الله).

٤ - تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (بالاشتراك في التحقيق مع آخرين).

٥ - تهذيب الحيوان للجاحظ.

وجميعها أعمال جليلة نهض بها أستاذنا رائد تحقيق التراث في دنيا الأدب وعالم الفكر وأكوان اللغة في العصر.. عصرنا الحديث..

هذه الأعمال - في رأيي المتواضع - ذات شعبتين:

الأولى : قيام الأستاذ عبد السلام محمد هارون بتشذيبها ومن ثم تهذيبها وإخراجها أدبيا وفنيا وعلميا.

الثانية : قيامه باختصارها مما يطول في ثنايا الكتب المذكورة من روايات الإسناد والعنعنة والزوائد اللفظية من العبارات والجُمل.

وبهذين الأمرين المزدوجين السليمين من العيب الأدبي أو اللغوي كان جهد الأستاذ عظيماً وخيراً على تراثنا الأدبي العربي الإسلامي الأصيل، ممثلا في كتبه المحققة والمهذبة التى نيفت على المائة تعداداً وأرقاماً؛ وهي التى تضم أوسع المعلومات الإنسانية وأعمق الآثار الأدبية وأروع الفنون الفكرية والإبداعية في التراث بوجه عام، وفي تاريخنا الأدبي بوجه خاص ■

فاروق صالح باسلامه

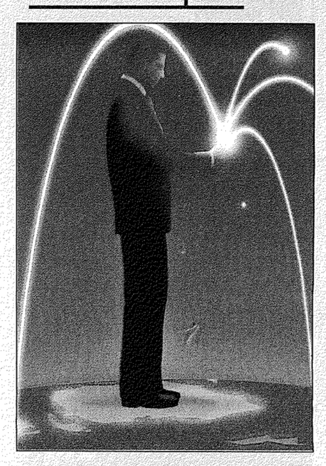
- جـدة -





إضاءة شخصية

- ولد الأستاذ عبد السلام محمد هارون بالإسكندرية سنة ١٩٠٩م.
- حفظ القرآن الكريم وهو في سن العاشرة من عمره.
- درس العلوم الشرعية والعربية في الأزهر الشريف سنة ١٩٢١م.
- التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة في سنة ١٩٢٨م نال منها البكالريوس، ومن ثمَّ أتمَّ دراساته العليا في سنة ١٩٣٢م بنفس الكلية.
- عُيِّن مدرساً في التعليم الابتدائي ثم مدرساً أول بكلية الآداب جامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٥م.
- أصبح أستاذا في سنة ١٩٥٠م بكلية دار العلوم فرئيسا لقسم النحو بها سنة ١٩٥٩م.
- وفي سنة ١٩٦٦م غادر مصر الى دولة الكويت للاشتراك في تأسيس جامعتها، كما أسس قسم اللغة العربية وقسم الدراسات العليا بها ورأسهما حتى سنة ١٩٧٥م.
- اختير عضواً بمجمعي اللغة العربية بكل من القاهرة وعمَّان بالأردن.
- نال عدداً من الجوائز الأدبية والمادية في مجمع الخالدين بالقاهرة وجائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٨١م.



الإعلام بين التطلعات والتحديات

□ لقد تُدُوول في الآونة الأخيرة استخدام مصطلح العولمة على عدة مجالات مما يطرح العديد من المشكلات في تحديد مفهوم واضح وجلي المعالم: لهذا المصطلح، مسبباته ومضمونه، فعلماء الإقتصاد يرون أن العولمة جاءت نتيجة لتفكك المعسكر الإشتراكي في أوروبا الشرقية وانتهاء الحرب الباردة وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة أولى ووحيدة في العالم، إضافة إلى تطور تكنولوجيا الاتصال مما ساعد على إلغاء الحدود وهيمنة القيم الاستهلاكية وظهور الشركات متعددة الجنسيات.

ولئن كان مصطلح العولمة يكتسي صبغة اقتصادية إلا أنه يخفي في داخله توجها أيديولوجيا فهو «يعكس إرادة مركزية للاستقطاب والهيمنة على العالم من خلال الدعوة إلى تبني نموذج حضاري محدد وإرساء دعامات هذا النموذج وتكريسه باستخدام آليات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال»[١].

كما تُعرَّف العولمة على أنها «المرحلة الجديدة للنظام الرأسمالي العالمي حيث تتداخل بطريقة جدلية الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الاقتصادية والاتصالية والمعلوماتية كي تحل محل الدولة القومية في ميادين المال والاقتصاد والثقافة والإعلام وحيث تواصل القوى الدولية المتحكمة في

العولمة محاولاتها الدؤوبة من أجل عولمة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية»[٢].

ويلح أنصار العولمة على ضرورة تخطي الروابط الوطنية والتحلل من الانتماءات الثقافية المحلية ، مقابل الانصهار في القرية الكونية التى تلاشت فيها الحدود بفضل تطور وسائل الاتصال ونظم المعلومات.

وتدعو هذه الفئة الى إعادة النظر في تعريف عديد المصطلحات الاجتماعية والسياسية مثل الهوية والتراث والسلطة والوطن.. إذ يرى أتباع هذا المذهب أن النجاة لن تكون إلا بتبني النموذج الأمريكي .. (ومن هنا نشأت مصطلحات حديثة كالأمركة ونهاية التاريخ وصدام الحضارات)، متناسين أن الاختلاف لا يفسد للود قضية وأن الحضارات والثقافات قد أثبتت على مر التاريخ أنها لا يمكن أن تتواصل دون أن تتفاعل في ما بينها، وقد ادعى أصحاب هذه المقولات أن الأنا والآخر لا يمكن أن يتعايشا، فلابد للأنا أن يحول الآخر إلى أنا مطابقة له، مشرعين بذلك منطق القوة وقانون الغاب في العصر الحديث، على الرغم من أن التاريخ حافل بعديد الأمثلة التى تؤكد التعايش السلمي بين الثقافات المختلفة:

العولمة .. خلط كامل بين سلطتي المال.. والسياسة

اشراف بن مراد

- تونس -

فالثقافة العربية الإسلامية ـ على سبيل المثال ـ قد استوعبت الثقافات الأخرى برحابة صدر وكان شعارها التسامح وهذا ما نجده في السيرة النبوية العطرة أو في القرآن الكريم إذ قال الله تعالى في سورة الحجرات الآية ١٣: {يا أيُها النَّاسُ ، إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكُمْ شُعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير}.

من هذا الجانب، تعالت أصوات المناهضين لهذه العولمة التى تجعل الإنسان يعيش حالة اغتراب مع بني جنسه وحتى مع نفسه، داعين إلى عولمة أخرى، عولمة بديلة تراعى مصالح الأقل قوة، مصالح دول الجنوب وتحفظ لها خصوصيتها.

ولقد اتهمت هذه الفئة العولمة بأنها تكرس مصالح الأقوى دون التطرق إلى مصالح المجتمعات النامية في آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية، مؤكدة أن وسائل الإعلام الحديثة وإن نجحت في تجاوز الحدود والمسافات لتجعل العالم أكثر انفتاحا، إلا أنها فشلت في جعله أمة واحدة أو صوتا واحداً بل إنها زادته فرقة وتفككا وانقساماً.

ومن ثمة، لئن تعددت تعريفات العولمة والمواقف تجاهها لتصل حد التشابك والاختلاف في كثير من الأحيان، فإن الكل يؤكد أنه لا يمكن أن نتحدث عن العولمة دون الحديث عن الإعلام والاتصال والذي لا يمكن أن نعتبره ظاهرة حديثة العهد أو أنها وليدة التطور التكنولوجي بل إنها قديمة قدم الحياة البشرية، منذ أن كان الإنسان البدائي يتواصل مع المحيطين به من بني جنسه بواسطة الصوت أو الحركات أو الرسم.. فالاتصال حاجة بشرية مُلحة لا يمكن تجاهلها لأن الإنسان - كما يقول ابن خلدون «مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع»[٣] وقد تطورت الحاجة إلى الاتصال بتطور الحياة البشرية إلى درجة جعلت منه أساس التنظيم الاجتماعي البشري.

ولئن أدى اختراع الآلة إلى انتقال المجتمع من النمط الزراعي إلى النمط الصناعي، فإن تطور تكنولوجيا الاتصال قد جعل من هذا العالم قرية كونية تعيش تدفقا معلوماتيا متزايداً، تقلص أمامه الزمن وتلاشت بفعله الحدود والمسافات. فلا مكان اليوم للتقوقع على النفس في عالم مُعَوْلَم المآرب. وهو ما أدى إلى مزيد تعقد العلاقات الإنسانية وتشعبها.

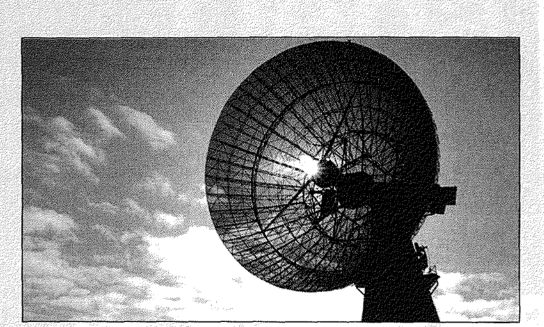
وتجدر الإشارة إلى أن تطور تكنولوجيا الاتصال قد أفرز ظهور أشكال جديدة من الاتصال كالطريقة السريعة للمعلومات والاتصال عن بعد والاتصال متعدد الوسائط.. كما أدى إلى بروز عديد الظواهر الأخرى كتحجيم التكنولوجيا من ناحية وتضخيمها من ناحية الاستيعاب والبث ويتجلى ذلك من خلال الحواسب مروراً بأجهزة التلفزيون وصولا إلى الهواتف الجوالة.

وفي خضم هذه التطورات التى يشهدها العالم، لم يعد الإعلام بعيدا عن دائرة العولمة، بل إنه صار أحد أهدافها الرئيسية نظرا لما يكتسبه من أهمية في حياة الأفراد والمجتمعات. وهو ما جعله يشغل موقعا استراتيجيا في سياسات الدول وخاصة منها المهيمنة على تكنولوجيا الاتصال والتى ترنو إلى خلق الإنسان العالمي الراضخ لايديولوجية السوق العالمية خدمة لشعاراتها ومصالحها.

الإعلام يقوى ويضعف بقوة وضعف الدول والجماعات

كما أن إقرار النظام العالمي الجديد للإعلام صار رهين امتلاك هذه التكنولوجيات الحديثة القادرة على تخطي الزمن والحدود، وهو ما أحدث تغييرا في الخدمة الإعلامية خاصة بفضل مزايا الأقمار الصناعية (ويذكر أن إطلاق أول قمر صناعي «سبوتنك ١»

الديكتاتوريات القديمة استبدلت بديكتاتورية جديدة اسمها (العولمة)



كان في سنة ١٩٥٧). علاوة على ما أحدثته الانترنت (شبكة الشبكات) من ثورة في عالم الإعلام والاتصال.

وقد أسفرت كل هذه التطورات عن حدوث تغييرات جذرية «إذ أصبح الخبر يُعرَّف على أنه الحدث الذي نشاهده وهو يقع»[٤].

وهو ما دفع العديد من علماء النفس والإجتماع إلى التصريح بأنه «بفضل ما تتيحه تكنولوجيا الاتصال من خدمات يمكن المساهمة في خلق وعي إنساني مشترك»[٥].

ومن ثمة، فإن كل هذه التغيرات والتطورات التى شهدها قطاع الإعلام والاتصال جعلت من التكنولوجيا الحديثة سلاحاً ذا حدين، في الوقت الذي أصبح فيه الانخراط في صلب هذه التكنولوجيا أمراً حتميا لا يمكن تأجيله أو التخاذل عنه. ومع ذلك، فإنه يطرح تحديات جديدة وضغوطات أخرى.. يتعرض إليها خاصة إعلام الدول المستهلكة لهذه التكنولوجيا.

وفي هذا الإطار، يزداد التأكد من حساسية الدور المُناط بالصحفي. فعلاوة على الأخبار، فإنه مطالب بالتفطن الى ما يمكن أن تثيره تقاريره الإخبارية من خلفيات خاصة وأن الساحة الإعلامية صارت بمثابة سوق عرض وطلب، لذلك فإن الاستجابة للطلب وسط هذا الزخم الهائل من الخدمات الإعلامية سواء بواسطة الانترنت أو الشبكات التلفزيونية المتعددة أو غيرها من وسائل الاتصال، ليست بالأمر السهل: «ولعل إلقاء نظرة على خريطة الفضائيات والمعلومات يوضح لنا حقيقة الأدوار الجديدة التى يقوم بها الإعلام لإرساء دعائم العولة والترويج لايديولوجياتها»[٦].

ويزداد الوضع سوءا خاصة في دول الجنوب التى تواجه إشكاليات تتعلق بالأساس

(معنا).. والا (ضدنا) الصياغة الحديثة لديمقراطيات (العولمة)

بالديمقراطية وحرية الصحافة مما يعرقل عمل الصحفي في هذه الدول. وهو ما يثبت من جهة أخرى فاعلية وسائل الاعلام وقدرتها على إحداث التغيير أو حفز الجماهير الشعبية أو الرأي العام على التحرك. غير أن وسائل الإعلام أيضا قادرة على إحداث البلبلة بل إن مجتمعات بأسرها يمكن أن تنهار، وعلاقات دولية كثيرة يمكن أن تتأزم بفعل تغطية إخبارية، والأمثلة في هذا المجال عديدة ومتنوعة مما يؤكد أن لا سبيل للموضوعية المطلقة.

«وتشير الدراسات إلى غلبة الطابع العنصري العرقي على معالجات الإعلام للقضايا المصيرية في العالم الراهن. فالواقع يشير إلى وجود عدة عوالم وليس عالماً واحداً»[٧]، بل إن الصحفي قد يتعمد ابقاء الجمهور في حالة جهل لبعض الحقائق لأهداف إيديولوجية وهو ما نلاحظه من خلال عدة وقائع، كان فيها الإعلام والحقيقة الإعلامية الضحية الأولى. وصار الرأى العام في حالة تزييف وعي متعمدة ومتواصلة.

وهو ما يمكن أن يدفع بالمتقبل إلى أن يكون في حالة استنفار قصوى قد تؤدي به إلى حالة من فقدان الثقة في كل ما يتلقاه. مع العلم أن هذه الوضعية غير مقتصرة على الدول النامية بل إنها تجاوزتها إلى الدول المتقدمة على غرار الولايات المتحدة الأمريكية حيث صار الإعلام مكبلا بقيود فرضها عليه البنتاغون وهو ما أدى إلى فصل العديد

من الصحفيين أو إيقافهم بسبب مواقفهم التى قد لا تتوافق مع الايديولوجيا العامة للسلطة، والأمثلة على هذه الحيثية ربما قد لا يسمح المجال بذكرها.

وهنا يتبادر إلى الأذهان سؤال حيوي وهام: إذا كان الوضع الإعلامي في الدول المتقدمة (التى طالما تفاخرت بحرية إعلامها) على هذه الشاكلة فكيف هو الحال في الدول النامية خاصة إذا أدركنا عمق الفجوة التى تفصل الشمال عن الجنوب؟.. كما يقودنا هذا السؤال إلى سؤال آخر لا يقل أهمية: كيف يمكن للرأي العام أن يتعامل مع هذا الوضع الإعلامي الذي يزداد سوءاً خاصة إذا تأكدنا من حقيقة «الاحتواء الايديولوجي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال؟»[٨].

كما لا يخفى على أحد أن عدم استقلال البلدان النامية في حقل الإعلام على الصعيد الدولي يعكس هشاشة أنظمتها والتبعية التى

تخضع لها على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، وهو ما يدعم مرة أخرى فاعلية ما تقوم به وسائل الإعلام والتى صار يتعامل معها على أنها «أسلحة ذكية» قادرة على تحقيق ما عجزت عنه الأسلحة الثقيلة، بل إن وسائل الإعلام قد دخلت حلبة المعركة وصار لها دور لوجستي لا يمكن التغافل عنه إذ أنها تُعْتَمد «لترويض الرأي العام» فالحرب صارت إعلامية قبل أن تكون عسكرية.

وأمام هذه التحديات والضغوطات، فإن وسائل الإعلام العربية مطالبة بحماية المواطن العربي من تأثيرات وسائل الإعلام الأجنبية التى غالبا ما تكون رسائلها مدججة بنوايا ايديولوجية خفية. ومن ثمة، يتعين على الدول العربية أن توفر خلفية قانونية متينة تسمح للإعلام بالقيام بدوره بكل شفافية ومصداقية وبعيدا عن القيود والعراقيل.

وفي المقابل، فإن الصحفي مطالب بالتمسك بأخلاقيات المهنة ومبادئها حتى يضمن الصدق والموضوعية، وبالتالي «المعالجة غير المنحازة للأخبار وكذلك التناول غير العاطفي للموضوعات المثيرة للجدل»[٩]. في الوقت الذى يكون فيه أيضا مدعُوا إلى تحقيق السبق الصحفي دون التخلي عن الدقة والمسؤولية إذ «ينبغي كذلك أن يقترن الشعور بالعناية والصبر والقدرة على الامتناع عن الحكم النهائى حتى تتم معرفة كافة وأدق التفاصيل»[١٠].

وهو ما يؤكد ضرورة احترام القاعدة الصحفية المعروفة «الخبر مقدس والتعليق حر» ■

الهوامش :

(١) د. بركات محمد مراد، العولمة ذلك المفهوم المراوغ، مجلة العربي العدد ٥٢٦، ص ٢٦.

(٢) عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة، العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ٥.

(٣) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار العودة ، طبعة ١٩٩٦م، ص ٣٣.

(٤) عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة، العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ٣٣.

(٥) عواطف عبد الرحمن ، الإعلام العربي وقضايا العولمة، مصدر ذكر سابقا، ص ٣٣.

(٦) عواطف عبد الرحمن ، الإعلام العربي وقضايا العولمة، مصدر ذكر سابقا، ص ٤٠.

(٧) عواطف عبد الرحمن ، الإعلام العربي وقضايا العولمة، مصدر ذكر سابقا، ص ٤٤.

(٨) Actes du colloque , Romans (Drame), La mondialisation, Um defi Pow Les citoyens, eolitions Bruna Le Prince 1998, P231.

(٩) جون هاتلنج، أخلاقيات الصحافة، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٣، ص ١٢٣.

(١٠) طلعت همام، مائة سؤال عن الصحافة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٧ ص ٧٧.



وجوب الانسلاخ من الاستنساخ

□ *حدثنا أبو الطيب الوشّاء[١] قال :*

جمعتني صلة رحم، ومودة علم بأعز جليس، وأمتع أنيس، صديقي ابن النفيس[٢]، فكان يختلف إلى حلقات درسي في الأدب، وكنت أختلف إلى محاضراته في الطب، وكنا نتزاور ونتشاور، ونتواصى بالحقّ والصّبر.

وذات يوم وبينما كان ابن النفيس عندي في معمل التوشية، دخل علينا رجل يحمل ثوبا،

فقال: يا وشّاء استخرج لي من هذا الثوب ثوبين متماثلين!

قلت : أنسج لك مثله اثنين، ثم أصبغهما بلون واحد، فتسعد بتوأمين متطابقين، بعد أن تدفع مائتين، وتكنى بهما، فتنادى : يا أبا ثوبين!

قال : إنما أريد أن تستنسل لي ثوبين من نسيج ثوب واحد دون تقصير أو تضييق.

قلت : ويحك، ماذا تقول؟ هذا لعمري في الفعال مُحال، ولا يكون إلا في الخيال.

قال : إنهم يستنسخون النعاج، ويستنسلون منها الأفواج، وتعجز أنت عن قطعة ديباج!

قلت : أغرب عن وجهي، فقد بلغ بك البخل حدَّ الخيال، والاستخفاف بعقول الرجال:

يقتِّرُ عيسى على نفسه
وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحد[٣]!

فضحك ابن النفيس وقال: مهلا يا وشاء، لا تعنف الرجل، ولا تتهمه بالبخل، فالأمر حقيقة كشمس ساطعة في عالم يتصارع، وعلم يتسارع!

قلت : لعل الرجل استوحى فكرته الجنونية من الطرفة الأدبية في قول أحدهم:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا!



د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -

فجاءني زاعماً انهم يستنسخون النعاج والبقر والدجاج، فذكّرني بقدر جحا التى تنجب القدور، وتنتج الصحون على مرّ العصور! فيا أخي يا بن النفيس، أفتنا في الاستنساخ، وباعدنا عن الاستمساخ، فأنت الخبير المجرّب، مكتشف الدورة الدموية، والحويصلات الرئوية، والشرايين التاجية.

قال: اعلم أبا الطيب، أن الاستنساخ تكاثر ينجم عنه كائن حي يتطابق في صفاته الوراثية مع أصله وفصله، كما تتطابق أثوابك هذه في النسج واللون والقياس. وقد تعلمت في صغرك أن الكائنات وحيدة الخلية كالبكتيريا والأميبا تتكاثر بانقسام الخلية الأم الى خليتين جديدتين تُطابقان الخلية الأم في الوراثة والدماثة. وهذا التكاثر غير جنسي يختلف عن تكاثر الثدييات كاختلاف عمل الوشاء عن عمل الفرّاء!

قلت : وتعلمتُ منك أن تكاثر الإنسان يكون بالتقاء حيوان منوى ذكري ببويضة أنثوية ثم يصيران بويضة مخصبة تنقسم متضاعفة ثم بعد حين يكون الجنين فيكتسب صفاته ومكوّناته الوراثية من أمه وأبيه. وهذا مما عرفناه في

الكُتّاب، ولكن يا بن النفيس لم تحدثني عن التكاثر بالاستنساخ، وما جرى للنعاج مع السّلاخ.

قال : لقد عمد (ويلموت) بعد طول سكوت إلى ضرع نعجة، فأخذ من نسيجها خلية، وحولّها الى خلية جنينية شرعت في الانقسام، ثم بعد عمليات علمية، ومعالجة بالهندسة الوراثية وضع الجنين في رحم نعجة أخرى، فولدت (دوللي) النعجة المستنسخة المدللة[٤]!

قلت : ما أعجب هذه التقنية، وما أبدع هذه التجلية!

قال : بل فاعجب من قدرة الله الذي خلق كل شيء، وأبدع من الماء كل حي، وأخرج من الصخرة الصماء الناقة الصفراء، وحوّل العصا إلى حيّة تسعى، ومسخ اليهود المجرمين الى قردة وخنازير، وأوجد الإنسان وأكرمه، وخصّه بخطابه وفضله: {ألم يك نطفة من مَنِيٍّ يُمْنَى * ثم كان علقة فخلق فسوّى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى}[٥].

قلت : وهل حاول العلماء أن يستنسخوا الإنسان كما استنسخوا النبات والحيوان؟.

قال : إنهم يحاولون، ويبتغون إنتاج كائنات بشرية بطرق غير جنسية، ودون اللقاء الحميم في المعاشرة الزوجية، ولو افترضنا أنهم سيستطيعون ذلك، فإنّ الاستنساخ ليس خلقاً جديداً من عدم، وإنما هو تكنيك علمي يستغل الأشياء الحية، فالخلية والبويضة والرحم كلها من صنع الخالق سبحانه الذي أودع فيها الروح، وأحسن كل شيء خلقه: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين}[٦].

قلت : أخشى أن يستنسخ علماء الجينات من البشر جنيّات بتحريض شيطان عات لإضلال الناس، وإلهائهم بالأماني، وتغيير الخلق السوي تنفيذا لتوعد إبليس اللعين: {ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكنّ آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً}[٧].

قال : إن استنساخ البشر هو اعتداء على خلق البارىء المصور، وعبث بهندسة الكون، ونظامه الموزون، وتلاعب بسنن التناسل والتكاثر، فهو لذلك محرّم شرعاً، كما أفتى شيخنا القرضاوي[٨]، ولسنا ندعو إلى إلغاء البحث العلمي، وإنما ندعو إلى توجيه تطبيقاته وإنجازاته في النفع الإنساني، فالطاقة الذرية إن استخدمت في المحطات الكهربائية نفعت، وإن استخدمت في القنابل النووية أهلكت.

قلت : وما عسى أن يقع من شرّ أو ضرر إذا استنسخ البشر؟.

قـال : إن تمّ الاسـتنسـاخ فـانتظر يـأجـوج ومـأجـوج، ولسـوف تختلط الأنسـاب، وتتـشـابه الأضـراب، ويقـتـتل الأصـحـاب، وتصـاب النفـوس بكابوس حتى يلقى الرجل نظيره المستنسخ فيقول كلّ منهما للآخر: أنت أنا فمن أنا؟! ثم يهيمان على وجهيهما حتى يهلكا٠ وإن تزوج الرجل زوجة ثانية مستنسخة قالت له الأولى:

نقل فـؤادك حيث شئت من الهوى

مـا الحب إلا للحـبـيب الأوّل![٩]

أي مـا الحب إلا للنسـخـة الأصليـة الأولى!

وسوف يبيح علماء العربية للإنسان المستنسخ أن يقول: «أكلوني البراغيث» بلسان الجمع؛ لأنه متعدد النسخ، قابل للمسخ، إن عضّه برغوث حكّ نظيره جلده داعـيـاً بالغـوث! وويل للأنام إذا اسـتـنسـخ الحكام، وصـار شـارون شـارونين، فكيف حـال الرعية والكراسي المرعية؟! وهنيئاً للحكام بالنسبة الكاملة المئوية٠

وأما المواطنون المستنسخون فسوف يشعرون أنهم محـتـقرون مـهانون، وأنهم مجـرد قطع غيار، وجـمـاعـة من الأغـيـار، فـيتـداعون إلى إقـامـة دولة مستقلة تتصدر العالم، وتحتضن عصابات المافيا، وتجـارة الأعـضـاء الحـرة، وتحـتـفي بـالتـمـيـيـز العنصري، وتحتفظ في مجلس الأمن بحق النقض والطعن، ويتـعـهد رئيسـها على الفور ـ كما فعل بلفور ـ بالولاء التام لليهود، وبيعهم كميات من الدم الكنعاني الأحـمـر القـاني لفطر صـهـيـون وإرواء شارون[١٠]٠

هذه علائم الاستمساخ إن وقع الاستنساخ، ولكن قل لي يا وشـاء، ما الذي جرى للشعراء في الزمـان الغـابر، هل اسـتنسـخـوا حـتى تواردت الخـواطر، ووقع الحافر على الحافر؟ فإننا نجد الاثنين منهم أو الثلاثة يتنازعون القصيدة الواحدة، وما الذي جرى للفارس عنترة؟[١١]٠

قلت : زعمت «شهرزاد» في «ألف ليلة وليلة» أن هزيمة مـاحقة لحقت «بعنترة» بعدما خدعه أحفاد القرود بمعسول الكلام وثمـار السـلام، واسـتـولوا على العقد النفيس في جزيرة المغناطيس التى تدر اللبن والعـسـل، فـتـخـلى عن الفـروسـيـة، وآمن بالدبلوماسية، وجعل السلام خياره وفوله، وعدسه وفطوره، فمُسخ دجاجة بيّاضة، فإذا هو سجين في جلدها، لا يملك الفكاك، ولا يقـوى على الخـلاص، فلا مفر له ولا مناص٠ ولّما رأته «عبلة» أسفت عليه أسف «أبرهـة» على «القُلّيس»، وحـزنت عليـه حـزن «نزار» على «بلقـيس» ! أمـا عنتـرة فلم يوهب إلا ملكة النطق فـغـرق في بحـر دمـوعـه، وأيس من

رجوعه، فأنشأ متحسراً:

يا عبل ماذا دهاني

حتى فقدت كياني

قد صار جسمي وشكلي

طيراً من الحيوان

ها أنا صرت دجاجة

ذات نقّ ولجاجة

ليس عندي فضل عقل

لا ولا أدعى لحاجة

أين سيفي وجناني

أين رمحي ولساني؟![١٢]

ثمّ بعد حين وهب الكتابة، فسطر في بضع سنين «مذكرات دجاجة»[١٣]، غازل فيها الديك الرومي ذا العرف القرمذي، وأعلن له الاستسلام، والبقاء مع الأيتام على مائدة اللئام، ثم بكى الديار كما بكى ابن حذام:

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهّم[١٤]

وأنشأ يقول في مذكراته: لقد شغفني الديك الرومي حباً، وتملك كل جارحة من جوارحي، ولو كان لي أن أقتطع من لحمي شطراً فأطعمه إياه لفعلت، ولم لا أفعل ذلك؟ إنه لمثال المروءة والحنان، والديمقراطية وحقوق الإنسان، إن صنع قنبلة رماها علينا، وآثرنا بها، وإن سقط في وحل فيتنام أو حاصر الأيتام أو زرع الألغام مددنا له أيدينا بالبط المشوي والنفط المغلي، وإن سمع صوتاً مفزعاً لحلفائه الخنازير انتفخت أوداجه، وتصلبت أعصابه، وثار الدم في وجهه، واستعد للقاء المكروه بنفسه، ولو جاء المكروه من أكبر مخلوق أو من أصحاب الحقوق لكان موقفه موقف الذاب عن مصالحه ودولاراته، فليت شعري أي مخلوق في العالم الثالث يقف منا هذا الموقف النبيل؟!

وأشعة ليزره فتنة لا مثيل لها، وصوت صواريخه سحر لا يشبهه سحر، أودّ أن ينقلب جسمي كله ويستنسخ عيناً واسعة الحدقة، وطائرة إنذار مبكرة، وأذناً مرهفة؛ لأبعد عنه ريبة المرتاب، وأدفع عنه غائلة الإرهاب. أودّ أن يكرّمني بإبقاء سفارته في أحشائي، وأن تسير عرباته على أعضائي، وكم آسف لأني لا أستطيع أن أكون كما يريد. ما أسعدنا وما أطيب أيامنا في هذه الحياة، ونظامها العالمي الجديد بقيادة ديكها الفريد!![١٥].

قال ابن النفيس : عجبا، أبلغ الذل والهوان بعنترة هذه الدرجة، وهو القائل :

لا تسقني ماء الحياة بذلة

بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل؟!

قلت : ولكن عنترة عاد بعد طول سُبات على صهوة جواده يستعيد أمجاد آبائه وأجداده، وقد نبذ الشعارات المنسية، والجهود الدبلوماسية، ولولا البطل المغوار الذي أخرجه من جلد الدجاجة وعنق الزجاجة لظل رهين الإسار!

قال : ومن يكون هذا البطل المغوار صاحب السيف البتّار ؟

قلت : إنه المجاهد المكافح محمد الفاتح قاهر بيزنطة الذي غيّر وجه التاريخ لا بخيار السلام ولا بالبطيخ، بل بمدفع القوّة ومنجنيق الفتوة! وما أحوج الأمة إلى بطل يخرجها من الاستمساخ، وإلى عالم مثلك يبصرها بمخاطر الاستنساخ.

قال أبو الطيب الوشاء : فلما سمع ابن النفيس مقالتي عكف في معمله، فصنّف رسالة علمية جامعة صدّر بها كتابه الشامل، وجعل عنوانها:

وجوب الانسلاخ من الاستنساخ!! ■

الهوامش :

(١) أبو الطيب الوشاء: محمد بن إسحاق، لقب بالوشاء لأنه كان يتعاطى التوشية، وهي مهنة زخرفة الأزياء ونسجها. وهو أديب ونحوي، ومن مؤلفاته: مختصر النحو، وكتاب الموشّى، والحنين الى الأوطان، توفي ببغداد ٣٢٥هـ.

(٢) ابن النفيس: على بن أبي الحزم القرشي، أعلم أهل زمانه بالطب، ولد بدمشق، ألف في الطب كتاب «الشامل» في (٣٠٠) مجلد، وكانت تصانيفه يمليها من حفظه، وهو طبيب وأديب وفقيه على مذهب الشافعي، خلّف مالا كثيراً ووقف كتبه وأملاكه على البيمارستان المنصوري، وهو مكتشف الدورة الدموية، وأول من أشار إلي الحويصلات الرئوية، والشرايين التاجية. ت ٦٨٧هـ.

(٣) البيتان لابن الرومي.

(٤) تم استنساخ النعجة دوللي عام ١٩٩٧م على يد د. ويلموت وزملائه في معهد روزلين بادنبرة.

(٥) سورة القيامة الآيات/ ٣٧ ـ ٣٩.

(٦) سورة الأعراف آية/ ٥٤.

(٧) سورة النساء آية/ ١١٩.

(٨) القرضاوي: الشيخ يوسف القرضاوي، علامة داعية، وفقيه مجاهد، وأديب شاعر، ولد بمصر ١٩٢٦م ودرس في الأزهر، ونال الدكتوراه في الحديث وعلومه، له أكثر من (١٠٠) كتاب، قال فيه الشيخ مصطفى الزرقا «القرضاوي حجة العصر وهو من نعم الله على المسلمين».

(٩) البيت لأبي تمام.

(١٠) حبذا قراءة رواية «دم لفطر صهيون» للأديب نجيب الكيلاني، وتاجر البندقية لشكسبير.

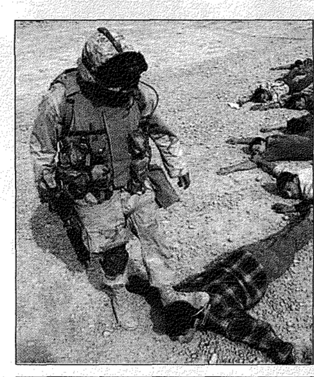
(١١) عنترة رمز للشجاع الذي ألقى سلاحه، واستسلم لعدوه (كان عنترة العبسي فارساً وشاعراً في الجاهلية، أحب عبلة، ولم يدرك الإسلام).

(١٢) الأبيات من نظم كاتب الأحماض.

(١٣) مذكرات دجاجة : كتاب للدكتور إسحاق موسى الحسيني، كتبه في القدس سنة ١٩٤٣م وقدّم له د. طه حسين. كتب هذه المذكرات على لسان دجاجة بأسلوب بياني بديع.

(١٤) البيت مطلع معلقة عنترة.

(١٥) جرى تغيير وزيادة على النص المقتبس من مذكرات دجاجة بما يلائم سياق الأحماض الأدبية (انظر النص الأصلي في مذكرات دجاجة ص ١٨/١٩).





خسئ الغزاة

حـا شـاك تنثـرُ للغـزاة ورودا
فلقـد خلقت كمـا النخيل عنيدا

لا زال فيك من «الحسين» بقيـة
تأبى تُبـايع في الخنوع «يزيدا»

ومــرابطون يَشــدُّهم لتُــرابهم
مــا شــدَّ بالكتف السليم زُنُودا

ومكبــرون يرون في وثبــاتهم
باسم الحنيف على الغزاة سجودا

يا ابن الأباة المرخصينَ نفوسَهُم
ونفـيسَـهم ـ لذمـارهم ـ ووليـدا

كن مثل طين الرافدين .. ولا تكنْ
إن أوقـدوا نـار الضـلال حـديدا

سُلَّ الضلوع إذا عُــدِمْتَ أسِنَّة
وأقم عليـهم بالجـهـاد حـدودا

واكنسْ بمجرفة الرصاص قمامة
بشـريَّة لا تسـتـحقُّ وجـودا



يحيى السماوي

- استراليا -

شطباً لها من لوح طينك ـ حسبُها

أنْ حدَّثتْ يوم احتلالك عيدا

المرخصون غَدَ العراق بعقدهم

تحت الدُّجى للإحتلال بنودا

المفترون على الإله بسَنِّهم

فتوى تُجيزُ عن الجهاد قعودا

الناهبون من الجياع رغيفهم

الفاسدون عقيدة وعهودا

فأعدَّ لهم غضب الحليم يسومُهُ

قهراً ـ مُريد ضلالة ـ وقيودا

قد أوجب اللهُ القصاص كفى به

حكماً عدولا ـ والدماء شهودا

رقصوا على قرع الطبول كلُّهم

خُلقوا لطبل الأجنبيِّ قرودا

ظنوا الكرامة منصباً فاسترخصوا

كبراً فسيقوا للخنوع جنودا

مدُّوا لأحذية الغُزاة رؤوسهم

جِسْراً .. ومدُّوا للأكفِّ خدودا

أولاء شرٌّ فاضربنَّ جُذوره

إنْ شئت أمراً للعباد حميدا

واكفُرْ بتحرير يُذلُّ عروبة

ويُعزُّ «بيت خطيئة» ويهودا

ما دام أنَّ الموت حتمُك فاقتحمْ

ميدانَهُ حتى تقوم شهيدا

جهزْ لهم يا ابن العراق جهنَّما

أرضيَّة وأقم لهم أخدودا

خسىء الجناةُ فما العراقُ بعاقر

عقُم الزمانُ ولا يزال ولودا

مرَّ الغزاة به فخضَّبهُم دماً

وأذلَّ رايات لهم وحشودا

بالأمس زان فم الزمان رشيدُهُ

وغداً سينجبُ للرشيد حفيدا

سلوكيات لغوية

اللغة وخصائصها الفكرية والنفسية

□ *وضع علماء اللغة عددا من النظريات لتحديد المرحلة التى بدأ فيها الإنسان التعبير عن نفسه بالكلام، ولكن أيًّا من هذه النظريات لا تفسر تفسيرا كاملا تطور اللغات الإنسانية إلى ما وصلت إليه من تعقيد ودقة. ويعتبر العلماء أن اللغات بمراحلها المختلفة تشكل أهم إنجاز حققه الإنسان في تاريخه.*

ويقول ادوارد ثورندايك من جامعة هارفارد: «إن اللغة أكثر أهمية من كل ما أبدعه الإنسان من أدوات في الأعوام الألفين الماضية» واللغة جزء بالغ الأهمية من حياة الإنسان اليومية، فبوساطتها يفكر، ويتصل بالآخرين، ويحقق التكيف مع نفسه ومع البيئة التى يعيش فيها. ولغة الفرد انعكاس لطريقة عيشه ومستوى تفكيره وعمق أحاسيسه. فما هي خصائص اللغة؟ وكيف تساعد معرفة هذه الخصائص معلمي اللغات في إجادة عملهم فيفيدون تلاميذهم أحسن فائدة من الوقت والجهد المبذولين؟.

اللغة أداة بشرية :

أول خاصّة تمتاز بها اللغة هي أنها نشاط بشري. ومع أننا نعرف أن الحيوانات يتصل بعضها ببعض بأشكال مختلفة، إلا أننا نعرف في الوقت نفسه أن هذه الأشكال من الاتصال لا تمتاز بالمرونة والشمولية والدقة بحيث تعتبر لغة بالمعنى المتعارف عليه.

ويقول عالم اللغات جوليان هكسلي الذى أجرى سلسلة من التجارب على الاتصال الحيواني في حديقة حيوان لندن: «إن بامكان حيوانات كثيرة أن تعبر عن حاجتها الى الطعام بطريقة أو بأخرى، ولكن ليس من حيوان بامكانه أن يطلب بيضة أو موزة». ويقول روبرت ييركس في دراسة له عن القردة: «كل شيء يشير الى أن ما يصدر عنها من أصوات لا يشكل لغة حقيقية، ويبدو أن هذه الأصوات في أساسها تعبير عن حالات نفسية». وعلى ذلك فإنه يبدو أن الإنسان وحده هو الذي يستعمل اللغة كأداة من أدوات تحقيق ما يريد.

اللغة هي أحد أهم النشاطات البشرية:

تشكل اللغة أساسا لتعايش الجماعات، ومن

المتعذر أن تقوم حضارة من الحضارات دون كتب وهواتف ووسائل اتصال وإعلام وغيرها. وتشير دراسات لغوية إلى أن الأطفال ما بين الثالثة والرابعة من أعمارهم ينطقون بالمتوسط بحوالي عشرة آلاف كلمة في اليوم الواحد. بينما يتعامل الأطفال الأكبر سنا والراشدون مع آلاف مؤلفة من الكلمات كل يوم في الصحف والكتب والإذاعات والمحاضرات وغيرها. ومن هنا تتولد حاجة ماسّة إلى اكتساب مهارات لغوية تفيدنا في الاتصال بالآخرين والتأثر بهم والتأثير فيهم.

وتتمثل هذه المهارات في القراءة والفهم والكلام والكتابة، ولا جدال في أن العيش في العصر الحديث يستلزم قدرات في تلقي هذا الكم الهائل من الكلمات، وفهمها، وغربلة ما فيها من أفكار، ومن ثم مقارنة هذه الأفكار بعضها ببعض، وموازنتها، وطرح ما لا يفيد منها، وتبنّي ما نعتقد أنه مفيد ورصين. وعلى ذلك تشكل النشاطات اللغوية الأساس في أي منهج تربوي، إذ تركز المدارس على تعليم الأطفال المهارات اللغوية الأساسية وطرائق منهجية استعمالها، الأمر الذي يمكّن الأطفال من تعلم حمل مسؤولية أنفسهم والمساهمة في حمل المسؤوليات التى يفرضها المجتمع.

اللغة نمط سلوكي مكتسب :

يقول العالم اللغوي الدانماركي الشهير أوتو جيربيرسون: «يتمثل جوهر اللغة في أنها نشاط إنساني، يمارسه الفرد ليمكن فردا آخر من فهمه، ويمارسه الفرد الآخر لفهم ما يفكر فيه الفرد الأول» ولما كانت اللغة نمطا سلوكيا فإن مشكلاتها ذات طبيعة نفسية أكثر مما هي

د. زياد الحكيم

استاذ جامعي سوري
- لندن -

ذات طبيعة آلية. فالنشاطات اللغوية التى يمارسها الفرد هي في الأساس رد فعل على منبهات البيئة التى يعيش فيها، أو هي جزء من التفاعل مع تلك البيئة. وعلى ذلك يمكن دراسة اللغة على أساس تلك العلاقة مع البيئة.

من هنا نرى أن إنفاق وقت طويل على تمارين النحو الصحيح وأشكال الأفعال وحروف الجر المختلفة، بمعزل عن سلوك الطفل وخبراته، كما تفعل بعض المدارس، هو أمر مبالغ فيه. لقد أخفقت مدارسنا، عموما، في تعليم اللغة العربية في سياقها الصحيح، وتجاهلت أن اللغة شكل من أشكال السلوك الإنساني وليست مجرد «جمل نموذجية» تكتب على السبورة ويقضي المعلم والتلاميذ الساعة تلو الساعة في شرحها واستخلاص ما فيها من قواعد نحوية وإملائية.

اللغة نشاط بشري، وموجه لنظم حياة الأفراد والجماعات

لابد أن نعتبر اللغة جزءا من النشاط الكلي للطفل في أوضاع اجتماعية معينة، وأداة يعبر بها عن خبراته وأحاسيسه. يقول المؤلف كورت كوفكا: «إذا أراد المعلم أن يعلم الطفل لغة دقيقة ومهذبة، فإن عليه أن يعلمه السلوك الدقيق والمهذب». فالمعلم الحاذق يرى بوضوح العلاقة بين النشاطات اللغوية وخصائص شخصية الطفل المتعلم، بما في ذلك أحواله النفسية والانفعالية، وخبراته الحياتية، ومواقفه مما يجري حوله من شؤون.

وليست اللغة مهارة طبيعية، ولكنها

مهارة مكتسبة. ويؤكد علماء اللغة أهمية البيئة اللغوية المبكرة للطفل وأثرها في تكوينه الفكري والنفسي. ويؤكدون أيضا أهمية اعتبار الطفل في مجال استعماله اللغة فردا له من الخصائص الجسمية والعقلية والنفسية ما يميزه على أقرانه، ليس فقط عندما يبدأ تعليمه المدرسي الابتدائي، ولكن أيضا في سنوات تعليمه المتقدمة. ولنا أن نتوقع مواقف مختلفة من اللغة بين الأطفال نظرا إلى اختلاف بيئاتهم اللغوية: فالأطفال يختلفون في اهتماماتهم بالكلمات، وفي معرفتهم للكتب والمجلات، وفي إلمامهم بالقصص المخصصة للصغار. ولذلك فإن التركيز على تمارين تركيب الجمل مثل «المجدّون فائزون» و«وصل القطار الى المحطة مبكرا» هو مضيعة لوقت كثير من الأطفال، بل هو يسهم بما يسببه من ضجر في اكتساب مواقف عدائية من المدرسة ومن العملية التعليمية برمتها. إذن، لغة الطفل وحاجاته التعليمية في مجال اللغة هي مسألة فردية في المقام الأول.

اللغة رموز وأعراف :

إذا رأينا جسما مؤلفا من أربعة أرجل ومسند ومقعد يجلس عليه شخص فإننا نطلق عليه اسم «كرسي». لماذا؟ لأن هذا هو الاسم المتعارف عليه. كان بامكاننا أن نسميه «بقرة» أو «تفاحة» لو أن الجميع تعارفوا على تسميته كذلك. وعلى هذا، فإن كل الكلمات التى نستعملها هي رموز لأفكار وأشياء مادية أو مجردة.

ولما كانت اللغة تقوم على رموز متعارف عليها فان ذلك يثير عددا من المشكلات التعليمية المهمة. فنحن لا نريد أن يقول الطفل «ليمونة» في حين انه يقصد «باذنجانة»، ونريد أن يقرأ ويكتب بالشكل الذي يفهمه الآخرون. يضاف إلى ذلك أنه يجب على الطفل أن لا يستعمل الرموز الصحيحة للتعبير عن معنى معين فحسب، بل عليه أن يفهم ما تمثله هذه الرموز من دلالات حين يستعملها شخص آخر.

ويكتسب الطفل بشكل عام فهما لما تمثله الرموز على نحو بطيء جدا. فكلمة «كرسي» تعني لطفل صغير أول ما تعني كرسيه الخشبي الصغير. أما الكرسي الذي يجلس عليه جده، فهو شيء آخر. وشيئا فشيئا، يعرف أن الكراسي جميعا تشمل عناصر مشتركة معينة، وعندئذ يستطيع تعميم فكرة الكرسي، وذلك يستوعب الدلالة، بل إن الكثيرين منا يضيفون باستمرار دلالات جديدة لكلمات مجردة مثل «العدل» و«الحق» على مدى الأيام والسنين. فاللغة، إذن، نظام رمزي وعرفي، يشكل تحديا كبيرا للمتعلم الصغير، وهو قابل للتطور والتجدد في السنوات اللاحقة.



اللغة نشاط اجتماعي في الأساس :

أهم وظائف اللغة هي التعبير عن أفكار في ذهن المتكلم ونقلها الى ذهن المستمع، وتقول المؤلفة غريس دو لاغونا: «يشكل الكلام الوظيفة الأساسية في تنسيق نشاطات أفراد جماعة من الجماعات». ويعتقد جان بياجيه، العالم اللغوي الشهير، أن الطفل لا يستطيع قبل سن السابعة أن يفكر بحيث يرى العلاقات التى يراها الكبار بين الأشياء. ويشير علماء آخرون إلى أن واحدا من أهم

أغراض اللغة هو ترك انطباع في الآخرين والتأثير في سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم. ويرى آرثر كنيدي أن اللغة المنطوقة والمكتوبة أيضا والمستعملة في الإعلانات التجارية وفي الأعمال الدعائية تستعمل بغرض التأثير في سلوك الآخرين. وهذا استعمال اجتماعي للغة.

ومن الأغراض الاجتماعية لاستعمال اللغة كذلك حفظ أفكار ومعلومات عن الميراث الثقافي في مجتمع من المجتمعات من جيل إلى أجيال لاحقة. والكتابة والقراءة عنصران أساسيان في تلك العملية.

ففي القبائل البدائية يقوم الكلام بدور أساسي في نقل معارف القبيلة وقيمها وأعرافها من الأب إلى الابن.

وفي الحضارات الأكثر تعقيدا تؤدي اللغة دورا عظيما في نقل المعارف والخبرات من جيل إلى جيل بالكلمة المنطوقة والمكتوبة. ويتلقى الأطفال والكبار عن طريق هذه الاتصالات الشفهية والمسجلة مخزونا ضخما من الخبرات التى تساعدهم في حل مشكلاتهم، فتيسّر عليهم حياتهم وتجعلهم أكثر تكيفا مع مجتمعهم وأكثر قدرة على تذليل الصعوبات في هذا السبيل.

فباللغة يبني المرء فوق ما بناه آخرون قبله، ويحقق فتوحات جديدة ويستفاد من المهارات اللغوية في التواصل الاجتماعي، وان كان في الشهور والسنوات الأولى من حياة الطفل تمتاز هذه المهارات بخصائص فردية. فالكلام والفهم والقراءة والكتابة كلها ذات أهمية اجتماعية كبيرة نظرا إلى الدور الذي تقوم به في عملية تكيف الفرد مع نفسه ومع مجتمعه. وعندما يتعلم الطفل الكلام يكتسب قدرة

التركيب النفسي والاجتماعي، تشكل اللغة واحدة من مكوناته

على فهم أفضل لبيئته، ويحقق بذلك وضعا أفضل في التواصل مع الآخرين. والطفل الذي لا يستطيع التعبير عما يحتاج إليه يشعر بكثير من الإحباط والعجز. وإذا تأخر الطفل في السنوات المدرسية في اكتساب المهارات اللغوية الضرورية فانه يفقد جانبا كبيرا من احترامه لنفسه ومن القدرة على اكتساب المعارف المختلفة في المدرسة والشارع والبيت.

ونقرأ في سيرة حياة الكاتبة الأمريكية هيلين كيلر التى ولدت صماء وعمياء وبكماء أنها قبل سن السادسة وقبل تعلمها المهارات اللغوية اللازمة كانت تشعر بكثير من الضيق وكانت كثيرة الغضب والتوتر وقليلة القدرة على التكيف مع محيطها. ولكن ما أن اكتسبت القدرة على التعبير حتى أصبحت قادرة على التعامل مع أقرانها. وتشير دراسات كثيرة الى العلاقة الوثيقة في ما يواجهه بعض الأطفال من صعوبات في التعليم وعدم القدرة على التكيف النفسي، وتخلص هذه الدراسات الى أن هناك علاقة قوية بين تعلم اللغة والعناصر التى تشكل شخصية الطفل.

ولا تنبع أهمية اللغة بالنسبة الى الفرد من علاقتها بالتكيف النفسي فحسب، ولكن من كونها أساسا للتفكير أيضا. فنحن عندما نفكر نستعمل اللغة حتى دون النطق بكلمة واحدة. كذلك لا تتضح أي فكرة إلا بالتعبير عنها لغويا. يقول جيربيرسون: «أنا أتكلم لاكتشف ما أفكر فيه». ويبدو انه عندما يكبر الأطفال يكتشفون أن لديهم مخزونا من الأفكار والمشاعر والخبرات التى تشكلت قبل قدرتهم على التعبير عنها بكلمات، فتبقى في وجدانهم دون تعبير، ولكن بامكانهم أن يكشفوا عنها بالكتابة الإبداعية ■



الفروق في اللغة

٣٤

الفرق بين الهم والغم والحزن والحرض

□ الحمد لله ، وصلى الله على محمد ومن والاه، ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه .

وبعد : فالأعمال التى ترى على الإنسان لا نحتاج معها إلى بيان لوضوحها، لكن ما يعالجه الإنسان داخل نفسه فهو الذي لا يدرك فضلا عن أن يعرف حق المعرفة، فترى إنسانا في قلق؛ ما سببه ؟ . . فإن شغله الدَّين فهو إذن مهموم (الدَّيْن همّ بالليل وذل بالنهار)[١] وتجده قلقا ولا تدري السبب فإذا كان على فقد عزيز فهو الحزن (وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون)[٢] .

وإذا كان على أمر مؤلم سيأتي فهو الغم وصاحبه مغموم، ومنه قيل (الحسد مذموم وصاحبه مغموم)[٣] وهكذا وإليك تفصيل المجمل:

الهم هو الحزن ، وأهمني الأمر مع الهمزة أقلقني، كما يقول في المصباح المنير[٤].

(قلت) إذن الهم حزن مقلق.

وفي الوسيط: همَّ الأمر فلانا : أقلقه وأحزنه، والشيء : أذابه، يقال همّ الشحم، وهمت الشمس الثلج[٥].

وقال في الوسيط : حزن الأمر فلانا يحزُنه حزناً : غمَّه[٦]. لكن قال في مادة غم اليوم يغُمُّ غماً وغموماً: اشتد حره حتى كاد يأخذ بالأنفاس فهو هنا كأنه حزن شديد، لكن قال بعد هذا: ... وفلانا حزَنَه[٧].

وقد جاء الحزن وما تصرف عنه في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، وجاء لفظ الغم وما تصرف عنه أحد عشر مرة في كتاب الله تعالى، والمراد به في أغلب الآيات ألم النفس وضيق الصدر[٨].

وجاء لفظ الهم وما تصرف عنه تسع مرات في القرآن الكريم، لكنه غالباً بمعنى العزم على الفعل،

كقوله تعالى {ولقد همَّت به وهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه}[٩].

وقد قرن الله تعالى الخوف بالحزن في كثير من الآيات (في تسع عشرة آية) ففي سورة فصلت قال تعالى {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون}[١٠].

والفرق بينهما: هنا أن الخوف هنا مما سيأتي من أهوال يوم المحشر؛ فعليهم أن يطمئنوا ولا يخافوا من تلك الأهوال، وأما لا تحزنوا فهو ألا يحزنوا على ما تركوا من أولاد وأموال؛ لأن الله تعالى يتولى شئونهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة: {نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة}.

وقد جمع النبي {صلى الله عليه وسلم} بين الهم والحزن في حديث واحد ففي صحيح البخاري: عن عمرو بن أبي عمرو قال: سمعت أنساً قال: كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول «اللهم إني أعوذ بك من

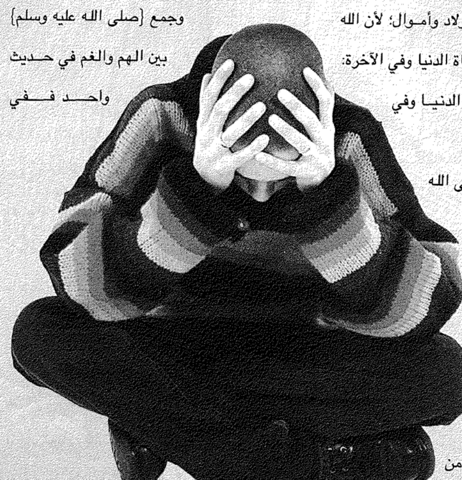


أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال»[١١]، وفرق بينهما في حديث آخر، ففي صحيح مسلم: عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته»[١٢].

وجمع {صلى الله عليه وسلم} بين الهم والغم في حديث واحد ففي



المستدرك على الصحيحين للحاكم: قال: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «عليكم بالجهاد في سبيل الله؛ فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم» وزاد فيه غيره «وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١٣].

وكذلك جمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بين الهم والحزن؛ ففي جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي قال: وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحداً على رزق الله، ولا تلم أحداً على ما لم يؤتك الله؛ فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تعالى بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في السخط والشك)[١٤].

وفي فيض القدير للمناوي قال - وهو يشرح قوله [صلى الله عليه وسلم] «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن» - ليس العطف لاختلاف اللفظ مع اتحاد المعنى كما يظن؛ بل الهم إنما يكون في أمر متوقع، والحزن فيما وقع.

والهم : هو الحزن الذي يذيب الإنسان، فهو أشد من الحزن، وهو خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم فافترقا.

وقال القاضي[١٥] :

الفرق بين الهم والحزن : أن الحزن على الماضي، والهم للمستقبل.

وقيل : الفرق بالشدة والضعف، فإن الهم من حيث إن تركيبه أصل في الذوبان؛ يقال أهمني المرض: بمعنى أذابني، وسنام مهموم: مذاب، وسمي به ما يعتري الإنسان من شدائد الغم؛ لأنه ببدنه أبلغ وأشد من الحزن الذي أصله الخشونة[١٦].

(قلت) لعل الحزن إذا زاد صار حرضا أي مهلكا، ففي فتح الباري: قال أبو عبيدة في قوله تعالى [حتى تكون حرضاً] الحرض: الذي أذابه الحزن، أو الحب، وهو موضع محرض.

جاء في تفسير القرطبي : وقال العرجي:

إني امرؤ لج بي حب فأحرضني

حتى بليت وحتى شفني السقم

قال النحاس : يقال حرض حرضاً، وحرض حروضاً وحروضه: إذا بلي وسقم،

ورجل حارض وحرض[١٧].

وبين ابن حجر في فتح الباري الفرق بين الهم والغم والحزن فقال: قوله «ولا هم ولا حزن» هما من أمراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب.

قوله «ولا أذى» هو أعم مما تقدم، وقيل: هو خاص بما يلحق الشخص من تعدي غيره عليه.

قوله ولا غم - بالغين المعجمة - هو أيضاً من أمراض الباطن، وهو ما يضيق على القلب، وقيل في هذه الأشياء الثلاثة: وهي الهم والغم والحزن؛ أن الهم: ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم: كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، والحزن: يحدث لفقد عزيز على المرء فقده، وقيل: الهم والغم بمعنى واحد.

وقال الكرماني: الغم: يشمل جميع أنواع المكروهات؛ لأنه إما بسبب ما يعرض للبدن أو النفس، والأول إما بحيث يخرج عن المجرى الطبيعي أو لا ، والثاني إما أن يلاحظ فيه الغير أو لا، وإما أن يظهر فيه الانقباض أو لا، الى الماضي أو لا[١٨].

وهكذا تجد الاتفاق على أن لكل كلمة معناها، ونجد الخلاف في بعض معاني هذه الكلمات ■

الهوامش :

(١) شعب الإيمان ٤/٤٠٤، ومذلة بالنهار، فيض القدير ٣/١٣٠، شرح الزرقاني ٣/٤٢٢ ، ولم يعلقوا عليه.

(٢) صحيح البخاري ج: ١ ص: ٤٣٩: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ابراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يارسول الله؟ فقال «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم اتبعها بأخرى فقال {صلى الله عليه وسلم} «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون».

(٣) تفسير القرطبي ٥/٢٥١.

(٤) ٢/٣١٥.

(٥) ٢/٩٩٥.

(٦) ١/١٧١، مادة (حزن).

(٧) ٢/ ٦٦٣.

(٨) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ١/٣٩٣.

(٩) يوسف ٢٤.

(١٠) سورة فصلت الآية/ ٣٠ .

(١١) صحيح البخاري ٥/٢٣٤٢.

(١٢) صحيح مسلم ١٩٩٢.

(١٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/٨٤.

(١٤) جامع العلوم والحكم ١/٢٩٠.

(١٥) إذا أطلق فيراد به الإمام البيضاوي عبد الله بن عمر المتوفى سنة (٦٨٥).

(١٦) فيض القدير للمناوي ٢/١٥١.

(١٧) تفسير القرطبي ٩/٢٥٠ وفي المصباح المنير (حرض) أشْرَفَ على الهلاك.

(١٨) فتح الباري لابن حجر ١٠/١٠٦.



حوار الصمت

□ «وداعا.. وإلى لقاء محتمل»، قالها لها أو قالتها له.. لم يعد يذكر، ثم تركته واندست بين أغصان الأشجار التى تحيط بالممر الضيق المفضى إلى مكان عملها. لم يستطع أن ينظرإلى خطواتها الناعمة وهي تبتعد عنه، فقد أطبق عليه الصمت من كل جانب، صمت مرئيٌّ أمرّ وأشدّ من الصمت المسموع.

كل شيء حوله صامت، الممر صامت، الكرسي الذي كانت تجلس عليه صامت، ويشهد لو استنطق.

وعاد إلى بيته، إلى غرفته، وكل ما بها صامت، حتى ذلك الهاتف الصغير يتململ من الصمت: فكم قد سمع ونقل أنات روحها إليها مغلفة بنغمات مصطنعة من الحديث عن الحياة ومشكلاتها، وعلاقة الإنسان بالإنسان، فقد كان حديثها بريئاً طاهراً متطلعاً إلى المعرفة.. معرفة كل شيء.. يفيض عذوبة وأنساً وسحراً.. لكن الهاتف صامت.

وأطبق السكون رويداً رويداً رويداً.. حتى غدت نغمات صوتها جزءاً من الماضي الذى يبتعد كل لحظة، حتى صار حلما أو جزءا من حلم.

أما المتون المكومة فوق مكتبة فلها حديث من نوع آخر.. إنها صامتة كعادتها، لكن صمتها هذه المرة تخللته سخرية غريبة.. فقد تعودت منه التصدى بالسخرية لقصص الحب وقصائد الغزل، قديمها وحديثها، الشرقي منها والغربي، تلك كانت في رأيه بضاعة مزجاة مكرورة، لا حياة فيها ولا إثارة، ولا تزيدها المبالغة إلا مللا.

وجاء دوره الآن.. إنه الآن في موقف المتهم أمام تلك المتون والأسفار، غارقا في حب عنيف ملك عليه أمره، لقد جاء يستجدي العطف والمساعدة،

ماذا يعمل؟ كيف يبرر هذه الحالة؟ ٠٠ كيف يطيق صمت تلك المتون التى صحبها طيلة حياته، ووجد فيها كل ما يبتغيه من زاد فكري ٠٠ لكنها الآن صامتة، إلا من نغمة شامتة ساخرة لم يعهدها فيها من قبل، تزيد من ظلام ذلك الصمت٠

ولأول مرة في حياته يكتشف أن الصمت أبلغ من الكلام، وأن لغة الصمت أوقع في السمع، ولسوء حظه فقد تعلم هذا الدرس بأصعب وسيلة يمكن أن يتخيلها ٠٠ صمت الفراق، صمت الوداع، صمت اليأس، أين هذا من صمت المحبين عندما «تتعطل لغة الكلام»؟٠

ولأول مرة يدرك سر صمتها أثناء ذلك اللقاء الأخير ٠٠ فبعد كل عبارة ينتزعها من حناياه، كانت كمن يعلمه لغة الصمت، كمن يهيئه للقاء ساعات وأيام من الصمت يتعامل معها ويعيش فيا ويبثها شكواه ٠٠ لله درها ٠٠ ما أبلغ صمتها وما أوقع سحر عينيها النفاذتين وهي تزم شفتيها بعبارة صامتة تمسح ببلسمها أدران ثرثرته٠

ولأول مرة يدرك أن الصمت هو لغة الكون الحقيقية ٠٠ فهذه الأجرام والمجرات السماوية السابحة في فضاء لا نهاية له ٠٠ تسبح في صمت رهيب، وتسبح خالقها العظيم بتلك اللغة العجيبة التى لا نفقهها، والتى ظنها فلاسفة العصور الوسطى في أوروبا «موسيقى الأفلاك»٠

إنها إذن أبلغ وأذكى مما كان يظن ٠٠ آية من آيات الله ٠٠ يدرك كنهها من أسلم لها عنان نفسه تسيرها كيف تريد٠ ولكن أيكون هذا الآن، وهي بعيدة عنه؟٠

وهل كتب عليه أن يبقى بعيداً عنها إلى الأبد؟

أ٠د٠ عزت خطاب

- الرياض -

أم أنه درس آخر في حوار الصمت٠ صمت البعد؟٠

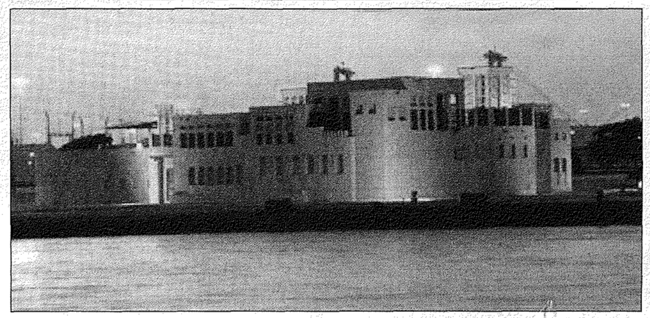
لا ٠٠ إنها قريبة منه قرب دقات قلبه وارتعاش أحاسيسه٠ لا ٠٠ إنها بعيدة عنه بعد تلك الدقات عن لغة الصمت٠ وهل آن لقلبه أن يصمت حتى تقترب منه، وهل يعلم القلب أن السكون نعمة، والصمت مفتاح لدنيا جديدة؟٠

ما أبعده عنها ٠٠ أنَّى له أن يدرك أنه كلما حرك لسانه بكلمة أو جملة ابتعدت عنه بمقدارها ٠٠ يا للسخرية الدرامية: فكلما أعتقد أن حديثه يقربه إليها، إذا هو يبعده عنها، والآن وقد وعي هذا الدرس متأخراً، كيف له أن يصلح ما أفسده جهله؟٠

وعاد بشكل لا شعوري يلقي نظرة أخرى على متونه عله يجد فيها، أو في صمتها، ما يروي غلته٠ كيف يخاطبها وقد صمتت، وهل يقدم نفسه إليها صامتاً؟ وهل وصل بصمته إلى مستوى تلك الذبذبات الخفية حتى يبدأ الحوار معها، أم أنه لا يملك الدربة؟٠

لا ٠٠ إنه لا يستطيع ، وكيف يستطيع إجادة لغة الصمت من بضاعته الكلام؟ ذاك مستوى من المعرفة دونه خرط القتاد٠

فليكتب إذن ٠٠ ماذا؟ قصة لحظة الفراق، لحظة الوداع أم لحظة الوعي بلغة الصمت؟ إنّهما لحظتان متلازمتان وإن بدتا متباعدتين٠٠ ففي لحظة الفراق كانت لحظة الصمت قد بدأت تطبق عليه وتخرجه من ذاته٠٠ ذاته الثرثارة ٠٠ إلى عالم رحب من السكون والصفاء ■



بيت الشيخ سعيد بن مكتوم

أيام على ضفاف الخليج

□ الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية والاستمتاع بالمشاهدة والتاريخ والطبيعة والآثار والحياة، ولقد فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على البحث المستمر عن الحقيقة ومعرفة ما تزخر به الحياة وحب المعرفة والاستطلاع - والرحلات فيها فوائد وتجديد نشاط . . ومما يزيد المعارف ويثري الثقافة . . ولقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ . . ومازالت الرحلات الى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات

ويسرني أن أكتب عن رحلة قمت بها الى دولة الإمارات العربية المتحدة.

حيث فارقنا مطار الملك خالد الدولي على متن إحدى الطائرات السعودية التى كانت تسير بنا بين شعاب نجد وأوديته وجباله وقممه الشامخة ورياضه الجميلة مردداً قول الشاعر أبي الطيب المتنبي:

إذا مضى علم منها بدا علم
وإن مضى علم منه بدا علم

ولَكَمْ توحي تلك المناظر بتاريخ عريق وما تزخر به من ذكريات ومجد وخطوب وتاريخ خالد.. وكان بجواري سعادة الشيخ محمد بن عبد العزيز الجميح رئيس مجلس إدارة بنك الاستثمار الإسلامي الأول، الذي يقع مقره في البحرين، وكنت ضمن مجموعة من المدعوين من البنك لحضور حفل تدشين المشروع العقاري المتمثل في بناء مجمع سكني في مدينة دبي.. تحدثنا عن روايات المؤرخين وقصائد الشعراء عما قالوه في تلك المرابع حيث يقول أحد الشعراء:

سقى الله نجداً من ربيع وصيف
وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

وقول الآخر :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

وتذكرت قول الصمة بن عبد الله القشيري :

قفا ودِّعا نجداً ومن حل بالحمى
وقلَّ لنجد عندنا أن يُوَدَّعا
بنفسي تلك الأرض ما أجمل الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا



عبدالله بن حمد الحقيل

الرياض - السعودية

وقال آخر :

تمتع من ذرى هضبات نجد
فإنك موشك ألا تراها

وفيما كنا نتجاذب أطراف الحديث إذا بالطائرة تعلن الاستعداد للهبوط في مطار دبي الدولي، وانتقلنا الى قاعة التشريفات حيث كان في الاستقبال عدد من المسؤولين الذين رحبوا بنا وبعد انتهاء الاجراءات المعتادة ذهبنا الى فندق «القصر» أحد فنادق دبي الفخمة الذي تم تشييده على أساس الطراز العربي الذى يحمل في طياته أركان التقاليد العربية بالإضافة إلى رمز الخيول العربية التى تم اختيارها مركزا للقصر، حيث اعتبر الخيل حلقة الوصل ما بين تراثنا العريق وحياتنا العصرية.. وهذا القصر العتيق للشيخ سعيد المكتوم الحاكم السابق لدبي واختاره الحاكم الحالي الشيخ مكتوم ليبقى رمزاً للشموخ على ضفاف الخور.. ويمثل القصر بأبراجه الهوائية وممراته الفن المعماري التقليدي.

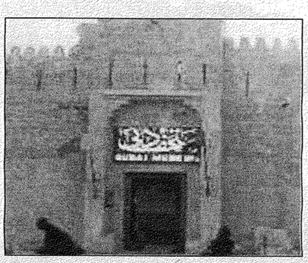
وأنشىء القصر سنة ١٨٩٦م وقد حاز على جائزة ، وتعتبر مدينة جميرا حلقة الوصل مع الماضي.. ويمثل قلاع القصور الفائزة .. ولا شك أن منظر هذه الخيول يعيد الى الذاكرة مكانة الخيل العربية، وإن هذا الفندق من الفنادق السياحية الجميلة وبداخله المطاعم التى يتجاوز عددها ٤٦ مطعماً.

ولقد أخذت إحدى القوارب للقيام بجولة على

أنحاء الفندق ومرافقه التى تعج بالناس، وجزء من المطاعم لابد من الحجز فيه قبل الذهاب إليه.

وفي اليوم الثاني توجهنا لقاعة الحفلات التى امتلأت بالمدعوين من السعودية والبحرين والإمارات العربية المتحدة والكويت وبعض البلدان الأخرى لحضور حفل تدشين المشروع العقاري الذي يتكون من (٧٠٠) فيلا تحيط بملعب جولف عالمي، ويشتمل على أكاديمية للجولف وأخرى للتنس ومدارس وعيادات طبية ومساجد وتشكيلة من المرافق العامة.. وخلال الحديث طلبت من الأستاذ/ عاطف عبد الملك مدير بنك الاستثمار الإسلامي أن تكون المشاريع القادمة في المملكة العربية السعودية، فقال إننا نعتز بأن يكون ذلك قريبا في الرياض ومكة المكرمة.

لقد كان الحفل فرصة للتعارف مع إخواننا من أبناء الخليج ولقد وجدنا من الجميع كل مودة وحفاوة وترحيب أحسنًا أننا بين أهلنا وأشقائنا الذين جمعتنا وإياهم أواصر الدين والتاريخ والدم الذى ينبض في العروق.. وبدأ الحفل وكانت أغلب الكلمات باللغة الإنجليزية مما حز في النفس فأولى بنا الحفاظ على لغتنا وفاء لها واعتزازاً بها ورحم



متحف دبي

الله حافظ ابراهيم حيث قال:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

ولقد قيل إن لسان العرب هو أجمل لغة على وجه الأرض وبها من دقة التركيب والاشتقاق والترادف والنحت والمجازات ما يجعلها تستوعب كل مصطلح جديد وكم عز أقوام بعز لغات.. ولقد وجهت أسئلتي باللغة العربية كما طلبت من المذيع الذي قدم الحفل أن يكون ختام الحفل باللغة العربية - وقد فعل ذلك مشكوراً وهو مذيع بأحد الفضائيات العربية، ومقدم برامج.. وفي نهاية الحفل جاء شاكراً لملاحظاتي ومقدماً نفسه وهو الأستاذ سامي زيدان المذيع بمحطة ((CNC العربية ودعاني لزيارته في المحطة وقد قمت والشيخ الجميح وفايز الفايز بزيارتهم والاطلاع على مجهوداتهم وبرامجهم في المحطة حيث قام بالشرح لنا الأستاذ محمد مؤمن مدير البرامج والأخبار.

وبعد انتهاء الحفل حرصت على القيام بزيارة بعض المدن والمعالم الحضارية والتراثية وكما قيل:

بلاد بها ما يملأ العين بهجة
ويسلي عن الأوطان كل غريب

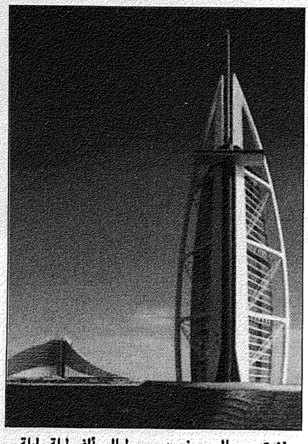
لقد حرصت خلال زيارتي لدولة الإمارات العربية المتحدة على زيارة عدد من المكتبات الثقافية ودور العلم وأسواق الحرف والصناعات التراثية للتعرف على الإرث التاريخي والحضاري لهذه

البلاد.. وتقاليده الخاصة وإنجازاته الحضارية..

ومما لفت نظري كثرة النخيل، هذه الشجرة المباركة التى عرفها الإنسان منذ القدم ـ وكانت مصدر خير ورزق وعطاء وفوائد كثيرة وأصبحت النخلة اليوم مصدر إلهام الشاعر والرسام في عملهما الفني كما أوجدت مصانع للتمور ومشتقاتها.

ودبي ثاني إمارة في الدولة ويطلق عليها لؤلؤة الخليج وتبلغ مساحتها ١٠٠٠ ميل مربع، وتنقسم مدينة دبي الى قسمين هما البر والديرة، ويعتبر خور دبي الذي يقسمها معلماً سياحياً في حد ذاته، وهذا الموقع الاستراتيجي لدبي مكنها من أن تصبح من أهم المراكز التجارية في العالم، ومختلف أشكال النشاط الاقتصادي وتحظى السياحة في إمارة دبي بمكانة متميزة نظراً لما تتمتع به من مرافق سياحية وترفيهية متطورة، وفي هذا الإطار يأتي مهرجان دبي للتسوق من كل عام وقد أصبح أحد التقاليد السياحية والاقتصادية التى ترشح دبي كأفضل منطقة للتسوق في العالم، هذا بجانب الأسواق والمراكز التجارية المتنوعة والحافلة بشتى أنواع البضائع، ومن أبرزها مركز دبي التجاري، ستي سنتر برجمان، وافي، مركز الغرير، والوصل، وسوق نايف، والذهب، بالإضافة الى عدد كبير من الأماكن الترفيهية والمراكز العلمية وفي مقدمتها مدينتا الإعلام والإنترنت، والمكتبات الثقافية وبرج العرب الذي يعد واحدا من أفخم الفنادق على مستوى العالم.

كما قمنا بزيارة بعض الحدائق كحديقة الصفا وهي تقع على جانب الطريق المؤدي إلى مدينة أبو ظبي، وتحتوي على مجموعة من المناطق المخصصة للألعاب، والتدريبات الرياضية وبجانبها منطقة البحيرات التى أنشئت فوق هضبات كبيرة في



فندق برج العرب في دبي .. ليالي ألف ليلة وليلة

الحديقة وشلال مياه ينساب من فوق الهضبة في بحيرة كبيرة بالإضافة إلى عدد من ملاعب الأطفال وأكثر من ٢٠٠ نوع من الطيور ومناطق مزودة بأجهزة فنية حديثة وتضم الحديقة قطاراً حديديا يأخذ الزوار في جولة حول الحديقة ماراً بمعالمها المتنوعة.. وهناك حديقة أخرى وهي حديقة مشرف تمثل الطبيعة في أبهى صورها، وتضم مجموعة من الأماكن الترفيهية وتضم ثلاثة عشر نموذجاً لمساكن عربية وأجنبية بنيت بشكل معماري دقيق معبرة عن الفن المعماري لتلك البلاد ويتاح للزائر أن يتعرف على خط الحياة القديمة حيث الجمال والخيمة البدوية والبئر والماعز وهناك منتجع باب الشمس الصحراوي على شكل حصن عربي تم استيحاء تصميمه من وحي التراث العربي القديم ومحاط بمناطق طبيعية أخاذة.

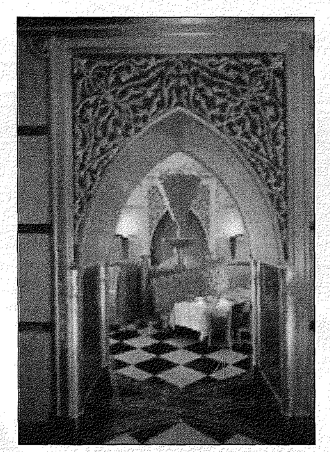
وهناك حديقة جميلة تطل مباشرة على الخليج العربي وحديقة الحيوان التى تحيط بها الأشجار الخضراء لتكون أكثر بقعة اخضرار في تلك الناحية.. وحرصت على زيارة بعض المواقع التراثية فدبي التى تسابق الحاضر وتحث الخطى إلى المستقبل مازالت تحافظ على عراقتها وأصالتها، ومن تلك المواقع التراثية بيت الشيخ سعيد الذي يقع بمحاذاة الخور من جهة بر دبي وقد بني عام ١٨٩٦م كمقر للحاكم وقد سمي باسم الشيخ سعيد المكتوم الذي استقر فيه حتى وفاته عام ١٩٥٨م، وهو مبنى على مساحة واسعة على طراز البيوت القديمة.

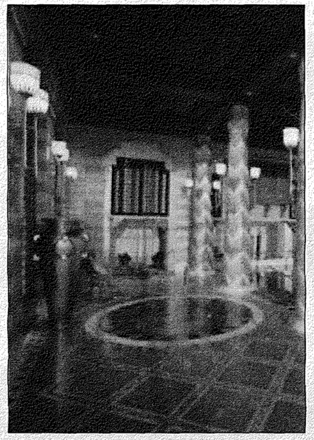
أما قلعة الفهيدي التى بنيت عام ١٨٧٧م فهي من أقدم الآثار وكذلك منطقة البستكية الواقعة في بر دبي وتمثل المنطقة مرحلة مهمة في تاريخ العمارة.

وتعتبر سياحة التسوق والمهرجانات والمعارض أبرز أنماط السياحة.. والواقع أن المتاحف والآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة أحد عوامل الجذب السياحي حيث توجد ستة متاحف تعكس في مقتنياتها المختلفة النهضة التراثية والحضارية في البلاد.. وهذه المتاحف ـ وقد زرت أغلبها في زيارات سابقة ـ هي متحف الشارقة ومتحف دبي ومتحف عجمان ومتحف راس الخيمة ومتحف الفجيرة ومتحف العين، إضافة الى المتاحف المتخصصة التى ثم افتتاحها في الشارقة.

ومن بينها متحف التاريخ الطبيعي والمتحف العلمي ومتحف الشارقة للفنون ومتحف التراث وتضم مجموعة من القطع الأثرية التى تمثل الحياة الاجتماعية قبل عصر النفط وترصد تطور الحياة المختلفة، ويحتوي متحف الشارقة للآثار على كتب التراث والمخطوطات التاريخية والقطع الأثرية.

ولا غرو فقد بلغت هذه الربوع أوجها في





حديقة الصفا .. اسم على مسمى فى دبي

الماضي العريق كما تثبت ذلك الدراسات الأثرية والتاريخية والجغرافية وقد خلد ذكرها في أقوال الشعراء والمؤرخين والجغرافيين ووصفها المؤرخون بأنها كانت ذات حضارة وازدهار ورقي.. ولقد رددت وأنا انتقل في تلك المتاحف قول الشاعر:

كل حي على المنيـــة غـــاد
تتـــوالي الركـــاب والموت حـــاد
ذهب الأولون قـــرنا فـــقـــرنا
لم يدم حـــاضـــر ولم يبق باد
هـل ترى منـهم وتســـمع عنـهم
غـــيـــر باقي مـــآثر وأيادي

وذهبنا للشارقة مركز الثقافة، وتحظى بإقبال منقطع النظير من قبل المثقفين وأصحاب المكتبات ومعارض الكتب، ومن خلال الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والأمسيات الثقافية والمهرجانات التى تقام على ضفاف بحيرتها الجميلة.. وفي سوقها الإسلامي نموذج رائع لفن العمارة الإسلامية ومتعة التسوق، ولقد نهضت في السنوات الأخيرة وارتقت بصناعة السياحة وهي تتميز بموقع استراتيجي وبكل ما تزخر به هذه الإمارة من طبيعة خلابة وشواطىء جميلة وفنادق ومتاحف ومكتبات ومواقع أثرية وتاريخية وعمارة قديمة ومقاه شعبية ومنتجعات سياحية، وتشكل الحدائق والمتنزهات رئة المدينة وبها عدد كبير من الحدائق المزودة بالوسائل والمرافق العامة، كما تضم عدداً من المراكز الثقافية، وعلى طريق الشارقة يقع متنزه الشارقة الوطني الذي يشهد إقبالا من الزوار حيث المناظر الجميلة التى يحتويها.

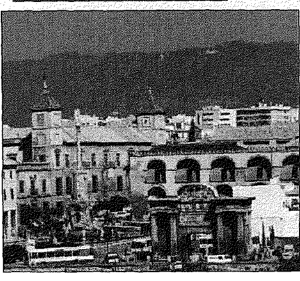
أما مركز حيوانات شبه الجزيرة العربية فيعتبر معلماً ثقافياً وعلمياً مهما ومرفقا حيوياً للجذب السياحي حيث تتوافر في المركز وسائل النزهة والمتعة والراحة والترفيه - ولا أريد أن استرسل في ذكر ما هو معلوم عن مدن الإمارات العربية المتحدة التى أصبحت مدنا عالمية لا بعمرانها المميز فحسب بل في ازدهار التعليم والفنون والسياحة والصناعة والصحافة وكذلك تيسير إجراءات الاستثمار وتنفيذ مشروع الحكومة الإلكترونية مما تمخض عنه ذلك التقدم الاقتصادي.

كما شجع عدداً من القنوات الفضائية التلفزيونية على نقل مقراتها الى دبي وهذا نتاج التخطيط السليم للخروج من حلقه الاعتماد على النفط الذي هو سلعة ناضبة.

ولقد قمت والشيخ محمد الجميح بزيارة لمدينة دبي الاعلامية وتجولنا في ربوعها وزيارة عدد منها، ولعل مما يلفت النظر مستوى تنفيذ الطرق وسعتها والالتزام الدقيق بأنظمة السير فيها اضافة الى المساحات الخضراء والتشجير المحيط بالطرق السريعة بين المدن، فأصبحت هذه المناطق التى كانت بالأمس صحراء قاحلة ورمالا زاحفة مساحات خضراء جميلة.

وبعد فلم تسعفني هذه الزيارة الخاطفة بأكثر من هذا الذي رأيت ولا شك أن بها الكثير مما يجب معرفته وأحسب أن ذلك ميسورا في زيارات لاحقة بإذن الله تعالى وما ذكرته في هذه الرحلة هو مجرد مشاهد عابرة وطرف من ذكريات.. ومنذ حللت في هذه الربوع لم أشعر بالغربة، بل رأيت نفسي كأني في بلدي وبين إخواني، ولا غرو فنحن أمة واحدة ولغة واحدة ودين واحد وحضارة متماثلة وعادات وتقاليد متشابهة، وهذا ذخر يجب أن يصان ويحافظ عليه، وبعد جولة في تلك الربوع غادرناها ونفوسنا مفعمة بتلك المشاهد ومليئة بالذكريات ومردداً قول الشاعر :

نـزلـنـا هـاهـنـا ثـم ارتحـلـنـا
فـــدنيـــانا نزول وارتحـــال



منظر عام لمدينة قرطبة

الفلسفة العمرانية لعبد الرحمن الناصر وأثرها على مستقبل الأندلس

□ على الرغم من بعض الانحرافات في عهود الفتح والولاة والإمارة (٩٣ - ٣١٦هـ) فقد استطاعت الروح الإسلامية أن تعبر نحو ثلاثة قرون، وهي تعمق وجودها العقدي والحضاري حتى أصبحت عقيدة الإسلام هي الغالبة، وأصبحت قرطبة « جوهرة العالم ».

لقد وصلت الأندلس إلى هذه القمة قريباً من تلك الأيام التي أعلن فيها عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) تحويل الأندلس من إمارة إلى خلافة سنة (٣١٦هـ).

لقد شعر بأن الأندلس قد أصبحت دولة عظمى لا تليق بها كلمة إمارة، وقد كان من هيبتها في عهده أنها أصبحت تلعب بملوك الشمال الأسباني، وتتدخل في تعيين حكام نبرة وليون، كما أن هيبتها أيأست الفاطميين من الامتداد شمالا فاتجهوا إلى مصر تاركين بلاد المغرب لأبنائها حكام بني زيري الصنهاجيين.

في هذه اللحظات الأندلسية الرائعة التي كانت الأندلس فيها دولة واحدة قوية بل خلافة قوية، وبينما كان الحكم بن عبد الرحمن الناصر يجاهد في سبيل تكوين أعظم مكتبة عرفها العالم الغربي - حسب علمنا - تتكون من أربعمائة ألف مجلد[١].

كان والده عبد الرحمن الناصر يتجه بفكره إلى مجال آخر يظنه طريق المجد والعظمة، ويظنه الترجمة الضرورية والصحيحة والمعبرة عن الواقع الذي تعيشه الأندلس في عهده.

وهكذا فبدلا من أن توجه النسبة الكبرى من ميزانية الدولة إلى الجهاد العقدي والعقلي وصناعة الحضارة والإنسان، وتمتد مساحات العقيدة والعلم والإبداع خارج قرطبة إلي بلاد المغرب والمشرق - قسّم الناصر جباية الدولة على ثلاثة أثلاث: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدّخر[٢].

د. عبد الحليم عويس
- مصر -

كانت مصادر الثروة المادية في الأندلس كثيرة ومتنوعة، وكان من أهم المصادر المفضية إلى التكاثر المادى ـ سعة الأرض الأندلسية التى استولى عليها الفاتحون المسلمون الذين لم يزيدوا عن عشرات من الآلاف ساحوا ملوكا متوجين بالدين والحبّ في شبه جزيرة تبلغ مساحتها أكثر من ١٩٦٫٠٠٠ ميل مربع.

وعن هؤلاء توارث الأخلاف من البربر والعرب، فنجحوا ـ أو نجح أكثرهم ـ في زيادة ثرواتهم، بينما لم ينجح إلا الأقلون في تنمية إيمانهم، بل مشت الثروة المادية في أكثر الأحايين في طريق مناقض للطريق الذى مشت فيه كتائب الإيمان والدعوة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن المعارك التى كان المسلمون يخوضونها في الأندلس لم تكن مع نصارى الشمال فى ليون وقشتالة وحسب، بل كانت تتجاوزهما إلى مناطق في أعمال بلاد الفال (فرنسا) وإيطاليا وبريطانيا وغيرها، وإنّ في كثرة الغنائم التى كانوا يجمعونها ما يدل على أن الأمر كان أعظم مما تستطيعه بلاد الجلالقة الجبلية القاحلة[٣].

ومن مجموع هذه الغنائم، ومن الثروات التى كانت تفيض بها بلاد الأندلس الواسعة الخضراء ذات الثمار الكثيرة والفواكه المتعددة من عنب وتين وتفاح وسفرجل وحمضيات وزيتون، بالإضافة إلى الثروة المعدنية التى لم تخل منها بلاد الأندلس[٤].

ومن مجموع هذه المصادر تكونت ثروات مادية هائلة تركزت في يد الملاك والحكام والمحيطين بهم.

وقد قرر الناصر بناء مدينة الزهراء: فابتدىء بنيانها في أيام الناصر من أول سنة ٣٢٥هـ وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة «وجلب إليها الرخام من قرطاجنة افريقية ومن تونس»[٥].

لقد نسب قصر الزهراء (وهو قصر يمثل القلب لحيٍّ مَلَكيٍّ كامل) إلى الزهراء محظية الناصر التى كانت تتمتع بمكانة خاصة لديه.. ولم يكن الأمر محصوراً في الزهراء فحسب، بل كانت القصور المفخمة ممتدة على شاطىء الوادى الكبير مسافة عشرة أميال، وكانت أسواق قرطبة من أغنى أسواق الدنيا، فلم يسمع سامع بشىء من التوابل والعطور أو المنسوجات الفاخرة أو الكتب الخطية النادرة أو البسط والزرابى البديعة أو آلات اللهو في أي رجا من أرجاء الدنيا إلا وقد جلبت إلى تلك السوق، وحال أمريكا اليوم بالنسبة إلى الدنيا القديمة هي حال الأندلس في ذلك الزمان بالنسبة إلى غيرها من البلاد، ولكن الأندلس كانت أعظم من وجهة المدنية[٦].. وكانت الحدائق العامة المعدة للتنزه نزهة للأبصار[٧].

أمراء الأندلس اهتموا بالمبالغة في زخرفة المساجد حتى أخرجوه عن وقار المسجد

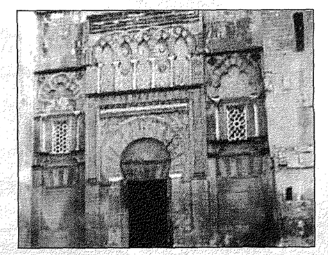
وإمعانا في السقوط في حفرة التكاثر المادى لم يكتف الأندلسيون بما تضمه أرضهم، بل راحوا يستوردون وسائل البناء الفخم، فكانوا يستوردون المرمر من اليونان وإيطاليا وافريقية. وكانت سفنهم تجلب المقادير العظيمة من خشب السدر والعاج والأبنوس وأحسن التوابل والطيب الذى يمدهم به الشرق، وكانوا يجلبون من هناك الذهب والفضة

والجواهر والمحار والحجر الشفاف وحجر الأزورد وجلود السلاحف وكل مادة معروفة من مواد الزينة (...) وقد عرفوا كيف يقفون أموالهم على فنون المعيشة إلى حد لم يصل إليه إلا قليل من الأمم، وقصور الأشراف وأرباب المناصب والأدباء كانت تقارب في الفخامة والسعة قصور الخليفة، وحتى منازل أرباب الحوانيت محتها أعاصير النكبة التى أنزلها الأسبانيون بالأندلس[٨].

وعلاوة على ذلك فمئات الحمامات المحشاة أطرافها بالمرمر والفسيفساء والحدائق العامة البديعة كانت ممتدة على شاطيء الوادى الكبير وكانت نعمة ورفاهية للناس جميعا من الخليفة إلى أدنى الطبقات.

وكان أمراً طبيعيا أن يظهر الناصر فلسفته الفكرية التى تقف وراء هذه الأعمال العمرانية والمادية التى تمثل تحولا عن التوجه الإسلامي الذى يقوم على بناء العقيدة والإنسان ـ بالدرجة الأولى ـ فقال شعرا يترجم آراءه :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها
من بعدهم فبألسن البنيان
أوَ ما ترى الهرمين قد بقيا وكم
ملك مَحَتْهُ حوادث الأزمان


جامع قرطبة

إن البناء إذا تعارض شأنه
أضحى يدل على عظيم الشأن

لقد نسى الناصر أن هذه الفلسفة المادية لا تمثل الرؤية الإسلامية، بل هي ـ كما ورد في شعره ـ عرضا ـ فلسفة الحضارات المادية والفرعونية التى لا تحمل رسالة إلهية توحيدية عامة تمثل خطاباً لكل البشر ومشروعا لإنقاذهم وتحقيق إنسانيتهم وكرامتهم وعبوديتهم لله وحده.

وكان من جراء هذه الفلسفة المادية أن الغزوات الكثيرة التى قام بها الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر لم تسفر عن انتشار للإسلام أو فتح أقاليم جديدة ذات شأن، بل أسفرت عن ازدهار مادى وإقامة مؤسسات عمرانية وشهرة سياسية ومجد عسكرى وحسْب!!

وقد قامت معارضة كبيرة ضد الناصر تحمل وجهة النظر الإسلامية في هذا التوجه المادى الذى يعلى من أسهم حضارة الحجارة وقهر الإنسان في سبيل مجد شخصي زائل، وينفق وقت الأمة وأموالها في هذه الأشكال والرسوم، وقد تزعم المعارضة القاضى المجاهد المنذر بن سعيد البلوطي.

وكان من أقوال المنذر البلوطى في رد فلسفة الخليفة الناصر هذا الشعر الذى يقول فيه:

ياباني الزهراء مستغرقا
أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقا
لو لم تكن زهرتها تذبل

وفي يوم من أيام الجمع انهمك الناصر في استكمال زخارف الزهراء وأثاثاتها حتى فاتهُ حضور الجمعة فحفظها له البلوطي، فلما احتفل بافتتاحها خطب البلوطى فى مسجدها فكان مما أورده في

مجال مقاومة هذا الاتجاه قول الله تعالى: {أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * واذا بطشتُم بطشتُم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون * أمدَّكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون * إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم}(سورة الشعراء الآيات/ ١٢٨ ـ ١٣٥)[٩].

ويعلق على هذا الخلاف بين الخليفة الناصر والقاضي البلوطي المؤرخ المعاصر الدكتور أحمد مختار العبادى فيقول:[١٠]

«ثم دارت الأيام دورتها وتحقق ما ذهب اليه المنذر بن سعيد، إذ لم تعمر مدينة الزهراء أكثر من ستين عاما، ثم لعبت بها أيدى الخراب في أيام الفتن التى قامت في أواخر أيام الدولة الأموية، وصارت المدينة تنمحي شيئا فشيئا، حتى زالت ولم يعرف أثرها الا بعد الحفريات الحديثة»[١١].

وهكذا ـ مع بداية الربع الثانى من القرن الرابع في الأندلس ـ تألقَّ توجه مادى في الأندلس أحدث شرخا قوياً في الحضارة الإسلامية، وظل مستمرا في عصور الأندلس التالية، فكان عاملا ـ مع عوامل أخرى ـ على فقدان روحها وخصائصها، وبالتالى تمكين الأعداء من الإجهاز عليها.

وقد اعتنى الأندلسيون بصنع التماثيل والصور التى تحكي صور الأشخاص والحيوانات وكان بحمام الشطارة بإشبيلية صورة بديعة الشكل وصفها أحد أهل الأندلس بقوله:

ودمية مرمر تزهى بجيد
تناهى في التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف خليلا
ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن
تيِّمتْنَا بألحاظ مراض

ومن الطبيعى أن يكون فن العمران في الأندلس قد تمثل ما حمله العرب معهم من مزاج الفن البيزنطي والفارسى ولكن الأثر القوطي واضح الظهور فيه.

نشر الدعوة الاسلامية بين اهل اسبانيا، كانت احق من التباري في زخرفة المساجد

وكانت الكتابة العربية دعامة من دعائم الزخرفة والتزين لخطّها الكوفى الجميل حتى لكان يحسبه المقلدون من الأسبان والافرنج رسما.

كان عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢هـ) قد بدأ بناء المسجد الجامع في قرطبة سنة ١٦٩هـ، وأنفق في ذلك ثمانين ألفا من لجين وعسجد[١٢]، ثم زاد هشام (١٧٢ ـ ١٨٠هـ) صومعة وسقائف لصلاة النساء والميضأة[١٣]، ثم زاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ) زيادة كبيرة كان الفراغ منها سنة ٢٣٤هـ [١٤]، ثم زاد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ) طرزا في الجامع وتنميقا لنقوشه وأقام مقصورة وجعل لها ثلاثة أبواب[١٥]، ثم زاد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣ ـ ٢٧٥هـ) البيت المعروف ببيت المال في الجامع وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف، ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ) بساطا معقودا على حنايا أوصل به ما بين القصر، والجامع، ثم أمر بستارة

من آخر هذا البساط إلى أن أوصلها بالمحراب، وفتح إلى المقصورة بابا كان يخرج منه إلى الصلاة[١٦].

- فلما جاء عبد الرحمن أنفق في صومعة المسجد وفي تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات الأحد عشر بلاطا سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية[١٧].

إننا ننظر نظرة قلق وريب إلى ظاهرة تتابع الخلفاء المصحوب بلون من التنافس - في توسعة مسجد ما - .

ومسجد قرطبة من أبرز النماذج الأندلسية التى ننظر إليها هذه النظرة المريبة!! إن فقهنا بالمقاصد الإسلامية العليا وبطبيعة التوازن الإسلامى والتجريد والارتفاع عن المادة تجعلنا نرصد هذه الظاهرة المادية التى تسقط فلسفتها حتى على بيوت الله، فتسعى إلى تحويلها إلى أشباه متاحف أو كنائس، وتبتعد بها عن البساطة والتجريد والطبيعة الجميلة التى تقاوم أي تكثيف للجوانب المظهرية والحسيِّة!!

وبتكاليف مسجد واحد قد نستطيع بناء عشرين أو خمسين مسجدا ومدرسة لمسلمين فقراء في بلاد الإسلام قد لا يجدون ما يبنون به مسجدا بسيطا أو مدرسة بسيطة.

ولنتأمل هذا الوصف الذى يتحدث به (جوزيف مالك كيب) عن مسجد قرطبة، ولسوف نشعر أنها خصائص أقرب إلى الفلسفة الكنسية المركبة منها إلى الطبيعة المسجدية البسيطة .

يقول كيب : لم يبق من آثار قرطبة في القرون الوسطى إلا أثر واحد وهو جامعها الذى لا يزال إلى اليوم جميع أطفال قرطبة يسمونه مسجدا ولولاه ما تجشم أحد عناء السفر لمشاهدة قرطبة. ولو كانت

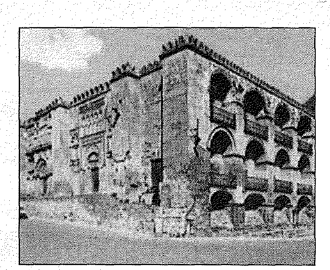
أموال المسلمين في الأندلس أضيعت فيما لا طائل وراءه ولا منفعة

على خمسة أميال منه - ولكن الناس من جميع أنحاء الدنيا يسافرون إليها ليشاهدوه. وهو أعظم معبد في الدنيا بعد كنيسة (سنت بيترس) وهو آية لا نظير لها من الهندسة والبناء وظاهر هذا المسجد لا يستولى على اللب. ولم يكن المغربيون الذين كانوا يفضلون الإقامة داخل البيوت أكثر من خارجها يهتمون نسبيا كثيرا بالظاهر. وأما في الداخل فهناك العجائب إذا دخلت الجامع من أى باب من أبوابه التسعة عشر يخيل إليك أنك تائه في غابة من أشجار المرمر.

ففيه ثمانمائة وستون سارية رقيقة من المرمر والرخام واليشب وفيه غير ذلك ألف واثنتا عشرة سارية، وفيه تسعة عشر رواقا ينتهى كل منها بباب من الأبواب التسعة عشر، وله سقف خشبي منخفض نسبيا قد زخرف أحسن زخرف بالأرجوان والذهب[١٨].

وفي الأعياد الكبيرة توقد مائتان وثمانون ثريا من الفضة والنحاس يحترق فيها الزيت المعطر وتتلألأ فيها آلاف كثيرة من المصابيح فتلقى أنوارها على ذلك المشهد: وأكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية وثلاثين قدما (فوت) يحمل ألفا وأربعمائة وأربعة وخمسين مصباحا. ولها مرآة تعكس النور فيزيد شعاعه تسعة أضعاف. وفيها ٦٠٠٠ طبق من الفضة مسمرة بالذهب ومرصعة باللؤلؤ وكان الجامع قد شيد مع مضافاته في القرن الثامن والتاسع والعاشر.

المحراب الذى هو أقدس محل في مسجد المغربيين كان فيه حنيتان وكان أعظم زخرفا من سائر المسجد، وآخر المحراب يشبه صدفة من رخام



منظر خارجي لجامع قرطبة

وله مدخل يتلألأ كالذهب الخالص أو الديباج بفسيفسائه الجميلة.

وأحيل القارىء على كتب زخرفة البناء أو كتب الاستدلال ليرى عجائب هذا الجامع العظيم ، وكان بناؤوه من النصارى المنتمين إلى الكنيسة اليونانية، وكانت بينهم وبين المغربيين مودة فجلبوهم لبنائه، وهو أثر لمدنية زاهية لا يضاهيها اليوم شيء في الدنيا، وكان عبد الرحمن الأول مؤسس هذه الدولة جعل مدينة قرطبة على مثال مدينة دمشق التى قضى فيها أوائل عمره، وبلغت نفقاته على ما حدثنا به مؤرخو العرب ما قيمته الآن ٣٠٠ مليون دولار[١٩].

إن هذا المنهج لا يمت إلى المساجد المؤسسة على التقوى في شيء، بل هى مساجد تؤسس لمجد دنيوى؛ بحيث أصبح الأمر تنافساً على تخليد الذكر عن طريق التوسع في بناء المساجد بهذا الشكل التبذيري.

ولئن كان الأمر مقبولا في حدود طاقة الأمة وسلّم أولوياتها وفي حدود نسبة المنفق على المساجد أو المبانى إلى ميزانية الإنفاق العام ـ فقد بدأت النسبة تختل مع بداية بناء الزهراء[٢٠]، وتوجه الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر إلى التركيز على هذا المنحى ـ كما ذكرنا ـ دون تحديد دقيق لعواقبه الوخيمة وآثاره البعيدة ■

الهوامش :

(١) وذلك في مقابل ١٩٢ كتاباً كانت هى أكبر عدد من الكتب ملكته كاتدرائية أوربية حتى ذلك التاريخ!!
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٢/ ٢٣٠ نشر دار الثقافة تحقيق كولان وبروفنسال.
(٣) محمد سعيد الدّغلى: الحياة الاجتماعية في الأندلس ص ٥٦.
(٣) المقرى: نفح الطيب ٢/ ٢٠٣ نقلا عن: الدغلى: الحياة الاجتماعية ٥٦.
(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ٢/ ٢٣٠ نشر دار الثقافة تحقيق كولان وبروفنسال.
(٦) جوزيف كيب (مدنية المسلمين في اسبانيا/ الطبعة الثانية ترجمة ـ محمد تقي الدين الهلالي).
(٧) المرجع السابق ص ٧٧.
(٨) المرجع السابق .
(٩) محي الدين الخطيب: الزهراء ص ٣٨: المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٤٣هـ.
(١٠) في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٨٣، ٢٢٢.
(١١) في تاريخ المغرب والأندلس ٢٢٢.
(١٢) إشارة إلى بيتين من الشعر قالهما البلوى الشاعر بهذه المناسبة (انظر ابن عذارى: البيان المغرب ٢/ ١٧٠.
(١٣) ابن عذارى : ٢/ ٢٣٠.
(١٤) السابق ٢/ ٢٣٠.
(١٥) المرجع السابق نفسه.
(١٦) المرجع السابق نفسه.
(١٧) ابن عذارى / البيان (٢/ ٢٣١).
(١٨) جوزيف كيب / مدنية المسلمين في أسبانيا ص ٦٥ وما بعدها .
(١٩) جوزيف كيب / المرجع السابق ٦٨، ٦٩.
(٢٠) يقول ابن عذاري: (وجملة القول ما أنفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مديا من الدراهم القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف!! تُرى لو أنفقها على الدعوة إلى الإسلام وبناء مؤسسات صناعية وعلمية ماذا سيكون عليه حال الأندلس بعده!! وجدير بالذكر أن الناصر لم يبن الزهراء وحدها بل أعاد بناء مدينة سالم شمال شرق مدريد ١٣٥كم وبنى المرسية قاعدة للأسطول وللتجارة.

شاعر
من المهجر

رشيد أيـــوب
شاعر الشكوى بحلاوة الأمل

□ أغاريد الشاعر المهجري (رشيد أيوب) وترانيمه المجنحة بالشاعرية المرهفة تحكى كفاحه المر وجهاده العنيف وعراكه الشديد في مهاجره.. في أوربا .. وأمريكا من أجل كسب الرزق الوفير والحصول على الربح الحلال كما أنها تحكى الشوق الى مهاد الطفولة وملاعب الصبا وأهل الحي وسكان القرية رغم احساسه باختلال الأحوال الاقتصادية في ربوع وطنه وأنحاء بلاده نتيجة وجود حكام وولاة يحكمون البلاد ويصدرون قرارات في السلطة العثمانية بعقول ضيقه وشهوات واسعة لا يقيدهم قانون ولا يردعهم عدل فعمت الفوضى وتضعضع الأمن وثقلت المعيشة لذا قال (رشيد أيوب) وهو في وطنه الجديد حيث أفلت من عقال التقاليد وانفك من قيود الفقر والمظالم:

ألا لا أرانا الله عــــودا لدولة
نكون لهـا أسـرى وأموالنا نهبـا
ألسنا الألى عـافـوا الحيـاة بظلها
وجابوا بلاد الله واستوطنوا الغربا

وهجرة شاعرنا بدأت من أوائل القرن العشرين - حيث هاجر الى باريس ومكث فيها مدة ثلاث سنوات مارس خلالها اعمالا في المطاعم والفنادق والمقاهى ثم رحل منها الى (مانشستير) البريطانية يزاول فيها أعمال الاستيراد والتصدير بنشاط وهمة ولكنه بعد مضى عدد من السنوات في مزاولة هذه المهنة مَلَّ منها ومن المدينة البريطانية لكثرة سكانها وما ينتج من زحام وضيق في الشوارع والطرقات والأسواق فقرر الرجوع الى وطنه لبنان فسرعان ما نفذ قراره اذ استقر في قريته (بسكنتا) زمناً - حتى عقد العزم على الهجرة مرة أخرى. وقضاء بقية أيام عمره في خارج وطنه في العالم الجديد في أمريكا وبالذات في مدينة نيويورك فزرع شوارعها وتجول في أسواقها عارضاً الألواح الصدفية والنحاسية والحقائب الجلدية والأقلام المصنوعة من خشب الزيتون. وقد وصف الشاعر المهجرى الياس فرحات حياة البائع المتجول في مهاجره في بيتين فقال:

حيـاة مشـقـات ولكن لبـعـدها
عن الذل تصـفـو لأبيّ وتعـذب
لئن كان صعبا حملك الهم والأذى
فحملك مَنَّ الناس لا شك أصعب

ورشيد أيوب في مهجره عاش مكافحاً غير مبال لما يعتريه من الصعاب وما يعترض سبيله من العقبات حتى توفرت لديه الأموال والثروات وقصيدته التى ظهرت في ديوانه (الأيوبيات) بعنوان «زمان الخريف» تصور رؤاه في فصول السنه في العالم الجديد.. ان الشاعر يصور فلسفته في هذه الحياة بنغمات الشكوى بحلاوة الأمل حتى تهون عليه وعورة الدرب الطويل:

أحب الشتاء لأن له
ضباب كهمي ثقيل كثيف
وأهوى الربيع فأنفاسه
دواء لجسمي العليل الضعيف
وأصبوا إلى الصيف متأنساً
بوحشة ليلي الطويل المخيف
وتشتاق نفسي الخريف وقد
تجنىً عليَّ زمان الخريف
فيا دهر هل فيك مثلي فتى
يلاقي الرزايا بوجه لطيف

وكلما حل فصل الشتاء في المدن الأوربية والامريكية سقطت الثلوج من السماء.. الى الأرض وبالتالى انتشرت قطع الثلج في الدروب والطرقات، وهذا الأمر يجعله يتذكر قريته (بسكنتا) الواقعة على سطح ضنين في لبنان الأشم فقال يخاطب الثلج:

يا ثلج قد هيَّجت أشجاني
ذكَّرتني أهلي بلبناني
بالله قل عني لجيراني
مازال يرعى حرمة العهد
يا ثلج قد ذكرتني أمي
أيام تقضي الليل في همي
مشغوفة وتحار في ضمي
تحنو عليَّ مخافة البرد
يا ثلج قد ذكرتني الموقد
أيام كنا حوله ننشد

والثلج الذى يتساقط من السماء في نظر الشاعر .. حب نقي طاهر:

لو لم تذب من زفرة القلب
أو دمعي المنهال كالسحب
لبنيت منك هياكل الحب
وحفرت في أركانها لحدي

ويعتبر شاعرنا من أعضاء الرابطة القلمية بنيويورك لكونه من الرجال السابقين الى الهجرة في العالم الجديد فقد أصدر ثلاثة دواوين هي:

١ ـ (الأيوبيات) من أقدم ما نشر من شعر المهجر سنة ١٩١٦م.

٢ ـ (اغاني الدروش) ظهر في عهد الرابطة سنة ١٩٢٨م اشترك جبران خليل جبران في وضع رسومه، وأطر صفحاته وكتب مقدمته ميخائيل نعيمه.

٣ ـ (هي الدنيا) طبع في سنة ١٩٣٩م وقد كتب مقدمته الأديب المهجرى (شكر الله الجر).

وتجد فلسفة شاعرنا واضحة في هذا الديوان الأخير ومنها قوله:

«ان الحياة تارة فرح وأخرى حزن وطورا يأس وآونة رجاء ولكن الآلام وحدها تحتفظ بها النفس والسرور يضمحل ويتلاشى لأن النفس التى لا تتألم لا جمال فيها ولا تقترب من الله».

ومات هذا الشاعر في مهجره. في بروكلين

عثمان محمد مليباري
- مكة المكرمة -

أقلام أحبت الكلمة، بل عشقتها.. تعاملت معها: فهما وذوقا وإبداعاً.. بين أحضان الكلمة نسمع نبضاتهم، ونرى ومضاتهم.. ومضات: أقلام طالما احتضنتها صفحات المنهل، وهي تضع بين عينيها.. (المنهل)

(عمل الانسان سنة مؤثرة في الكون)

إن الله تبارك وتعالى لما خلق هذا الكون جعله خاضعاً لمجموعة من السنن والقوانين المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً، وإن المجتمع البشري - في سعادته وشقائه، وشدته ورخائه خاضع لهذه السنن والقوانين مستسلم لها لا مفر له منها.

ومن هذه السنن ما هو مادي كتبخر الماء إذا أشرقت عليه الشمس، وتلقيح الأشجار عن طريق الرياح، وتعاقب الليل والنهار إثر حركة الأرض.. ومنها ما هو معنوي كتأثير عمل الإنسان في الكون والحياة.

فالواقع انه لا يمكن لأحد أن ينكر وجود التأثير الكبير لعمل الإنسان في الحياة سلباً وإيجاباً بعد أن أكدت ذلك الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأحداث التاريخية، فإن في القرآن الكريم والسنة المطهرة آيات وأحاديث كثيرة جداً تؤكد أن الله تبارك وتعالى جعل عمل الانسان من السنن الإلهية السائدة المؤثرة في هذا الكون بالسلب والإيجاب، وإن المجتمع البشري خاضع لهذه السنن خضوعاً تكوينياً، محكوم بنتائجها حكماً قطعياً لا خيار له فيه ولا قرار، وإن كان له الخيار في سلك أي الطريقين شاء: طريق الخير ليجنى الخير، أو طريق الشر ليجني الشر:

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج
طريقان شتى: مستقيم وأعوج

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك ما نقله القرآن العزيز على لسان نوح - عليه السلام - حيث قال لقومه: {**استغفروا ربكم إنه كان غفّارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**} (سورة نوح الآيات/ ١٠ - ١٢) فهذه الآيات الكريمة تعتبر الاستغفار من السنن الإلهية المؤثرة في هذا الكون، وتعده علة كاملة أو هو بمثابة العلة لهطول الأمطار، وجريان الأنهار، وعمران الأرض، وكثرة الأموال، وإنجاب البنين والأولاد، كما أن عدم الاستغفار يؤدي إلى نتائج عكسية وللمجتمع البشري الحرية الكاملة في اختيار أي السُّنَّتَيْن شاء ليحصد ثمار اختياره.

ومن الآيات قوله تعالى: {**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**} (سورة الأعراف الآية/ ٩٦) وأنت ترى أن هذه الآية الشريفة تبين كلا طرفي السنة الإلهية سلباً وإيجابا، كما تبين النتائج المترتبة عليهما. فسنة الإيمان والتقوى عاقبتها أن يفتح الله علينا بركات من السماء والأرض، وسنة الكفر والتكذيب بآيات الله عاقبتها العذاب والهلاك، والخيار لنا في الأخذ بأي سُنَّة نشاء.

والآيات في هذا المعنى كثيرة منها

قوله تعالى: **{وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}** (سورة ابراهيم الآية/ ٧)، وقوله سبحانه: **{ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب}** (سورة الطلاق الآية/ ٢ ـ ٣)، وقوله عز سلطانه: **{ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون}** (سورة النحل الآية/ ١١٢)، والى ما هنالك من آيات كريمات تؤكد **{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}** (سورة الرعد الآية/ ١١).

وأما ما ورد في الحديث في هذا المعنى فهو أيضاً كثير، ومنه ما رواه السيوطي في الدر المنثور عن علي بن أبي طالب أنه سأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن قوله تعالى: **{يمحو الله ما يشاء}** (سورة الرعد الآية/ ٣٩) فقال {صلى الله عليه وسلم} «لأقرنَّ عينيك بتفسيرها، ولأُقرنَّ عين أمتي بعدي بتفسيرها: *الصدقة على وجهها، وبر الوالدين واصطناع المعروف* يحول الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء»[١].

وورد في الخبر: (ان الله تعالى أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ يا موسى وقر والديك، فإن من وقر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولداً يوقره، ومن عق والديه قصرت في عمره، ووهبت له ولداً يعقه)[٢].

وعن حذيفة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (والذي نفسي بيده: لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[٣]، وقال {صلى الله عليه وسلم} (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب منه)[٤].

وهكذا نرى أن القرآن الكريم، والسنة المطهرة يؤكدان أن للعمل دوراً كبيراً، وأثراً فاعلاً في نظام الكون وأحداث الحياة، فإذا كان العمل صالحاً كانت نتائجه السعادة والرفاهية للبشرية، وإن كان سيئاً كانت ثماره الشقاء والتعاسة والدمار الشامل الذي لا يبقى ولا يذر.

فالمجتمع الذي يعيش الطهارة والنقاء والصفاء، ويلتزم بالقيم والمبادئ والفضائل، ويعمق الروابط بينه وبين الله تعالى، ويستقيم في كل أمور حياته بالمحافظة على الأعمال الصالحة والابتعاد عن الأعمال السيئة، يظفر بالعيش الرغيد، والحياة الهانئة، وينعم بالأمن والهدوء والاستقرار، أما المجتمع الذى يلوث نفسه بالذنب والمعصية، وينحرف عن الله وصراطه المستقيم، ويعكف على ممارسة الجرائم والرذائل، يجني ثمار عمله السيء فيبتلي بالمصائب والمحن وشتى أنواع الشرور، إذ أن العلاقة وطيدة جداً بين الذنب والبلاء، فإن أكثر المآسي والفجائع التى حلت بالمجتمعات البشرية كالحرائق والفيضانات والرياح والأعاصير والزلازل والبراكين والفقر والمجاعات والأمراض.. كانت وليدة تلوث المجتمع بالذنب، وعكوفه على الجريمة، ومن الظلم أن نرمي باللائمة في ذلك على الله وإن كان جل وعلا هو الذي أجراها علينا، إذ انه سبحانه لم يجرها علينا إلا بسبب ظلمنا وانحرافنا، ولو اننا تحلينا بالصلاح والتقوى لما حل بنا ما حل من البلايا والمحن **{وما كان ربُّك ليُهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون}** (سورة هود الآية/ ١١٧).

الهوامش :

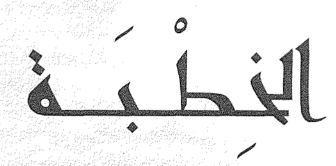
(١) الدر المنثور .

(٢) الكبائر للذهبي ص ٤٣.

(٣، ٤) الأخلاق الاسلامية لعبد الرحمن الميداني ج ٢، ص ٦٥٤.

علي محمد عساكر
- الاحساء-

جاء يخطبها فسألها أبوها عن رأيها





سألتُها فأطرقتْ
كطفلة صغيرة
تورّدت خدودُها
تفاحة نضيرة
ترضينه زوجاً لك
يا ابنتي الأثيرة
حثثتُها فغمغمت
أبي لك المشورة
ما أحدٌ يحبُّ لي
كمثلك الحبورا

* * *

بُنيّتي بحاله
كوني على بصيرة
وكَوِّني قناعة
كالصبح مستديرة
قالوا وقد سألتُ عن
أخباره شهورا

تديُّن وسيرةٌ
ما مثلُها من سيرة

صفاؤها كالمسك را
ح ينشُرُ العبيرا

مُثقَّف وعلمُه
بُحَيْرة غزيرة

كتابُه سميرُه
كم يعشقُ السميرا!

لكنه، ليراتُه
معدودة يسيرة

ما عنده سيارةٌ
تُسابقُ الأثيرا

ولا اقتنى «فيلا» وفر
شاً فاخراً وثيرا

في «البنك» مَا لَهُ رصيـ
ـدٌ ، يبعثُ الغرورا

مستورةٌ بنيتي
أحوالُه مستورة

فقرِّري فلم تعو
دي يا ابنتي غَريرَة

* * *

قالت: أبي يغدو الفتى
بدينه كبيرا

وعلمُه يرفعُه
يجاوز البدورا

يختالُ بين قومه
ويفضُلُ العشيرا

لا حسبٌ يضيرُه
أو أسرةٌ فقيرة

أليس هذا يا أبي
ما قلته كثيرا؟

نَمَّقْتَهُ قصائداً
ملأتها شعورا ؟

علَّمتنا أنّ الغنى
لا يرفعُ الحقيرا

ولا يصيرُ جاهلٌ
بماله خطيرا

* * *

بلى بُنيَّتي ، بلى
ردَّدْتُه عُصُورا

عقيدة حملتُها
سطَّرتُها سطورا

ولم أزلْ كما أنا
والله لن أحورا

يغدو الفتى بدينه
مبَّجلا كبيرا

بعلمه طار الفتى
أو كاد أن يطيرا

والنجمُ صاحبٌ له
غدا به جديرا

د. وليد قصّاب
- الرياض -

لم أشكُ ظُلْمَ العشقِ !

أوصـــــــدت درب الـهـمِّ والأرق
وصـنـعـتُ وجـــــه الحبِّ مـن فـلـق

وبـنـيـتُ لـلأحـــــلام مملـكـة
طـهَّـــرتُ دنيـــاهـا مـن النَّزق !

فـسـمـا الـصـفـاء مع الوفـاء كـمـا
الإخـلاص مــجـبـولا إلى أفــقي !

وسـعـى إليَّ السَّـعـد مُـبـتـهـجـاً
لَمَّـا رأى الإيـنـاس مُـنـطـلـقـي !

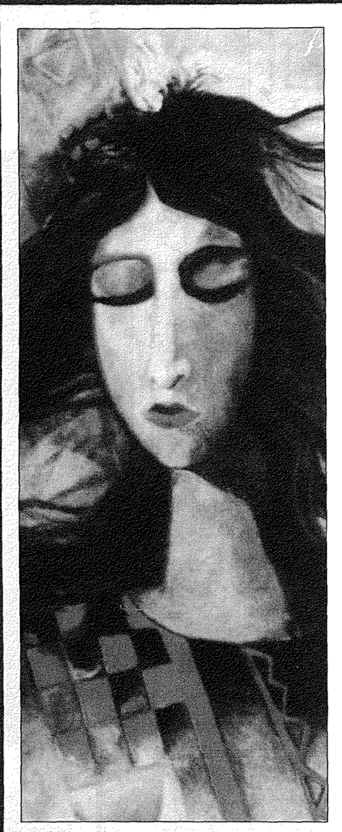
وأتيتُ يا حــــسناء يحــــملني
شـــوق جناحـــاه من القلق !

لم يرض غـيـر الصـدق منتجـعـاً
ويـغـــيـــر لحظ الوصل لم يثق

فـجـمـيع من أحـببتُ غـيـر رؤى
غـــابت فـــمـــا إلاك في حـــدقي

أنـت التـى سـطـرتـهـــا بـدمـي
في خـــافـــقي والغـــيـــر في ورقي !

ولأنت مـن بـاهـى بروعـــتــــهـــا
شـــعـري وأقـصـى طيـفـهـا أرقي



لم أشكُ ظلم العشق من سهر

فشكا بما لاقاه من ألقى !

ماذا إذا عاد السفين على

ما يشتهي العذّال من خُلقي ؟

ماذا إذا صار الهوى سفهاً

ومضى بنا في أقبح الطُّرق ؟

سألوم أشواقي التى جمحت

فقداً وأتلو سورة الفلق

وأقول ما مات الغرام ولا

أهل الغرام بحبٍّ ذي نزق

بل مات أهل الحقد من حسد

مهما صفا لي العمر لم أثق

لن ينقص العُذَّل من قيمي

كلا ولا الحسَّاد من عبقي

ستظلُّ أركاني مُعزَّزة

وجميع خطواتي بلا ملق

منصور دماس مذكور

- السعودية -

التمر .. غذاء ودواء

«بيت ليس فيه تمر أهله جوعى»

التمر ، أو الرطب مصدرهما النخلة، تلك الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفروعها في السماء، الشجرة المباركة التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ولا تضن ولا تبخل، وقد ذكرتها الكتب السماوية والسنة النبوية المطهرة، وسجلتها صفحات التاريخ ومدحها الشعراء..

وتنفرد النخلة من دون الأشجار في عالم الزراعة بأنها الوحيدة التى يستفاد من كل جزء فيها، فهى كلها خير مثلها في ذلك مثل المؤمن في كثرة طاعاته وكثرة منافعه لنفسه وللناس، فهي من حيث النفع لا يَخْلُ شيء منها إلا وله منفعته الخاصة وقد قال الكاتب اليونانى القديم «سترابو» إن التمر طعام الانسان ونواه طعام للحيوان بل إن الصناعة وجدت في النخلة وثمارها مجال انتاج واسع، فسعفها وليفها وجذوعها كانت تحرك عشرات الأيدى العاملة في صناعة الأقفاص والسرر والمقاعد والأبواب والحبال واستخراج الدبس والزيت وغير ذلك وهي مصدر أمن غذائى هام.

النخيل في الكتاب والسنة :

وقد ورد ذكر النخيل في القرآن الكريم في عدة مواطن تبلغ العشرين مرة. وذلك لقيمته الحيوية وكثرة فوائده الغذائية والاسرار المكنونة فيه من الناحية الصحية: الوقائية والعلاجية. منها على سبيل المثال لا الحصر في قوله عز وجل:

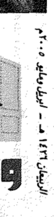
﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (سورة النحل الآية/١١).

﴿فانبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا﴾ (سورة عبس الآية/٢٩).

وفي قوله أيضاً **﴿والنَّخْلَ باسقات لها طَلعٌ نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾** سورة ق الآية/ ١٠ و١١).

وقال أيضاً **﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل﴾** (سورة يس الآية/ ٣٤).

وقد ضرب الله بها المثل بالكلمة الطيبة وذكر انها سخية معطاءة لا تبخل أبداً ولا تخلف الوعد، شامخة أبية راسخة **﴿وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت﴾** ، وقد باركها الله عز وجل وأكرمها بأن تخرج أطيب الثمر لسيدة بتول ام رسول من رسل الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فهى من هذه الناحية لا يضاهيها في المنزلة ثمر ولا ينازعها في الشرف شجر لأن الله عز وجل كريم تعالى أن يكون بخيلا والكريم لا يتكرم إلا بأحسن ما عنده، فقال عز وجل



موجها أمره إلى السيدة مريم العذراء البتول ﴿**وهُزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً**﴾ (سورة مريم الآية/٢٥).

وقد وردت أحاديث شريفة كثيرة تبارك النخلة وتضعها في مرتبة الشرف والسيادة وغاية الشرف أن تكون من مصدر طيب، أنها خلقت من نفس الطين اللازب الذى خلق منه ابو البشر آدم عليه السلام لقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما رواه عليّ كرم الله وجهه «كرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر ما يلقح غيرها واطعموا الولد الرطب وإن لم يكن فالتمر وهي الشجرة التى نزلت تحتها مريم بنت عمران» [*].

ويفضل أن تطعم المرأة النفساء التمر لقيمته الغذائية الكاملة وفوائده الجمة للحوامل وقد جاء عن سلمة بنت قيس قالت: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها التمر خرج ولدها حليماً ، فإنه كان طعام مريم حين ولدت، ولو علم الله طعاماً خيراً منه لاطعمها إياه. قال الله تعالى: ﴿**وهُزّي اليك بجذع النخلة تُسَاقطْ عليك رطباً جنياً**﴾ (سورة مريم الآية/٢٥)[*].

وقد وجد حديثاً أن للتمر قدرة فائقة فى التأثير على عضلات الرحم عند المرأة ما ينشط انقباضها، ويساعد ذلك على انزلاق الجنين واتمام عملية الولادة بسهولة ويسر وهو يشبه في عمله هرمون «البيتوترين» ولعل هذا يفسر أمر الله تعالى لمريم بتناول الرطب كما جاء في الآية الكريمة وهذا دليل قاطع على الاعجاز الطبي العظيم للقرآن الكريم وسنة المصطفى {صلى الله عليه وسلم}.

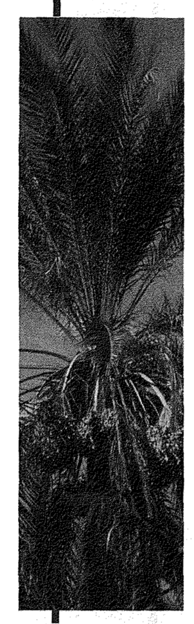
وقد جاء عن النبي {صلى الله عليه وسلم}، أن العجوة من فاكهة الجنة. وقد ورد أن أكلها يعتبر رقية من السم والسحر فيما جاء عن سعد بن أبى وقاص مرفوعاً من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» رواه البخارى ومسلم.

وفي رواية من أكل سبع تمرات ما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي» وروى الترمذى أيضاً قال: العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم وعن عائشة قالت: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، «إن في العجوة العالية شفاء» رواه مسلم.

ومن السنة النبوية أن يفطر الصائم على التمر لحديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، «من وجد تمراً فليفطر عليه ومن لا فليفطر على الماء فانه طهور» رواه النسائى وذلك يدخل في نطاق الاعجاز الطبي الاسلامى وخبرة رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، في الطب لأن التمر يحتوى على كمية كبيرة من السكريات(٧٠ - ٨٠٪). وفيه سكر الفركتوز والجلوكوز وهما يمنحان الجسم طاقة عالية وغذاء اساسياً للجسم والدماغ. بالاضافة الى المواد الغذائية الأخرى واحتوائه على كم هائل من الفيتامينات والاملاح المعدنية التى تلبى حاجة الجسم وتقوى الأعضاء وتعين الصائم على مواصلة الصوم.

التمر .. غذاء :

«بيت لا تمر فيه جياع أهله» رواه مسلم هذا ما ذكره رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وأثبتته لنا الحياة، حيث أن القدماء واللاحقين كانوا يعتمدون على التمر في غذائهم فكان زادهم في رحلاتهم وطعامهم في سكنهم، فقد كانت تضطرهم الظروف، فلا توقد في منازلهم نار لفترات طويلة، فلا يطهون طعاماً فكان الأسودان كل ما يعتمدون عليه في غذائهم، هما المعين والملجأ والملاذ الذى يلبى حاجتهم



ويستجيب لشدتهم، فينقذهم من الموت المحقق، حيث كان يصل تمر النخلة الواحدة في أجود الحالات إلى ٤٠٠ كجم كان يكفي لإعالة أسرة، أو أسر لمدة قياسية في الظروف القاسية، فالتمر صديق كريم، وسخي، فهو نعم المعين في الشدائد وذلك لجودة مادته وسرعة نجدته لوفرة ما به من عناصر غذائية هامة، فهو غذاء متكامل لا يمكن الاستغناء عنه لطبقة من الطبقات، فو طعام وحلوى وزاد وخير صاحب في السفر كما أكد ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي:

طعام الفقير وحلوى الغنى
وزاد المسافر والمغترب

وقد كان يتباهى به أصحاب النخيل الذين يمتلكون الكثير منه ويدخلون في عداد الأغنياء، لأنهم يملكون مقومات الحياة، فهم قوة «أمن غذائى» فكانوا يغبطون ويحسدون بقدر ما لديهم من هذه الثمرات وبقدر ما عندهم من نخيل، فها هو حسان بن ثابت يقول مفتخراً بما خلفه لأولاده من نخيل:

أبلغ عبيداً بأنى قد تركت له
من خير ما يترك الآباء للولد
الدار واسعة والنخل شارعة
والبيض يرفلن في القسي كالبرد

والنخلة لا تضاهى في حس كرمها وعطائها بغير حدود، فهل هناك كرم كالذى يساء إليه فيدفع بالحسنة وقد قال الشاعر في سخائها:

كن كالنخيل عن الاحقاد مرتفعاً
يرمى بصخر فيلقي أطيب الثمر

التمر .. الطاقة .. الحيوية، والنشاط :

التمر يمد الجسم بكمية هائلة من الطاقة والحيوية ويجدد النشاط ويكسر الخمول ويقضى على دواعي ومسببات الكسل والدعة، وذلك لاحتوائه على كمية كبيرة من الفيتامينات العديدة والمختلفة من (أ، ب، ن ٢، حـ) والاملاح المعدنية مثل الكالسيوم والفسفور والحديد علاوة على احتوائه على نسبة من البروتينات والدهون والسكريات وهو يقوى النظر، ويمنع الدوخة ويزيد من ليونة الاوعية الدموية، فيؤخر ظهور الشيخوخة، وذلك لوجود نسبة من الكيراتين، تلك المادة الاساسية لتكوين فيتامين (أ) كما يستخدم طلع النخيل «حبوب اللقاح» في تقوية الشعيرات الدموية حيث يمنع انفجارها وينشط الجهاز الهضمى ويعالج المرارة وآلام الصدر ويزيد من قوة الاخصاب.

محتويات التمر الغذائية والطبية :

التمر مصدر متكامل وغنى بكثير من المواد الغذائية والضرورية للجسم من الفيتامينات والمعادن والاملاح المعدنية، فقد ثبت في الطب الحديث أن كل مائة جرام من التمر - بدون نوى طبعاً - تحتوى على ٦٥ ملجم من الكالسيوم، ٧٢ ملجم من الفسفور، ١ر٥ ملجم من الحديد وهذه الاملاح المعدنية القلوية تساعد الدم على التخلص من حموضته الزائدة والسموم المتراكمة بداخله، وقد ثبت أن كمية

مقدارها ١٠٠جم من التمر تمد الجسم قدراً كبيراً من الطاقة الحرارية والسعرات اللازمة للجسم مقدارها ٣٥٣ سعراً حرارياً، كما ثبت أيضاً أن التمر مصدر هام لفيتامين (أ) ومصدر لا بأس به لفيتامي (ب) ويحتوى البلح على ٨ر١٣٪ ماء، ٦ر٧٠٪ مواد سكرية، ٢ر٢٪ مواد بروتينية، ٣٪ مواد دهنية، ١٠٪ ألياف، ويتميز التمر بقلة نسبة الدهون مما يجعل له أهمية كبيرة في تقليل أو عدم زيادة نسبة الكولسترول في الدم مع امداد الجسم بقدر كبير من الطاقة الحرارية العالية.

للتمر .. فوائد لا تحصى!!

ذكر أن التمر غنى جداً بالفسفور اللازم لبناء خلايا المخ وبخاصة تلك الخلايا المسئولة عن التناسل والتفكير لذا كان للتمر أهمية كبيرة في تعويض ما يفقده أصحاب الفكر والابداع وأولو القلم، وقد علق القدماء أهمية كبرى على القدرة العلاجية للتمر وأثره البالغ على زيادة القدرة الجنسية حيث ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوى «أن الرطب يزيد الباه» ولا سيما مع حب الصنوبر كما وصف ذلك أيضا في الطب القديم أنه يزيد القوة الجنسية مع الحليب والقرفة حيث يخصب البدن ويسخن وقال ابن الجوزى في كتابه اللقط أن التمر يقوى المعدة ويقتل الدود من العفونة في البطن وينصح صاحب كتاب The heart)) المصابين بارتفاع ضغط الدم وذلك كوسيلة للسيطرة على ضغط الدم بأنه من الحكمة تناول قائمة من الاغذية وذكر على رأسها التمر لما يحتويه من كمية كبيرة من البوتاسيوم.

التمر يقي الاسنان من التسوس :

قد كان من الشائع لوقت قريب أن التمر يؤذى الأسنان ويؤدى الى تسوسها وقد جاء من كسر هذه الاشاعة وأبطلها وأوضح ان التمر يحمى الاسنان ويمنعها من التسوس، حيث كشف أحد الباحثين يعمل بمنطقة الفجيرة بدولة الامارات العربية المتحدة عن فوائد جديدة للتمر حيث يحفظ الاسنان من التسوس رغم حلاوته واوضح الباحث ان التمر يحتوى على مواد كربوهيدراتية في صورة سكريات أحادية وكمية من البروتين والألياف وقليل من الدهون بالاضافة إلى البوتاسيوم والكالسيوم والفوسفور والحديد والكبريت والفلورين وهذه العناصر تدخل في تركيب العظام والاسنان وتقويتها، أما مادة الفلورين فهى مادة تحمى الاسنان من التسوس وتدخل ايضاً في معاجين الاسنان المتوافرة في الاسواق.

التمر مقو عام :

ولما كان التمر من السكريات الاحادية غير المعقدة التركيب، لذا فهو لا يجهد الكبد ولا يضعف الكلى ولا ينهك قوى الجسم، فهو ملين طبيعى ممتاز وبصفة عامة ثبت أن التمر مقو للعضلات والأعصاب، ويحفظ نضرة الأعضاء الحيوية للجسم ونظراً لوجود فيتامين [أ] بنسبة كبيرة فهو يحفظ رطوبة العين وبريقها ويكافح الغشاوة ويقوى الرؤية ويقوى أعصاب السمع ويزيد من حدته ويهدىء الأعصاب وينشط الغدة الدرقية ويلين الأوعية الدموية ويرطب الأمعاء ويحفظها من الضعف والالتهاب ويقاوم الدوخة وزوغان البصر والتراخى والكسل.

وأخيرا نقول إن التمر غذاء متكامل ودواء واسع المجال قوى المفعول وبلسم شاف له قدرة عالية في الوقاية والعلاج باذن الله.

---

[*] ذكر هذه الاحاديث ابو نعيم في كتاب الطب.

—— احمد اسماعيل احمد عبد الكريم
- مصر -

للزلازل وجوه أخرى

هذي الزلازلُ قد صاغت رسائلها
لكنْ بقلب مليء بالسكاكين
تجري شقوقاً وتمضي وهي حاملةٌ
الفجر نعشاً مليئاً بالرياحين
لا تنزعُ الجمر عن أوتار حالمة
لا تخمدُ النار بين الماء والطين
أتسجنُ الروح حين الروح مُبحرةٌ
ما بين ترديد أشعار وتلحين
لكل جرح دوي حين تفتحهُ
فكيف تُفتحُ أبوابُ الدكاكين
وكيف أنسى خيال الحب ملتحفاً
بالغيم حينا وحينا بالثعابين
لا لستُ أنسى وموجُ الرعب مُندفعٌ
مذابح الورد في دنيا البساتين

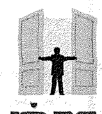
* * *

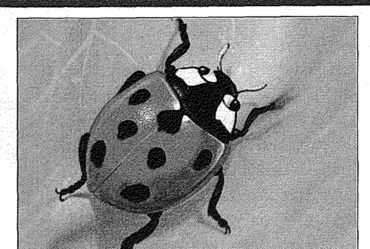
صمتُ الزلازل إعصارٌ يُدمرني
يجتاحُني قلقاً حيناً الى حين
أطلقتُ قلبي كأنعام فأدفعُهُ
للنار مُقتحماً من دون تحصين
يواجهُ الهول والأمراضُ في دمه
ولا يُلاحقُ أصداء المجانين
هذي الزلازل في روحي مساكنُها
وفي جبيني بدت كلُّ العناوين
هذي الزلازلُ لا شيء يُكبلُها
لكنها بين تغسيل وتكفين

* * *

سالتْ ملفَّاتُها بين الدمار دماً
وفي ملفَّاتها أقوى البراهين
هذي الخرائبُ والزلزالُ لوحتُها
عمياءُ تغتالُ أضواء التلاوين
صمَّاء تغتالُ أصدائي وتدفعني
جرحاً فجرحاً إلى كل السكاكين
بين الزلازل آلاف الضحايا مضت
للشعر تنتجُ آلاف الدواوين
لا .. لن تُغادر والأعضاء سالمة
إلا إذا أصبحت ضمن البراكين
لا .. لن تُغادر إلا حينما تركتْ
طول الجراح بشعري دون تدفين
خرائطُ الآه في قلبي مواقُعها
تستقبلُ النار من حين الى حين
تختارُ أهدافها في كل زاوية
وما تُسجلُها من دون تمكين
إنَّ الزلازل لم تُكملْ تجاربها
حتى تُحلق في كل الميادين

عبد الله على الأقزم
- القطيف -





مقتل كائن ما

الرجل الوقور تخلى فجأة عن اعتداده وعنجهيته، وبرزت من خلال ملامحه التوصيات القديمة.

أنفه تقوس كمنقار عقاب، وخرج من منخاريه زفير التشنج.

وانزلقت نظارته السميكة على منتصف تقوسه، وظهر خوف غريب من عينيه المرتعدة، التى كانت هادئة.

انتفض من مقعده الوثير دون أن يستأذن الجالسين الذين هبوا لوقفته وتناسوا أهمية اجتماعهم.

وساد في القاعة سكون شديد.

وكما لو كان الرجل مستعدا منذ زمن لتلك اللحظة، حمل حذاءه كسلاح وجرى الى حيث يقف مراده المسكين. يبْرز خيطى شاربه بخفه وسرعة ويختفي ويظهر بدقة مرواغة.

أخذ الرجل يكتم أنفاسه ويمشى بخطة شبه مدروسة على أطراف أصابعه، تحسبا لساعة الصفر، يخشى بخجل مغبة أن يهرب منه، مصرا على حصاره وقتله.

وبكل ما أوتي من عزم ألقى بحذائه الثقيل على جسد الصرصار.

وحين عاد من أقصى البهو للوقوف أمام المشاهدين المنصتين، الذين لم يجدوا ما يقولون. اغتصب ابتسامة حادة للنصر وقال بجدية واهتمام:

إن هذا اللعين كان يصر أن يصدر صريرا صاخبا في تلك اللحظات التى أرغب بالذات فيها بالهدوء.. ثم استطرد بتلعثم قائلا:

مصيبة ... مصيبة كبرى، إذا قال عنك أحد ... إنك لا تستطيع قتل صرصار.

جلال توفيق المحلاوي
- مصر -



سجينة بلا جدران

بدأت سلاسل أشعة الشمس الذهبية تطرد ظلمة الليل من خلال نافذة الغرفة لتعلن عن موعد انبلاج الصباح، ومولد يوم جديد في هذه الأثناء تناهى صوت بكاء طفل صغير، مع مرور الوقت راح الصوت يرتفع، في حين تقلب جسد بجانبه عدة مرات في تململ ، ثم امتدت يدان أخذت الطفل وراحت تهدهده في رقَّة وحنان حتى نام، فوضعته في سريره، ألقت بنظرة على الساعة التى طوقت معصمها كالقيد، يا الهى لقد تأخرت على صلاة الصبح، ندت عنها آهة مريرة، ثم تابعت يحق لي التأخر لأني لم أنم الا ساعة واحدة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ·· التفكير انه داء اليوم، تركت سريرها وقامت لتتوضأ وتصلي، ثم اتجهت لترتدى ملابس العمل ·· ولكنها تذكرت أن اليوم الجمعة، فألقت بجسدها المنهك على السرير واغمضت عينيها ولكن بكاء الطفل حال بينها وبين النوم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما هذا؟ ما بك؟! أنت والسهر عليَّ ، ورفعته ثانية ثم راحت تعد له حليبه في تأفف وضيق، وهي تحدث نفسها بعد أن وضعته في سريره للمرة الثانية - لا يهم النوم فما أطال النوم عمرا ولا قصر في العمر طول السهر - كما قال الشاعر، ولكن لو أنه كان ابنا لي لا يهم نمت أو لم انم··

وشردت بعيدا بفكرها الى الوراء الى اليوم الذي نالت فيه شهادة معهد المعلمات الثانوي واصبحت عضوة نافعة في المجتمع، فحققت بهذا النجاح جزءا من أمنيتها في الحياة، ومرت بها السنوات سريعة كالقطار، وهي تعطى من جهدها وطاقتها الشيء الكثير دون أن تشعر بمرور الزمن من حولها، ودون أن تدرك أنه يأخذ من عمرها، وقد خرَّجتْ أجيالا ولم تزل كما هي المعلمة المخلصة التى تشتعل حماسا وحبا للعمل، وما كان ينغص عليها حياتها ويقلقها بين تارة وأخرى هو سؤال واحد ظل يطوقها من جميع الجهات وهي تبحث عن جواب شاف له ولكن كان سؤالها هو:

لماذا أنا لم أتزوج حتى الآن كباقي قريباتي وصديقاتي ومعارفي؟· لماذا أنا من بينهن فقط؟ أنا لست أمية؟ ولست فقيرة؟ ولست بالدميمة الخلقة؟ ولا يعقل أن احدا لم يتقدم لخطبتى طيلة هذه السنوات؟ لابد أن هناك سببا أو اسبابا لا أعرفها؟

كان هذا السؤال هو ما يحيرها ويقض مضجعها، ولم تعلم أن الجواب عند والدها لو واتتها الجرأة ووجهت اليه السؤال لعرفت أنه بحكمه الذى اصدره في أرض اسرته وقرر جازما تنفيذه·· انه حكم يعمي عن الظلم، وينسى العدل، انه حكم العادات والتقاليد والجهل الذي ترزح تحت وطأة ظلمته أعمار الشابات من بنات الاسرة اذا لم توافق أية واحدة منهن عليه، وبطريق الصدفة عرفت حصة جواب سؤالها من حديث دار بين أمها

وإحدى خالاتها، وهي تتظلم من حكم والدها الذي فرضه عليهن وهو عدم موافقته على تزويج بناته الا الى احد الاقارب حتى لا يخرجوا عن محيط العائلة؟ تملكتها رجفة عارمة زلزلت كل كيانها ومضت عيناها تذرف أحر دموع الحسرة والقهر والاحساس بالظلم، لقد أدركت الآن جواب سؤالها الذى حيرها كثيرا، ومضت تسترجع أقاربها فلم تجد غير المسن أو الصغير أو المتزوج، والارمل.. إذاً لا مفر من مصير شقيقتها ستظل بالأمل حتى تنتهى الى مقرها الأخير دون أن تبلغ مرادها، أو ستقترن برجل متزوج منهم، كما سمعت خالتها تقول: أجل، قد يتقدم أحدهم في اللحظة الأخيرة للزواج منها لا رحمة بها ولا حبا فيها، لكن لحاجة في نفس يعقوب؟ ندت عنها آهة حرى أيقظتها من سفرها الطويل مع أفكارها على اثر صرخة من طفل أخيها الذى وضعته منذ قليل، نظرت اليه مذعورة.. مرتاعة وقد ترقرقت الدموع في عينيها، مدت أناملها تتحسسه فاذا بجسمه قطعة من النار، وكان صراخه يعلو حتى إنها تركت غرفتها مسرعة الى غرفة اخيها وزوجته، لم تمض دقائق الا وهو بين يدي الطبيب الذي قال للأب في نبرة يشوبها العتاب:

ان طفله مصاب بنزلة شعبية نتيجة لتعرضه للبرد، ما ان خرجا من العيادة حتى انفجرت زوجته فجأة كقنبلة تكيل الشتم تارة والتهم تارة أخرى واضعة اللوم على أخته، وتارة ثالثة تتوعدها، وهو يحاول ان يفهمها أن اخته لم تخطىء، وما ان وطئت قدماها صحن الدار وأقبلت حصة لتطمئن على الطفل حتى انفجرت فيها غاضبة، وكأنها بركان محموم، مضت حصة تدافع عن نفسها وكأنها واقفة امام قاض في محكمة، ولكن من يسمع ويقدر ويدرك ويفهم؟ انها دائما هي المخطئة وأخطاؤها كبيرة في نظرهم، فزوجة أخيها ترجع إليها اهمالها لطفلها، لأنها تحسدها ناسية انها الأم وهي المسئولة الاولى عن طفلها.. واخوها لا يقدر على غير الصمت أو القاء الخطأ عليهما معا وهذا التصرف منه يعذبها اكثر، أما والداها فهما دائما مع رأي اخيها لكسب رضاه، طمعا في بقائه معهما في المنزل فهو وحيدهم العزيز. أحست حصة بنار القهر تسري في جسمها وراحت جاهدة تخنق الدموع التى شرعت في الظهور من محاجرها.. قالت: تخاطبهم:

أهذا هو جزائي؟.. أهذه مكافأتي منكم وتقديركم لي؟ .. ألست من اقترح عليكم فكرة العناية بولدكما مضحية بصحتى وراحتى في سبيل سعادتكما.

.. و .. وعند أول خطأ تلقون عليَّ بالتهم وتعيرونني.. ولكن ان اخطأتم في حقي اليوم ، فهناك من اخطأ في حقي سنوات وخطأوه اكبر من أن يصلح، خطأه ساعد على تدمير حياتي وحرماني من الاحساس بالسعادة والشعور بلذة الامومة.. ولم تستطع الاكمال أمام سيل الدموع التى شقت طرقها الى وجنتيها بقوة.

بعد أن جففت دموعها بعدما بكت كثيرا حتى شعرت بالراحة، راحت تخاطب نفسها: يالشقائي! ان زميلاتى وصديقاتى يحسدننى على ما أنا فيه، كلهن يخيل اليهنَّ أنى: آكل وأشرب وأنام ثم أخرج اذا اردت وأمضي يومي كله دون منغصات ، كلهن يقلن لي انت اسعد منا حالا.. أنت خالية الفكر، مرتاحة النفس، تنامين وقتما تريدين، وتأكلين وقتما تحبين، لا زوج يلاحقك بطلباته .. ولا أولاد تحملين همهم.. أنت طليقة حره، اما نحن فمقيدات.. آه ...يالشقائي ويا لتعاستى التى يحسدنني عليها وما يعلون أننى حبيسة سجن بلا جدران.. وليس في زنزانة صغيرة .. أو غرفة مظلمة.. اننى سجينة روح وقلب وفكر ونفس، إنني مقيدة اليدين حتى كلماتى وأحلامى مسجونة مثلي لا استطيع البوح بها ، يا جهل هؤلاء انهم يحسبون أن السجين من يسجن فقط في غرفة مظلمة بعيدا عن الناس فقط وما يعرفون أن هناك كثيرات مسجونات بلا سجن وبلا قيود تقيدهن، وبلا جدران تخفيهن عن أعين الناس.

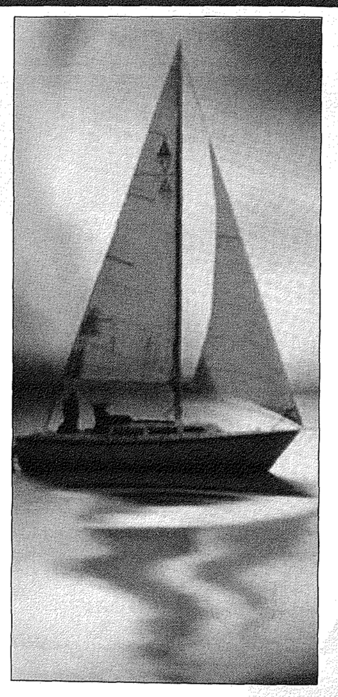
بهية بو سبيت
- الاحساء -



لا تسألوني

لا تسألوني عن حبيبي إنني
أخشى عليكم سحر حُسْن فائق
فالشَّعر منساب على الخدين اسـ
ـتهواه وجه كزهر عابق
ذَيَّاك شَعْر ناعمٌ مُحلَوْلكٌ
قد زان صدراً ثابتا كالشاهق
والطرف سهم قاتل والجفن قو
س دافع حتما لسهم راشق
والخدُّ وردٌ عاطرعطر الشذى
والثغر شهدٌ ساحرٌ للذَّائق
والسن نبراس مضيء للدجى
والوجهُ دوْما نير كالطارق
والصوت عذب مثل شدو الطائر
أعلاه موسيقى وحق الخالق
والصدر كافور علاه العنبر
والقلب نبعٌ من حنان دافق
والقد ممشوق كغُصْن البان ميـ
ـاسٌ تراءى كالنسيم الرَّائق
ريحانة هيفاء تمشي الخوزلى
حورية، عاشت لقلبي الخافق

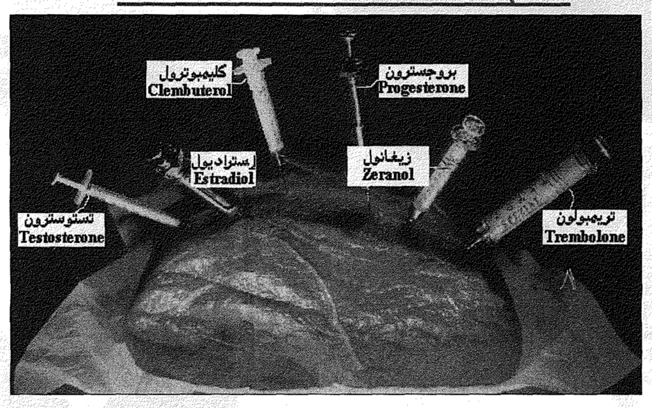
محمد صالح الصغير
- تونس-



الصوت المبحوح

حـمل الغـروبُ جنائز الأضـواء
فبـقيتُ أنقش في السكون رثائي
وتلمّظت شـفـة الظلام بقـيـة
منهـا ، وجـفّت آخـر الأضـواء
فغمستُ في شعري يراع مواجعي
وسكبتُ في نفـسي مـداد غنائي
تقتات أسئلتي الصدى، فيمجّها
فـتـمجّني في حـيرتي وشـقـائي
وعلى رصيف الليل أنتظر الضحى
عذب الدلال مـشقـشقاً برجائي
وإذا تطلّبت الدواء بحـرقـة
أمـسى التـعـزّزُ منه أعـضل داء
جـدبٌ ، ويُوْرق بـالظنون تسـاؤلي:
ألهـالك الآمـال جـهـدُ بقـائي؟
أنا إن أعش لمشاعـر مطمـوسة
فـولاء كل البـدو للصـحـراء
ألنا غريبٌ ؟ لا جواب ! وحشرجتْ
للصمت أحرفه ، فضجّ مسائي
وطنٌ شـعـورك، غيـر أنك شاعـرٌ
وأشـدّ شيء غـربة الشـعـراء
قد بحَّ صمتي في انتظار إجابة
حتى سألتُ؛ فرددت أصدائي:
«من يغـمض العـينين عن آمـاله
يعش الحيـاة مـعيشـة الغرباء»

سعود بن سليمان اليوسف
-الرياض -



المواد الأكثر استعمالا لحقن الحيوانات من أجل تسمينها



□ إننا نعيش في عالم مسير بالتقدم ومقيد بالاقتصاد، عالم أصبحت بداخله حياة الإنسان وصحته في المرتبة الثانية أو الثالثة مقارنة مع المصالح التى تدخل ضمن أولويات التمتع والرفاهية. فقد تطفو في هذا السياق تساؤلات عديدة وملحة لتوضيح هذه الرفاهية لأنها في الحقيقة هدامة، وإن تنبّه الناس إلى هذا الأمر الخطير يعتبر إعاقة للتقدم، تقدم أصبح باسمه تتلوث بيئتنا من حيوانات وتربة وهواء وأنهار ومحيطات ونبات، فقط من أجل ربح بعض الذين

د. يونـــس وهبــي

- المغــــرب -

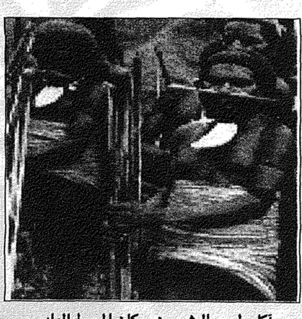
إذا كان لبن الجاموسة الماليزية التى ترعى في الخلاء يحتوي على سترونسيوم المشع، فما بالنا في حالة الدجاج المربى في اصطبلات صناعية لا ترى الضوء إطلاقا وتتغذى بالمواد العضوية المكررة، أو اللحوم الحمراء التى تترعرع بالهرمونات، أو النباتات التي تنمو تحت الأمطار الحمضية والتربة الوسخة.. فالشك الذي يخامر المستهلك أصبح يقينه أبعد منال، وأصبح جليا الآن أن المواد الغذائية لم تعد مثل السابق، وأصبح من الصعب القضاء على أحد المركبات الملوثة التى دخلت السلسلة الغذائية، وكل ما نأكله يكون قد تعرض لتلوث ما في أحد مراحل هذه السلسلة.

التسمين بالهرمونات :

إن في حقن الماشية بكوكتيل من الهرمونات قصد تسمينها تأثيراً سلبياً على صحة المستهلكين، وعلى الرغم من منعه فإن بعض المربين مازالوا يطعمونه لقطعانهم.

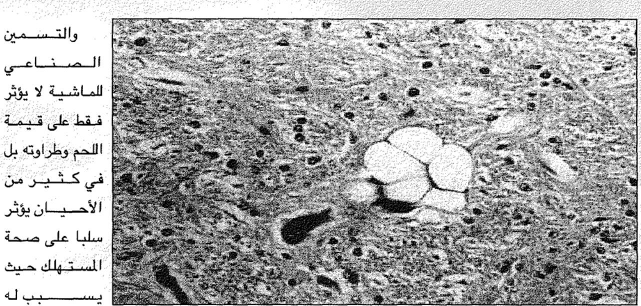
يعود جدل استعمال الهرمونات إلى سنة ١٩٧٦م عندما لوحظ على بعض الشباب في إيطاليا تحولات هرمونية جنسية منها: بروز غدد ثديية عند الذكور.. بسبب تعاطيهم للأكلات المعالجة بالهرمونات؛ فأصدر مجلس السوق الأوربية المشتركة في عام ١٩٨٩م قرارا يمنع استخدام أي نوع من الهرمونات الصناعية منها والطبيعية لتربية الحيوانات، هذا الإجراء فتح بابا واسعا في وجه مافيا السوق السوداء التي أصبحت تكسب الملايين من الدولارات بسبب عدم التزامهم بتطبيق هذا القرار إذ أن مربي الماشية الذين يحقنون قطعانهم بهذه المواد يصل مردود أرباحهم الى ٢٠٪ حيث يحقنون ماشيتهم في أماكن تخفى على المراقبين البيطريين.

من بين هذه الهرمونات توجد (تستوسترون - بروجسترون - إيستراديول) التى توجد بشكل طبيعي والتى يمكن تصنيعها كذلك، أما الهرمونات الصناعية فنجد (زيغانول - تريمبولون) الشبيهة بالطبيعة إلا أنها أكثر قوة وتأثيرا، وحاليا تستعمل مركبات Beta-agonistas ، هذه المجموعة ليست هرمونات في حد ذاتها بل مركبات مخبرية تحاكي وظيفة الأدرينالين على بعض الخلايا، ففي العضلات تثير من جهة صناعة البروتينات وتقلص من الشحم من جهة أخرى، فنجد كليمبوتيرول الذي يستخدم كدواء في الطب البيطري لعلاج حالات التنفس عند الماشية، وتيسير ولادة البقر والشياه، يستعمل لأغراض أخرى قصد تسمين قطعان الماشية والدواجن بسرعة، كما نجد كذلك مادتي Salbutamol و Terbulatin ، إذ



أكلي لحوم البشر من سكان المحيط الهادي يصابون بمرض الكورو Kuru

والتسمين الصناعي للماشية لا يؤثر فقط على قيمة اللحم وطراوته بل في كثير من الأحيان يؤثر سلبا على صحة المستهلك حيث يسبب له رعشات، وخفقاناً وإسراعاً في ضربات القلب، وتعرقاً، وأوجاعاً في الرأس ودوخة لمدة طويلة وتسمماً. وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الهرمونات المحظورة بأوربا يسمح باستعمالها في الولايات المتحدة، ونيوزيلندا، وأستراليا، مما ينتج عنه مواقف ومشادات تجارية، فالاتحاد الأوربي منع منذ عشر سنوات استيراد اللحوم المعالجة بالهرمونات. هذا الحظر يكلف حسب سكرتير بالفلاحة بالولايات المتحدة الأمريكية خسارة تفوق ١٢٠ مليون دولار، كما أن دول أخرى ذات مصالح مشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية تنتقد الموقف الصارم للاتحاد الأوربي معللين ذلك بأنه لا توجد أدلة تثبت إصابة المستهلك بمستحضرات الهرمونات إذا استعملت وطبقت المقادير بطرق معقولة تحت رقابة المختصين.



بروتين Prion المسبب لمرض جنون البقر يحدث بالدماغ تجاويف مميتة

تعطى للماشية خاصة في الأسابيع الخمس الأخيرة مخلوطة مع العلف أو الماء، فتؤثر على الغدة الدرقية للحيوان حيث تحبس الماء في العضلات وتضخمها فيتقلص الشحم في الجسم. وتحت الجلد تنخفض الدهون الى ٤٥٪ ودهون ما بين العضلات الى ٥٠٪ فيرتفع بذلك وزن الحيوان الى ٢٠٪ فيفقد اللحم لونه الأحمر حيث يصبح ورديا كما يصبح أكثر متانة وأقل مذاقا، فالشحم هو الذي يعطي طعما للحم. وعند قليها يسيل منهاكثير من الماء فتنكشف الخدعة.

كما ضبطت منظمة المستهلكين المنتفعين استخدام المستقلبات البنائية في أكثر من ١١٪ من رؤوس الحيوانات. وبما أن هناك صعوبة لتطويق الوضع، تبقى الحالة جد خطيرة، فتعطى هذه المواد عندما يزن الحيوان ٧٥ كلغ ويذبح عند وزن ٤٠٠ كلغ، ولا يمكن إدراك الغش إلا عند ملاحظة قلب الحيوان حيث يكون صغيرا (فمادة Clembuterol لا تؤثر على عضلة القلب) إلا أن المستهلك لا يفطن إلى ذلك فيخلط بينها وبين شرائح لحم سليمة.

مرض جنون البقر :

فجأة انطلقت صفارات الإنذار، مرض مجهول تقريبا لا يكاد يذكر في دروس أقسام الأعصاب في كليات الطب إلا في سطور معدودة، حالاته لا تصيب إلا واحدا من مليون ونصف المليون من السكان،

أصبح اليوم أكثر دلالة على حتف المصاب به كما أصبح أكثر الكلمات رعبا في القاموس الطبي عند المجتمع المتحضر والمستهلك. فبأقل من عشر سنوات سيصبح مرض التهاب الدماغ الإسفنجي CJD: Creutzfeldt - Jakob Disease)) وباءا يشق طريقه إلى كل الفئات في المجتمعات الراقية والباحثة عن الراحة والعيش الرغد، مثل مرض الإيدز ومرض الاحتساء ومرض فيروس إيبُلا ، لقد أصبح مشكلا عاما وموضوع حديث ومصدر خوف عند العامة والخاصة على السواء وأصبح قضية لها آثارها على المجتمع العالمي من جميع النواحي الاجتماعية منها والصحية والاقتصادية.

منذ ٧٥ سنة اكتشفت حالة إصابة دماغ في فصيصه الأمامي محدثة اضطرابات غير قابلة للرد وتفضي إلى الخبل والجنون ثم الموت. وبعد ثلاثين سنة بعد ذلك عُرفت ميزة الإصابة البطيئة. فالمرض يظل سنين عديدة ليتفشى ويطفو، وبمجرد ما تظهر أعراضه فإن المصاب يموت بعد فترة تتراوح بين ستة أشهر وسنتين.

وقد استطاع الباحثون التعرف على مسبب المرض، إنه عبارة عن جزيء غير عادي أصله نوع من البروتين Prion الذي يستنسخ تلقائيا ويدير تخليق نفسه، وهذا ما يعلل استحالة مهاجمة أصل المرض، فإذا كانت الفيروسات والبكتريا وهي شكل من أشكال الكائنات البدائية قد استطاع العلماء عزلها وبالتالي محاولة القضاء عليها، فإن البروتين يكون في حد ذاته نواة الحياة وهذا يعني أننا إذا أردنا أن نقضي عليه فكأننا سنقضي على الحياة نفسها.

مرض آخر شبيه بالسابق، إنه مرض (الكورو) وجد عند السكان الأصليين للمحيط الهادي، إذ يصابون به من جراء تناولهم أدمغة أعدائهم. وقد استطاع بعض العلماء أن يدركوا التشابه بين هذا المرض وبين مرض التهاب الدماغ المعروف Scrapie الذي يصيب الشياه والماعز كذلك، إلا أنه لحد الآن لم يستطع العلماء بتجاربهم أن يربطوا بين هذه الأمراض أو إلى أي مدى قد تنتقل العدوى بين الحظائر المختلفة ومن هذه الأخيرة إلى الإنسان. بالنسبة لمرض الكورو فقد انتقل الى قبيلة Papua بغينيا الجديدة حيث يعدى عن طريق أكل أحشاء الإنسان ودماغه في بعض الطقوس الدينية، وعند أسر الأعداء في الحروب القبلية من القبائل الأخرى.

في البداية لم يثر هذا الموضوع اهتمام العامة

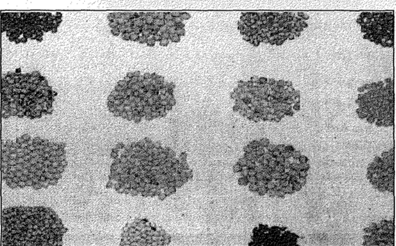


حرق وترميد مليونين من البقر بعد إصابته ببروتين Prion المسبب للجنون

البداية حالات عصبية وانطوائية ثم تصرفات عنيفة، فتحرك آذانها بكثرة وتعجز عن التنسيق بين أطرافها الخلفية. إضافة إلى ذلك، فإن الأطباء يصرحون بوجود أمراض دماغية أخرى تصيب الإنسان. مثل مرض -Gerst man - Sreaussler شكل من CJD ومرض Alpers الذى يهاجم الأطفال، وفي كل الحالات يصبح دما غ المصاب شبيها بإسفنج دون أن يستطيع الطب فعل أي شيء.

وبقدر ما تزيد رقابة المسالخ تبتكر طرق جديدة لإخفاء النصب والاحتيال، ففي البداية كان الحيوان يوخز من ظهره، بعدها حقن من وراء أذنيه، والآن يحقن في الظلف وتحت الذيل حتى لا يترك أثراً، كما تستعمل وسائل أخرى مثل مستقلبات نباتية تخلط مع الماء أو العلف، والموضة الأخيرة في الاحتيال هي نوع من اللصيقات توضع على الجلد.

خطر آخر يضاف إلى اللحم، هو استعمال المضادات الحيوية لتحاشي الأمراض، حيث تجمع حيوانات كثيرة في حظائر صغيرة تعيق تحركها، مما يجعلها عرضة للأمراض، في هذه الحالة تعطى كميات كثيرة من المضادات الحيوية (وهو شيء مسموح به) لكن هناك فترة قبل الذبح يحظر فيها اعطاء الحيوانات أي نوع من الدواء، وإذا لم تحترم هذه الفترة (بين الأسبوع والشهر) فإن المستهلك بدوره سيتجرع قسطا لا بأس به من هذه المواد. كذلك إذا مرض حيوان فإن المربي يخاف فقدانه، فينفخه بالأدوية قصد تحسين صحته ثم يذهب به





بعض الخضر والبقول التي ترش بمبيدات الآفات تجنى قبل الوقت المحدد لاندثار آثار المحلولات الكيميائية

إلى أن تغيرت الأوضاع عندما أعلن بعض الخبراء عن إمكانية انتقال مرض جنون البقر BSE: (Bovine Spongiform Encephalopathy) إلى الإنسان عند استهلاكه للحم وخاصة الأحشاء. حيث اعترفت بريطانيا بعشرات الحالات أعراضها الدماغية شبيهة بمرض التهاب الدماغ الإسفنجي.

وعلى الرغم من أن كلا المرضين يصيب الدماغ فإن الاختلاف بينهما بيِّنٌ، فبينما يحدث مرض CJD نوعا من فقدان الذاكرة وخبلا، فإن المرض BSE عند البقر يسبب ضيق القلب، والاكتئاب، وتغييراً في التصرفات. فالحيوانات المصابة تظهر عليها في

مباشرة إلى المذبح، فتكون النتيجة وخيمة على المستهلك كذلك، هذه الحقيقة لا يمكن ضبطها بحيث يستحيل تحليل جميع دماء المواشي قبل ذبحها.

التلوث الكيميائي :

الأسماك هي الأخرى لم تسلم (باستثناء المرباة في أحواض) خاصة وأن البحار والمحيطات أصبحت ملوثة بالقطران والزيوت والمعادن الثقيلة مثل الرصاص والزئبق، حيث تمتص الأسماك هذه المواد، لذا يجب التأكد من مصدر صيدها، كما أن أحسن طريقة لحفظها هي تجميدها مباشرة في أعالي البحار على ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر دون إضافة أي مواد أخرى.

المواد النباتية هي الأخرى معرضة للتلوث، فهناك عوامل يصعب التحكم بها من تربة ومطر وبذور، حيث تتعرض الخضر والبقول والفواكه للتلوث خاصة إذا كانت المزارع قريبة من الطرق السيارة، حيث تمتص مختلف الغازات المسمومة الناتجة عن احتراق وقود السيارات أو التي تسقى بالمياه الحارة أو قرب مستنقعات صرف المياه أو جوار المناطق الصناعية. كما أن استعمال بعض المواد الكيميائية مثل مبيدات الآفات الزراعية Pesticides يشكل أخطار جسيمة على صحة المستهلك، إذ بإمكانها الدخول في السلاسل الغذائية الحيوية والتأثير على استقلاب العضويات كما تستطيع بقتل بعض العضويات وترك عضويات أخرى إحداث خلل في التوازن البيئي؛ وعند رش هذه الآفات فإنها تُكوِّن على أوراق النبتة غشاءا رقيقا غير قابل للذوبان إلا بعد فترة محددة ومضبوطة حسب نوعية المادة المستعملة، لكن المزارعين بخوفهم على المحاصيل من أحوال الطقس المفاجئة يقومون بجني الثمار والبقول والخضر قبل إتمام الفترة المحددة لنضجها.

وقد كلف الاتحاد الأوربي بعض المنظمات غير الحكومية القيام بدراسة عن الخضر والبقول الأكثر استهلاكا وما تحتويه من النترات والنتريت وهما مادتان تستعملان لمحاربة تسمم الطعام من بعض الجراثيم اللاهوائية مثل Clostridium Potulinum و Clostridium Parabotulinumالتي تعيش عادة في التربة وتؤثر بشكل أو بآخر على الطعام، فكانت النتيجة أن الخضر والبقول الأكثر سلامة توجد بدول حوض البحر الأبيض المتوسط.

ما نراه كذلك هو انتشار الأكلات السريعة والوجبات الجاهزة في حياتنا تفاديا لضياع الوقت من أجل تحضير وجبة طازجة، إلا أن هذه الأطعمة والمعلبات نجدها تحتوي كذلك على مواد كيميائية كالإضافيات والملونات.. حتى يتسنى حفظها لمدة أطول، كما أنها تحتوي أيضا على تركيزات عالية بنوع من أسوأ الدهون (الدهون المؤكسدة) إضافة إلى الكولسترول ، وعند ازدياد كمية هذه المواد في مجرى الدم، فإنه يترسب على الشرايين بشكل غير طبيعي ويترافق مع هذا الترسب تصلب الشرايين Atherosclerosis والإصابة بأمراض القلب إضافة إلى البدانة المفرطة.

الإضافيات، والحافظات الصناعية للطعام :

منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، كانت المواد الغذائية تحفظ بالملح، الدخان، الخل أو التوابل، وفي الوقت الراهن توجد أصناف من الإضافيات، مواد زيدت للأكلات لتحسين وحفظ خاصيتها، إضافة إلى مهام مشبوهة كتمويه لجودة الطعام.

وحسب القانون، يجب استعمال الإضافيات حسب قياس معين ودقيق قصد حفظ الطعام أو

تثبيته أو مساعدة على تهيئته أو تخزينه أو نقله، دون المس بخصائص المادة الغذائية نفسها. هكذا وجدت أصناف وأنواع كثيرة من الإضافيات يرمز إليها بحرف E مسبوق بعدد :

- الملونات (من E100 إلى E199) منها الطبيعية أو الصناعية، وكثير من الجمعيات الاستهلاكية تستنكر استعمالها وتراها غير مفيدة.

- الحافظات : (من E200 إلى E299) تؤخر التخمر، وتحول التصدؤ والتعفن للمواد الغذائية، حيث يسمح باستعمال النترات والنتريت لحفظ اللحوم والنقانق لتحول دون الإصابة بالتسمم الوشيقي وهو نوع من التسمم يسببه سم بعض الجراثيم حيث يصيب الجهاز العصبي بالشلل، إلا أن استعماله المفرط يسبب السرطان كذلك.

- مضادات الأكسدة (من E300 إلى E321 وهي مجموعة من المركبات العضوية تضاف إلى بعض المنتجات الصناعية الغذائية وذلك لإكسابها خاصية عدم التأكسد، ومع أن الفيتامين E و C يعتبران من مضادات الأكسدة الطبيعية، فإنه تستعمل مادة أخرى صناعية أقل تكلفة مثل (E320 و E321) التى تشكل بعض حالات التسمم.

- المحليات، المكثفات والمثبتات: وهي أنواع كثيرة (بين E322 و E499) وتستعمل هذه المواد لتعطي لبعض المنتوجات الخفيفة والسائلة نوعا من التماسك أو التمويه عند غياب عنصر مهم وأساسي لمنتوج ما مثل حالة الزيت في الميونيز، أو الأغار والجيلاتين في القشدة والحلوى المثلجة.

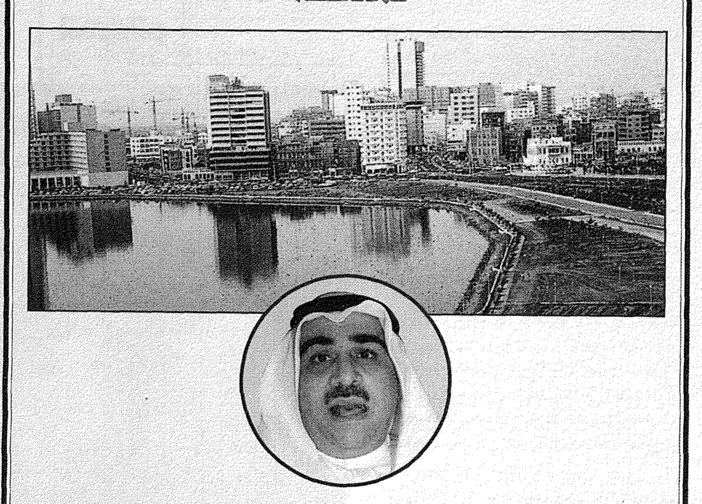
- المحليات : (E420 - E421 ومن E950 إلى E960) غالبا ما يستعمل سكرين حيث يعتبر عامل تحلية لا يمتصه الجسم ويستخدم من قبل المصابين بداء السكري وفي الأطعمة منخفضة الوحدات الحرارية. ولقد ظهرت بعض المخاوف حول استمرار انتشار السكرين الواسع لاحتمال احتوائه على مواد مولدة للسرطان. سيكلامات يستعمل كذلك كعامل تحلية فعال إلى أن اكتشف أنه يسبب السرطان، وقد حظر استعماله في الولايات المتحدة عام ١٩٦٩م ، وكيفما كان الحال فإن كلا المادتين يحظر تعاطيهما للأطفال.

- مقويات المذاق : (E620 إلى E640) تزيد من نكهة الأطعمة حيث تعتبر مادة غلوتامات الأكثر استعمالا. وإذا أضيفت إلى المأكولات الصناعية فهذا يعني أنها عديمة الطعم وفي حالة رديئة.

كما أن ما تحدثه الإضافيات ٦٢٠) الى (٦٢٣ من خداع في الفم فإنها تسبب كذلك تسمما. فالحساء والشوربة الجافة التى تباع في الأكياس، اللحوم والأسماك شبه الجاهزة، الأكلات الخفيفة المالحة، النقانق، أو الطعام المجمد المتخذ من العجين المقلي المحشي بلحم أو سمك مفروم، تتوفر على هذه المادة، وإذا تعدى استهلاكها غراماً في اليوم فإنها تسبب مشاكل في الجهاز الهضمي منها (خلل في الرؤيا، وهن، احمرار وتعرق).

تبقى إذا المراقبة الإدارية والطبية الصارمة ضرورية لتطبيق القوانين إزاء كثير من طرق النصب والغش والتدليس، وكذا موقف المستهلك الانتقائي عند شرائه واختياره للبضاعة الجيدة، الطريقة الأكثر نجاحا لضمان غذاء صحي ■

تهنئة



مجلة المنهل ـ وبكل التقدير والاكبار ـ تهنىء

معالي المهندس

عادل محمد فقيه

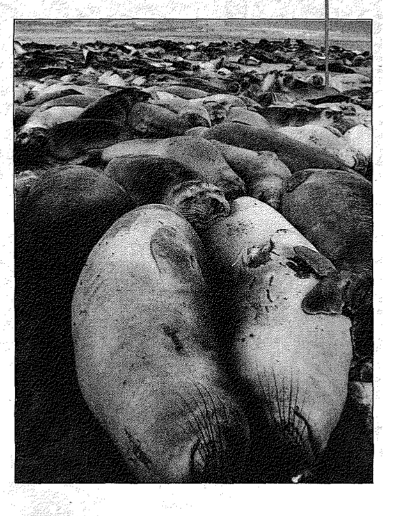
أمين مدينة جدة

على هذه الثقة الملكية الغالية، وهو اهل لها .. متمنين لسعادته كل التوفيق والسداد في خدمة وطنه وأمته .. وخدمة مدينة جدة.

المنهل
مجلة للأدب والعلوم والثقافة

مع تحيات .. دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

لغة الكلام



الكيمياء .. لغة التواصل والتفاهم بين الحيوانات

□ في جميع الحيوانات سواء كانت صغيرة أم كبيرة توجد وسيلة ما للتفاهم أو الاتصال Communication وهي تختلف باختلاف الأنواع فقد تكون وسيلة مسموعة Auditory ويقتصر تأثيرها على مدى انتشار الصوت.. فزقزقة العصافير، نقيق الضفادع، نباح الكلب وكركرة الرومي، طنين وأزيز ونقر وحفيف وفرقعة وصرصرة الحشرات ما هي إلا أمثلة واضحة للاتصال السمعي.

ويصدر الصوت عند الكائنات الحية من حركة الجسم أو الأجنحة أو الأرجل كما في الحشرات أو من حركة الزعانف في الماء عند الأسماك.. أو من صمام غضروفي في القصبة الهوائية عند الطيور أو من الحنجرة عند الإنسان.

والتغريد عند الطيور يلعب دورا هاما في حياتها والتعرف على صغارها وبقاء الأسرة متماسكة ولذا فهي من أهم وسائل التواصل فعن طريقه يمكن تبادل إشارات قد تكون بقصد التحذير من أخطار قد تلوح في الأفق أو التنبيه الى وجود مصادر غذائية يتم اكتشافها أو للتجمع في سرب واحد للهجرة أو لجذب الإناث الى الذكور في موسم التزواج.

ويمكن معرفة اسرار الكائنات الحية من نغمات صوتها فمثلا الدجاجة تصدر صوتا مرحا عندما تجد الطعام وصوتا مرتفع النغمة عندما تنزعج وصوتا رقيقا عندما تنادى على صغارها وصوتا صائحا عاليا عندما تريد وضع البيض، وعلى ذلك فصيحات التحذير لنورس الرنجة وغناء العصفور ذي التاج الأبيض ورقص الغزل لطيور الحجل إنما هي من وسائل التواصل بين الطيور لضمان التناسل وحضانة البيض ورعاية الصغار.

أمـا الاتصـال باللمس Tactile فيـتطلب ذلك الاحتكاك المباشر بين الحيوانات مثل اللعق والعض والصفع والدفع وغيره.

فالقطط والكلاب تميل إلى الملامسة والملاطفة وتشـعر بالعطف والود، أمـا عند الإنسـان فـاللمس يعني الكثير من المعاني فالمصافحة والتربيت على الكتف والعناق والتقبيل لها مدلولها في التفاهم والتعارف.

أمـا وسيلة الاتصـال المرئيـة Visual والتي تعتمد على مدى الرؤية فتحريك الذيل أو نبش الأرض أو تحريك الشعر أو تقويس الظهر ما هي إلا وسائل للاتصال والتفاهم كذلك تغير الألوان وبعض الأسماك تغير لونها.. كإشارات ولغة للتفاهم فيما بينها فذكر سمكة «الجستيروتس» يغير لونه في موسم الربيع حيث يكون التزاوج من اللون البني ليصبح لون ظهره أخضر ولون البطن أحمر والأنثى تفهم هذه اللغة وتستجيب لها.

وكـذلك فـالإشـارات والحـركـات والرقص في مملكة النحل، وهز الذيل عند الكلاب أو هز الرأس عند الحصان لها مدلولها الخاص. وفي الأعماق حيث تسبح الكائنات في ظلام حالك زودها المولى عز وجل بمصابيح مضيئة، ولقاء الذكر والأنثى في كل نوع يتم بإشارات ضوئية ذات تردد وقتي محدد أي أن هذه المصابيح تنطفىء وتضيء كل ثانية أو ثانيتين أو اكثر وبهذا يهتدي الذكر إلى الأنثى.

وعند الإنسـان تحمل نظرات العيون وحركات الرموش الكثير من المعاني والمفاهيم.

وشوقي يقول :

وتعطلت لغـــة الكلام وخـــاطبت
عـــيني في لغـــة الهـــوى عـــيناك

والشاعر يقول :

والعين تبدي الذي في نفس صاحبها
من المحـــبـــة أو بغض اذا كـــانا

د. رمضان مصري هلال

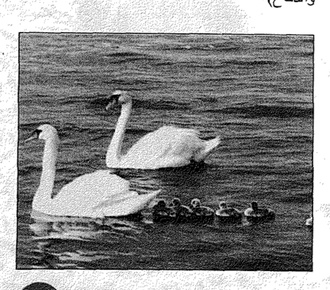
كلية الزراعة ـ بكفر الشيخ - مصر

والعين تنطق والأفـواه صـامـتـة
حتى ترى في ضمير القلب تبيانا

أمـا الوسيلة الرابعة للاتصال فـهي لغة الشم .. أو لغة الروائح أو الاتصـال الكيـماوى Chemical communication والرسائل الكيماوية تسبب استجابة فورية ويستخدم لفظ الفرمونات Pheromones لوصف الرسائل الكيماوية المتبادلة بين الأفراد داخل النوع الواحد، توضع الفرمونات في عدة مجاميع:

- مواد لإرشاد أفراد العشيرة الى موضع الغذاء أو العش (النمل).
- مواد لجذب الجنس الآخر وإثارة الأنثى للتلقيح (الفراشات).
- مواد لربط أفراد العشيرة ببعضها (النمل).
- مواد لطرد الأعداء (خنافس الدقيق).
- مواد تؤثر في فسيولوجية الأفراد (الجراد).

والفرمونات تحمل معلومات عن (الشخصية - منطقة النفوذ - الجنس - الطعام - التجمع - الخطر والدفاع).



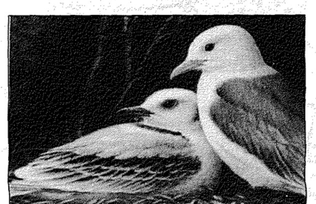
١ـ الشخصية :

ففي طائفة النحل نجد أن الملكة والشغالات والذكور تكتسب رائحة خاصة تفرزها الملكة ويكتسبها النحل تتكون من عدة مصادر تتضمن إفراز غدة Nassanoff ورائحة الأشياء التى لامستها الشغالات، وهذه الرائحة تنحصر في أفراد نفس الطائفة وفي أقراص الشمع بالخلية وفي اليرقات التى حضنتها والأزهار التى زارتها، وبفضل هذه الرائحة يسهل تعرف الأفراد على بعضها البعض ويسهل التعرف على الأزهار التى تجمع منها شغالات كل طائفة الرحيق وحبوب اللقاح.

ونمل العش الواحد يتميز برائحته الخاصة التى تميزه عن نمل الأعشاش الأخرى، عندما تلتقي نملتان فانهما تستخدمان قرون الاستشعار (الأعضاء الخاصة بالشم) للتعرف على بعضها، ويعتقد أن لضربات قرون الاستشعار التى تكون قوية أو لطيفة أو تكون سريعة أو بطيئة مدلولا في نقل الأفكار بين الأفراد، فالتقاء الأصدقاء يعطي النمل رضا واضحا أما التقاء الأعداء فيصحبه تناحر وعراك.

٢ـ منطقة النفوذ :

وتلعب الرائحة دورا هاما لتحديد منطقة النفوذ فمثلا تفرز الأرانب سائلا عديم الرائحة من غدد تحت الذقن لتحديد منطقتها وتختلف هذه المنطقة



باختلاف الأنواع فهي تبلغ ٨٠٠٠ متر مربع (الأرنب الأمريكي قطني الذيل) الى ٧٢٠٠٠ متر مربع (الأرنب ذو الحذاء الثلجي).

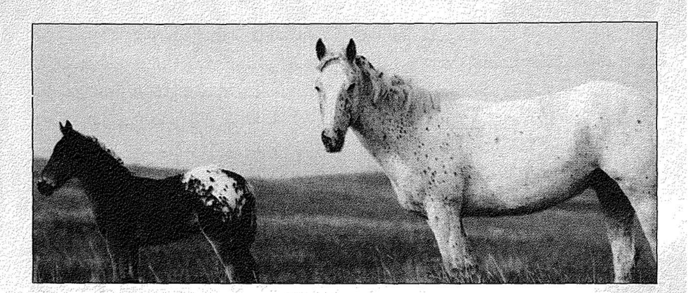
أما الأيائل والغزلان فان هذه الغدد توجد في الوجه حيث تقوم بتحديد منطقة نفوذها بوضع الرائحة على ارتفاع مستوى عينها على أوراق الأشجار، أما الكلاب والذئاب والدببة فتستخدم البول في تحديد منطقة نفوذها.

٣ـ الجنس :

تنفرد الحشرات بامتلاك أقوى الفرمونات الجنسية وأوسعها مدى، حيث تستطيع فرمونات الأنثى أن تجذب الذكور من مسافة تتراوح من ميل الى ثلاثة أميال. ومن نتائج إحدى التجارب استطاعت أنثى ذبابة الأناناس المنشارية أن تجذب خلال خمسة أيام وهي محبوسة أكثر من ١١ ألفا من الذكور.

وقد سجل انجذاب ذكور حشرة Actias se-lene للاناث من مسافة ١١ كيلومترا ، وتستخدم الفرمونات في الحشرات بغرض ايجاد الجنسين معا للتزاوج حيث تقوم الأنثى بإفراز الفرمون لجذب الذكر ويكون الإفراز مرتبطا فقط بالتلقيح ويتم استقبال هذه الرائحة بواسطة مستقبلات خاصة موجودة على قرون الاستشعار، حيث تؤدي هذه الرائحة الى اثارة الذكور حيث تطير في اتجاه الأنثى في خط متعرج، وبالقرب منها يكون تركيز الرائحة عاليا، يوقف الذكر تقدمه ويبحث عن الأنثى مستخدما حواس أخرى ، خاصة الرؤية حيث تتأثر عملية الغزل والتزاوج بوسائل أخرى تشمل الإشارة البصرية أو اللمسية أو السمعية.. وفي بعض الحالات قد يقوم الذكر بافراز الجاذب الجنسي.

ويجب الاشارة هنا انه بالتعرف على التركيب



الكيميائى للفيرومون يمكن انتاجه صناعيا، واستخدامه في برامج المكافحة والسيطرة على الحشرات الضارة وقد أمكن تخليق ما يزيد عن ١٥٠ مركبا أمكن استغلالها في السيطرة على الآفات وذلك عن طريق تجميع الحشرات وصيدها أو عن طريق تشتت التزاوج وقد تقوم الأطوار غير الكاملة (اليرقات - العذارى) بافراز الفرمون كما في بعض الخنافس التى تعيش في جذوع الأشجار حيث تتجمع الذكور على المكان الذى ينطلق منه الفرمون في انتظار خروج الإناث، وتتم عملية التلقيح بمجرد خروج الإناث من مخابئها.

وذكور التمساح تطلق نفثة من رائحة قوية من غدد تحت الفك تستطيع جذب الإناث ويستخدم البول والبراز في نقل فرمونات الجنس وتحديد مناطق النفوذ كما في حيوان فرس النهر.

أما ذكر الكلب يستطيع عن طريق شمة لبول الانثى أن يحدد مدى استعداد الانثى للتسافد في هذا اليوم من عدمه. وقد يكون الذكر اكثر دهاء ومكرا (كما في العرسه) حيث يقوم بطمس معالم رائحة الانثى المستعدة للتسافد حتى يضلل غيره من الوصول اليها. وعلى ذلك فان غريزة الاستئثار بالأنثى موجودة في الحيوانات (عدا الخنزير) ولذلك تنشب المعارك ويشتد التنافس بين الذكور.

أما ذكور (الارانب - السنجاب - الثعلب) فإنه يرش الانثى ببوله حتى لا يقترب منها ذكر غيره.

٤ - الطعام :

تفرز أنواع النمل فرمونات في مسارها تهتدي بها الأفراد الأخرى من نفس العشيرة، حيث يتم إفراز الفرمون على هيئة قطرات دقيقة بواسطة غدة Dufour أو الغدة السمعية أو غدة ناسينوف على هيئة خط يصل بين العش وموضع الغذاء، فاذا كان مصدر الغذاء غنيا يظل هذا المسار، وعندما ينضب الغذاء فيقل عدد الشغالات السارحة وتقل قطرات الفرمون ويزول تأثيره، وتجدر الاشارة هنا أن بعض أنواع النمل تستخدم الفرمونات كوسيلة للدفاع.

٥ - التجمع :

تقوم الفرمونات بدور تجميع العشيرة وحمايتها من التشتت ومن ذلك ما تفرزه الخنافس من فرمونات تكون بغرض التجمع في مكان واحد مثل (الخنفساء المرقطة) وفي حالة الهجوم الجماعى لخنافس القلف أبس وسكوليتس ، الأشجار الصنوبر والتى تقاوم

الهجوم بطرد أو اغراق هذه الحشرات في عصارتها فان الحشرات تلجأ الى الهجوم الجماعى وادخال فطر يخل الجهاز الوعائى للحشرة، وتقوم فرمونات التجمع، والفرمون الجنسي والذى يختلط بالبراز في تجميع مزيد من الخنافس التى تتجمع وتتزاوج.

أما ملكات نحل العسل فانها تفرز فرمونا للتجمع عند خروج الطرد من الخلية، كذلك تفرز إناث بعض الطيور فرمونا ليجعل صغارها بجانبها حتى تستطيع رعايتهم والعناية بهم. وقد تلجأ الصغار الى افراز الفرمونات ليحث الآباء على القرب منهم وحمايتهم وعدم التهامهم كما في الاسماك أما يرقات نحل العسل فانها تفرز هرمونات بغرض استدعاء الشغالات لتغذيتها.

٦ـ الخطر والدفاع:

حيث يتكوّن هناك فرمون يصدر عند الشعور والاحساس بالخطر ومهاجمة الأعداء كما في النمل، أما في عالم النحل فان الشغالة عندما تلسع عدواً لها فما تلبث الشغالات إلا أن تتجه نحوه عن طريق انجذابها للرائحة.

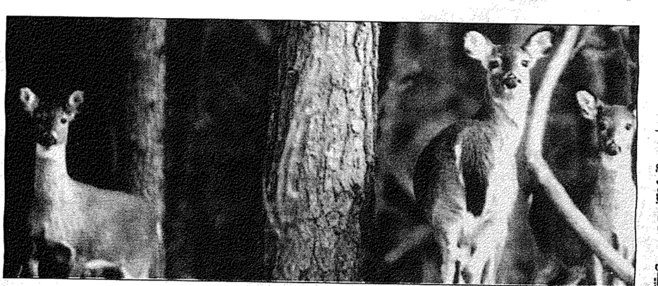
وإشارات التحذير معروفة في كثير من الأمثلة في عالم الحشرات كما في المن وغيره.

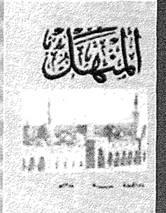
أما الصرصور فانه يقذف مادة سامة من الزوج الثانى من الثغور التنفسية البطنية. أما حشرات البق وغيرها من الحشرات نصفية الأجنحة فإنها تفرز رائحتها (الكريهة للانسان) والطاردة والسامة للحشرات الأخرى أما خنافس الدقيق فإنها تمتلك جهازا معقداً من الغدد الطاردة ينتج إفرازا شديد التأثير على الحشرات الأخرى، ويترك رائحته غير المقبولة في الدقيق.

أما الخنفساء المدفعية فهي تطلق انفجاراً صوتيا يصاحبه اطلاق افراز كيميائى عند شعورها بخطر يهددها، حيث تقف دافعة قمة بطنها وتصوبه تجاه الهدف وتطلق قذيفة كيميائية يصاحبها انفجار مدوٍّ يرعب عدوها.

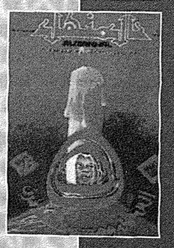
فسبحان الله الذى خلق فسوى وقدر فهدى، ووهب الكائنات ما يمكنها من التعامل فيما بينها بلغة أخرى غير الكلام ـ لغة الكيمياء. ووهب كل كائن ما يمكنه من البقاء والانتشار ومزاولة حياته وسط الاصدقاء وأيضا وسط الأعداء.

وما أكثر ما يخفى على السمع والبصر والفؤاد، وصدق الحق ﴿ **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين** ﴾ (لقمان/١١) ■









للقديم روعته

أسطر في الفن والإبداع والكلمة المنتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم.. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظنها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.

الى صاحبي المجنون

شعر منثور :

□ « والشعر المنثور هو شعر العاطفة السامية والفن الرائع ويسرنا أن يكون من أدبائنا المبرزين من يتعاطى هذا اللون الجديد من الشعر العاطفي الجميل» ـ المحرر ـ

يا صاحبي :

هل كان من رأيك اصطناع هذا الجنون؟ أم هو اصطفاء القدر الإلهي واختياره؟؟

لئن كنت صاحب الرأي والصنعة فانت متقن، وأنت في اتقانك نابغة عرفت كيف تبز الناس. عرفت كيف تعبث وتضحك، وعرفت كيف تهزأ وتسخر.

عرفت كيف تتندر بأوضاع الناس، وعرفت كيف تتحرر منهم.

عرفت كيف تسمو على أفكارهم، وعرفت كيف تعطى نفسك مدى شاسعاً لا يغلك فيه قيد، ولا تقيدك أغلال.

اما ان كان القدر الالهى هو الذي شاء لك دون ما اختيار منك أو كسب فانت إذاً محظوظ ، وأنت سعيد، وأنت تستحق الغبطة والحسد.

يا صاحبي المجنون :

شهدتك الف مرة في الف موقف من هذه المواقف التى ترهقنا أوضاعها، فكنت فوق جميع الأوضاع لا تعبأ بما يقننون، ولا تبالى بما يعتادون، اما هم من ناحيتهم فقد فهموا فيك انسانا لا تمضي عليك مصطلحاتهم فتركوك طليقا تمرح دون أن يحاسبوك أو يطالبوك فكنت بهذا محظوظا.. وكنت سعيداً تستحق الغبطة والحسد.

قالوا عن أمك انها ماتت فانثال أهل البر عليك بين معز ومشيع.. حتى إذا نام الجسد الطاهر في حفيرته عادوا ادراجهم لا يسألونك عرفا ولا يطلبونك قاعدة.

هكذا مر الحادث في طريقه الساذج دون أن تضفي عليه التقاليد شيئا من أوشابها.

وهكذا مضيت في سبيلك لا يغلك قيد ولا تعتصرك عادة من عادات أهلك. وذهبت أسأل عن تلك (السرج) عشية الايام الأول للمأتم فلم أجدها ولكن وجدتك مكانها شامخا كأبى قبيس لا تعنى بشيء ولا تحفل. فقلت هذا محل الغبطة وهذه احدى مميزات الجنون.

وقالت جارة لنا عجوز: هذا يوم الوجبة الأولى لميتتنا العزيزة وبعد غد يصادف الوجبة الثانية فماذا يعد صاحبك المجنون لهما، ثم ماذا يعد للثالثة بعدهما.

قلت من يدرينا ـ لعله يتواطأ الجزار والطباخ ومائتا امرأة لا يخفن الله على سحق صاحب المأتم.. ويستأنف السحق والدمار بعد غدوتين ثم يستأنف ثالثة لقطع العزاء حتى يأتى على البيت بالفناء، ويعفى على البقية الباقية من حطام الدنيا فيه.. اكراماً لآل فلان، واحتراماً لآل علان وسقوطا عند أمر هذه العادة الفاضلة!!

قلت لعل هذا، أو شيئا من هذا يكون ونسيت انك مجنون.

نسيت عبثك، ونسيت هزأك.

نسيت سخريتك بهذه الأوضاع، ونسيت سموك عن هذه القيود.

نسيت الناس وقد عجزوا دونك فتركوك طليقا تمرح، وتركوك دون مطالبة أو حساب.

نسيت أنك هانىء تستحق الغبطة والحسد، نسيت انك مجنون.

يا صاحبي :

أتشعر هذا النعيم الذى يضفيه عليك جهلك الفذ؟ أتدرى أنك ترتع في بحبوحة لا يهنأ بها عاقل ؟

أتدرى أنك في جنونك نابغـه، وانه ليس في نبـوغك جنون.

في رسائلي الآتية احدثك بالكثير الذى لا تدريه .. فابق مجنونا كما أنت والى اللقاء.

يا صاحبي المجنون :

أتدرى انك ممنوع من ان تمضى سـاذجـا في طريقك، وان ترسل نفسك على سجيتها في مجالسك ومعارفك وخاصة اصحابك.

أتدرى انه لابد لك لتكون عاقلا من أن تتكلف كل شيء وتتلون لكل شيء!!

لابد أن تضحك ملء شدقيك لتخدع بغيضاً قفلت نفعك دونه!!

لابد أن تومىء برأسك ايجابا لتوافق مهرجا أنت تعرف مينه وكذبه!!

لابد لك أن تعتبر الجبن طيبة نفسية! والغباء امعانا في الحذق! والختل واجادة الدس مهارة وشجاعة!!

فاهنأ يا صاحبي بجنونك ..

وامض في سبيلك جاهلا هذه الألوان.

وعش ساذجا تعش محظوظا وتمت سعيداً.

كن يا صاحبي مجنونا .

أتربأ بنفسك عن التزييف.

أتترفع عن سماع الحقائق موشاة بغير الوانها.

أتسمو بنفسك عن ان تضفى القاب الفخامة والقوة والمجد، وتعطى نعوت الكرامة والمروءة والنبل، لأبعد الناس عن هذه الألقاب وتلك النعوت.

إلا تفعل - ولن تفعل - فأنت المجنون حقا وصدقا.

وأنت المجنون لا كذبا ولا ريبا.

وأنت البعيد عن مجاراة الحياة ومماشاة الناس فيها.

فعش كما أنت .

عش يا صاحبي مجنونا.

ولا بد لحياتك في هذا الخضم العاقل من أن تقف للعاطس والماخط، والمتثائب والنائم، والآكل والشارب، والقائم والقاعد، والمقيم والظاعن لتعطى كل حركة هزتها، وتجيب على كل هزة بحركتها، في اشكال محدودة وتراكيب منصوصة لا وقص فيها ولا نقص أو تظل سخيفا وتعيش غبيا.

لا تقول للمستحم : من الزرقاء، ولا للمتوضىء تقبل الله فلكل فصل وضعه ولكل وضع تركيبه ولكل تركيب حروفه كأنها جداول الضرب يتوارثها الاحفاد في أوضاعها المرهقه لا يملكون دونها تحويراً حتى يورثوها بدورهم احفادهم محفوظة مقدسة.

لا يكفى في رأي الشارب اننا نحييه وان نسينا تهنئته واعطاءه جرسها الخاص.

افهام لا تدري كيف رضوا تحديدها وكيف قبلوا ان يمنعوا التفكير عمله فيها.

قال لي انسان وقد رآني اشرب - هنيئا - قلت: بارك الله فيكم، فحملق في وجهي كما تحملق مشدوها في وجه عالم تسأله عن ركن في الصلاة فيجيبك عن شرط من شروط الزكاة ، صغر شأني كأديب لسن في نظره يحير في ابسط كلمة في اللغة.

يا عوج الله هذه الافهام.

هؤلاء أقوام يسيئون الى الحياة من أساسها ويريدونها ضيقة لا تساوى اكثر من مجموعة تراكيب يفنى المرء عمره ليستظهرها، ويتخلى لها وحدها يسردها لمناسباتها مهندسة مجلوة لا يعتورها وقص ولا نقص.

عش يا صاحبي مجنونا لتبق محظوظا.

لتبق سعيداً تستحق الغبطة.

لتظل مرفوعا عن هذه الاوشاب، سامياً عن هذه الاوضاع، محرراً من هذه القيود.

عش يا صاحبي مجنونا والى الملتقى ■

(أحمد السباعي)

رمضان ١٣٥٩هـ / أكتوبر ١٩٤٠م

من طيات القلوب

□ تركتني - أيها العزيز - بعد كتابتي الفصل الأول من رسالتي التي بين يديك - في جهاد عظيم - أناضل وأدافع حتى وقفت وكانت الغلبة لي فأخذت استجمع شتات قواي المفقودة لأمرح في هذه الفرصة التي اتاحها لي القدر.

تطلعت الى الأفق واشرأببت بعنقي نحوكم ولبثت افحص وامعن فتراءى لي مجلسك بين خلانك واحبابك تحذقهم بالنكتة اللطيفة والفكاهة العذبة، وتجلو لهم الافق بتصريحاتك وتقدم لهم النصح بارشاداتك، تداعب هذا، وتعبس - ولكن في مرح - في وجه ذاك، تقول فتدمدم وتضحك، يحلو لك السمر فتستمر فيه فيطيب، ويزعجك العدو فتنجلي له فيخيب ويشيب.

رأيتك تمشي الهوينا مع صحبك الابرار وقد فاتكم خط البلدة فآثرتم السير على الركوب وبقيتم تستحثون الخطى متطلعين الى بريد الاسبوع تعتجلون أخباره وتستطلعون أسراره.

رأيتكم ورأيت نفسي قابعاً على سريري وفي غرفتي الحقيدة مع رفيقين لي - احدهما عدني ورئيس بعثة والآخر عراقي ومراقب فصل - نتجاذب الاحاديث وهي لدينا من غير حد ولا قيد، نجد فنسأم تكاليف الجد ومن ثم يشتم بعضنا البعض وبالشتم نهزل إذ انه لدينا كالمعركة الفاصلة يعلن فيها النصر أو الخذلان.

وينجلي الموقف بأن يوافينا وقت النوم وهو علينا محدود فأتحامل من فراشي وأقوم سائراً الى ردهة الدار حيث زر الجرس فاضربه ايذانا بالنوم وأظل بعد ذلك هنيهة من وقت وليست بقصيره، اطفيء ضوء هذه الغرفة وارجو من سكان الغرفة الاخرى أن يلزموا الصمت والهدوء، أروح وأعدو متلصصاً متجسساً أرجو من هذا واتلطف مع ذاك الى ان يهدأ الجميع فأصعد الى حيث غرفتي وحيث الجدل العنيف فاتكلف العبوس وامشي - في خطا ينم عليها الالم - إلى موضع الزر فأطفيء به الضوء تاركا حولي ضجة الاخوين تملأ الغرفة ملؤها التذمر والاستياء من عملي هذا لأنني حرمتهم لذة الضوء وهم معتمدون للقراءة عليه.

وهنا بعد أن يسود الظلام ويخيم وبعد أن يتأكد القوم أن لا مناص لهم من هذا النظام القاسي، يبدأ النقاش فيحمل كل حملته عليَّ مشبعة بروح الانتقام وتنشب بيننا حرب ضروس اخوض غمارها كما عرفتني، وأجوب ساحات الوغى كما عهدتني أرد الحجة في وجه الأول واصمد بالدليل في وجه الثاني وأستمر في طريقي الى الغلبة والنصر مصطحباً تهكمي اللاذع حتى ألمس فيهم النصب فأعلن لهم السكوت وأنام فينامون.

صفحة رائعة من حياتي في بغداد تتلذذ بها ولو اذكر لك جزءاً من نكد العيش لأزعجك هذا النوع من الحديث ولذا آثرت الجميل منه فحدثتك به وكرهت القبيح فطوحت به، ولا تعجب ان جعلت حديثي مقتصراً على رائع الحوادث وبديعها اسجلهما في هاته الرسالة الاخوية، فانه ليسوؤني جداً أن اثقل ضميرك بما يؤلمني ويحز في قلبي حزاً فظيعاً له أثره العميق في نفسيتي البسيطة، ولكني حيال تساؤلك الغريب والعميق في الغرابة لابد لي من ذكر مقتضب لما يعتورني.. فانك تجدني تجاه أفكار متضاربة تتقاذفني فيها أمواج مصطخبة من المؤثرات النفسية والامتعاضات القلبية.

ويؤلمني أيضاً أن اذكر مأساة القلب في شيء من البساطة كتعبيري هذا فاني اتخيل هذه المأساة جرماً من المضض وغصص الحياة لا اقدر على حمل اعبائهما إذ اني اتقلص عند التفكير فيهما أو التحدث عنهما وفي شيء من القلق عظيم أستطيع أن أنوه عما يهم بي من تعاسة الحال ولذلك كانت رسائلي في هذا الباب جد قليلة وعندما يبلغ بي الألم مبلغاً أرغى فيه وأزبد.

هأنذا في ساحة الألم وبين براثنه الحادة تتقاذفني خواطر الفكر العتي وتتجاذبني نجوات القلب الحزين وتترامانى - كالكرة في ميدان اللانهاية - مجاهل المستقبل الغامض تحمل كل وعيد وتهديد نافخة في وجهي لهيب غاياتها المحرقة تنذرنى بشرر مستطير إن أنا أقدمت أو أحجمت.

وحينذاك أقف - وعلى مفترق الطرق - أفكر وأقدر أحدث النفس بأحاديث ملؤها الحسرة والأسى وبفكر تعتوره وساوس من الشك في هذا العالم المائج بالمصائب والاحزان.

أقول - وفي صوت أجش - أترى هل قدر لي الخير في هذا الطريق؟

أو الخير كل الخير في ذاك الطريق؟..

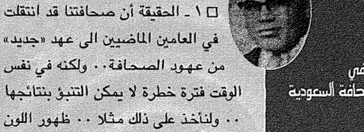
أتراجع قليلا فأقدم مرة وأحجم أخرى.

واحدث النفس بالشجاعة والطموح فتذكرني بالتروى والعقل احدث القلب بالإقدام ورباطة الجأش فيذكرني بالتؤدة والاتزان أنظر للمستقبل يكتنفه الغموض فأحجم وأرى الحياة تتطلب الجهاد فأقدم.

هذا أنا وهذه رسالتي بين يدى أختتمها الآن وسوف أحرص على تقديم مثلها إليك وإلى اللقاء القريب إن شاء الله ■

(هاشم يوسف زواوي)

شوال ١٣٥٩هـ / نوفمبر ١٩٤٠م



□ ١ - الحقيقة أن صحافتنا قد انتقلت في العامين الماضيين الى عهد «جديد» من عهود الصحافة.. ولكنه في نفس الوقت فترة خطرة لا يمكن التنبؤ بنتائجها .. ولنأخذ على ذلك مثلا .. ظهور اللون الأحمر في معظم الصحف، ان اصحاب الصحف عندنا يعتقدون ان اللون نوع من التطور ولكن العكس هو الصحيح.. انه بصراحة نوع من الخداع.. من التعويض .. من التواليت الرخيص .. وان الصحيفة لا تبيع شكلا.. انها تبيع معرفة واخبارا.. ونحن اذا وضعنا امامنا الصحف العربية كمثل أعلى فاننا بدون شك نأخذ مثلا منحرفا.. ولعل فرش بعض الصحف للون الاحمر على صفحتها الأولى والاخيرة يعطيهم نوعا من التعويض فالاخراج عندنا بدائى يسير على غير أصول ويتجه الى غير هدف.. فاللون الجديد هو محاولة التعويض، وأحب أن أنوه أن هذا لا ينطبق على المجلات التى تعتمد أصلا على الألوان.

هذا من ناحية الاخراج، اما من ناحية التحرير فسأقتصر هنا على الكلام عن ادخال العناوين الكبيرة في الصفحة الاولى (مانشيتات) وهو في حد ذاته خروج على قواعد الفن الصحفى وعلى تقاليد الصحافة الوقور، فكيف اذا استعمل دون فهم.. وأحب أن أقول هنا أن الصحف المصرية تشعر بالحيرة الآن لتماديها في سياسة العناوين الكبيرة وهى تحاول الخروج منها، ولعل اقرب مثل عندنا هو جريدة الجمهورية اليومية وحتما ستتبعها جميع الصحف مضطرة لذلك ومتبعة في نفس الوقت الأصول الصحيحة التى تتسم بالعرض الهادىء للمواد دون تهويش وتزويق.

٢ - طريقة واحدة اعتقد انها ستنهض بصحافتنا وتقويها وتنقلها من مرحلة الهواية الى مرحلة الاحتراف والصناعة وتضعها في المكان المرموق.. مكان القيادة والتوجيه من مجتمعنا وهذه الطريقة هي النزول الى المجتمع من ناحية والصعود به من ناحية اخرى .. فكيف يحدث هذا؟!

أولا : تنزل الصحف الى المجتمع.. الى الناس.. الى حياتهم..

حتى ترغمهم وتدفعهم لقراءتها وحتى تزداد مبيعاتها واعلاناتها فتقوى من الناحية الاقتصادية وتدخل صحافتنا مرحلة التصنيع.. وهذا سيؤدى قطعا الى نجاحها وتفوقها في الناحية الفنية لأن الصحيفة الغنية تستطيع استخدام الفنيين في التحرير والاخراج والتصوير والاعلانات.. ولكن النزول الى المجتمع وعرض حياته وأخباره وعلاقاته الانسانية بصدق وفن تكلف مبالغ طائلة لذلك فان اى صحيفة تحاول النزول الى هذا الميدان تصاب في البداية بصدمة فاذا تحملت وثبتت فان دهشة ولذة الانتصار ستنسيها صدمتها الأولى.

ثانيا: الصعود بالمجتمع فانه لا يكفى أن تنزل الصحافة الى المستوى العادى للناس وتكرره وتعيده، بل يجب أن تحفز الناس عن طريق خفى احيانا وواضح احيانا اخرى الى سبل العظمة والمجد مستشهدة مرة بالماضى ومرة بالحاضر، فان العيب الاكبر في الصحافة هو أن تظل على مستوى وضيع فتدعى إنها انما تمثل المجتمع وانها انما تعطيه ما يريد حتى لو كان ضحلا لا يسمن ولا يغنى من جوع.

٣ ـ ليس هناك دور يمكن أن تقوم به الصحافة في اعداد مجتمع واع.. بل إن الدور والمسؤولية كلها تقع كلها تقريبا على الصحافة في اعداد اي مجتمع سواء كان واعيا أو غير واع.. والصحافة المنحرفة يمكن أن تهدم كل ما تبنيه المدرسة.. والصحفيون والمعلقون والأدباء وجميع العاملين في الحقل الصحفى تقع عليهم هذه المسؤولية.. ولكننا يجب الا ننسى أن الصحافة لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور إلا اذا توفرت الظروف الملائمة لأى صحافة في أي بلد.. ولكن الصحافة ايضا لا تنقصها الحيلة فهي تستطيع عن طريق وسائلها الخاصة أن تشير الى ما تريد وأن تؤدى رسالتها.

٤ ـ لابد أن تكون هناك ثغرات في أى مجتمع والمسؤولية تقع على الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى في معالجة هذه الثغرات.

٥ ـ لا يزال الأدب حتى وقت قصير ـ وربما حتى الآن ـ هو المسيطر على كافة الصحف.. وهو السلعة الرائجة في صحفنا.. وكان صغار المتأدبين هم محررى معظم مواد الصحف والمجلات عندنا في فترة معينة عزف فيها أدباؤنا ومفكرونا عن الكتابة.. ولكنهم نشطوا في الاعوام الاخيرة وتزاحموا على الصحف وأمطروها بانتاجهم وإن كان يدور معظمه حول الأدب كأن الأدب هو مشكلتنا الرئيسية.. والظاهرة الحميدة الآن هي تطور المقال عندنا واستيعابه لجميع الموضوعات الأدبية والسياسية والعلمية والصحفية والاجتماعية وظهور طبقة جديدة من الكتاب تخصصوا في هذه الانواع وهذا قطعا من المظاهر الحسنة لأن الخروج عن نطاق الأدب ومشاكله ومذاهبه معناه احساس من هؤلاء الكتاب بالرسالة الملقاة على عواتقهم.

وشيء آخر ألاحظه على صحفنا اليومية من الناحية الاخبارية وهو انفصال صفحتها الأولى بالذات عن الحياة عندنا، فهى تملؤها بالاخبار الخارجية وتحرمها من الاخبار الداخلية التى يهتم بها الناس لأن من طبيعة البشر الاهتمام بما حولهم ثم ما يليهم وهكذا.. اننا نقدم على صفحتنا الأولى طبق «بوفتيك» أجنبي بدلا عن طبق «السليق المحلى» ونحن تماما كجحا الذى سألوه أين أذنك فرفع يده فوق رأسه ووضعها فوق أذنه الاخرى.

وأكتفى بهذا نظرا لضيق المكان.. ونحن لا نطلب الطفرة لصحافتنا، ولكننا نؤمن بالمثل الذى يقول: «أكل التمر حبة حبة» ولكننا مع ذلك يجب أن نختار التمر الذى نتناوله حبة.. حبة.. ■

(محمد على حافظ)

المحرم ١٣٧٩هـ/ يوليو ١٩٥٩م

تعليم المرأة

□ يعرف أن الدين الاسلامي جاء بكل ما يصلح الأوضاع الخاصة بالجنس البشرى الفرد والمجتمع ـ وصار بمثابة الدستور الذى رسم للناس طريق السعادة، وأمرهم بسلوكه وبيَّن لهم طريق الشقاوة وحذرهم من الوقوع فيه ومن الخصائص التى امتاز بها على سائر الاديان يسره وسهولته، وتهذيبه للأخلاق، واقامته اعوجاج الجنس البشرى على وجه العموم.. ونعرف أن الذين تمسكوا بأهدابه وتحلوا بآدابه أصبحوا يعيشون في جو ملائم للحياة السعيدة.

وقد كان للاسلام في مبدئه معارضون ولكنه بالرغم من ذلك برز وكشف حجاب الظلام وسوى بين الجنس البشرى في العدالة والاصلاح ولا يزال حتى وقتنا هذا له أعداء لا يزالون بقدر امكانهم يبيتون كل ما يكون ضده، وهذا راجع الى أمرين: الأول: إما البلادة والغباوة استحوذت عليهم حتى جعلتهم يعيشون في ظلام لا يعرف بصيص النور وإما لارتكاس في العقيدة وهذا الارتكاس بطبيعة الحال يدفعهم الى عدم التصديق بما جاء به ويدفعهم أيضا الى التكذيب بما سمعوا عنه فيأتون بخرافات لا تتفق مع العقل والمنطق وينسبونها اليه وهو منها برىء كبراءة الذئب من دم يوسف ويكذبون بأشياء جاء بها وأمر باتباعها، ويصمونه بالتأخر والله سبحانه يسمى هؤلاء بالمفترين ونعتهم بعدم الفلاح ووعدهم بالعذاب والنكال فقال تعالى [ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون].

والذين يتجنون على الاسلام وينكرون تقدمه يحرمون على المرأة المسلمة القراءة والكتابة متمسكين بحديث: (اياكم والنساء لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة) وهذا الحديث منكر وموضوع، وانما أتوا به من عند أنفسهم وهم بعيدون كل البعد عن قول الله تعالى حينما خاطب نساء النبى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة).

وقد كان عليه الصلاة والسلام يجمع الصحابة ويعلمهم آداب الاسلام وشرائعه فيتأثر به الرجل لما يرى من اصلاحه لاوضاعه ومشاكله ويسمع بذلك النساء ويتأثرن به ويأتين إليه عليه الصلاة والسلام ويقلن له: «يارسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتك فيه تعلمنا مما علمك الله» قال لهن: «اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا» فاجتمعن فأتاهن وعلمهن مما علمه الله.. وكان عليه الصلاة والسلام يُرَغِّب في تعليم المرأة وتأديبها وتهذيبها .. حيث يقول: «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» وكثير من نساء الصحابة أثبتن تقدمهن ورسوخهن في معرفة الدين وشرائعه وأساليبه ومن بين هؤلاء النساء عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ روت عن زوجها (٢٢٢٠) حديثاً منها ما هو خاص بالنساء في الحيض والولادة والطهارة ومنها ما هو متفرق في سائر أحكام الدين وقد رجع اليها عمر وكثير من الصحابة ليسألوها عن التشريع الاسلامى وعن بعض أحاديث كانت أقرب أخذا لها من زوجها عليه الصلاة والسلام.

وقد كانت حفصة ابنة عمر بن الخطاب كاتبة

وقارئة وراوية وحينما توفى أبوها سلمت لها المصاحف والكتب الموجودة في خزانة الخلافة لتحفظها لكونها قارئة وعالمة بها حتى سلمتها لعثمان رضى الله عنهم أجمعين.

ولم يقتصر تعليم نساء الصحابة على القراءة والكتابة بل تعلمن القتال والفروسية وجهاد الاعداء فلقد حضرت أسماء بنت يزيد موقعة اليرموك وقتلت بعمود فسطاطها تسعة من صناديد الروم، ونسيبة بنت كعب التى تحدثت عن نفسها في غزوة أحد قائلة: (خرجت أول النهار ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو في أصحابه والريح والدولة للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله فجعلت أباشر القتال وأذود عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)).

وقالت عنها بنت سعد بن الربيع : لقد رأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف، وقتلت يومئذ فارسا من المشركين وقال النبي عنها: ما التفت يوم أحد يمينا وشمالا إلا وجدتها تقاتل دوني. وقد حلفت وآلت على نفسها أن تأخذ بثأر ولدها حبيب بن زيد الذى قتله مسيلمة الكذاب، وحينما تولى أبو بكر الخلافة وامتنع من امتنع عن أداء الزكاة وجهز الجيوش لمحاربة الممتنعين استأذنته في الخروج واقتحمت البستان على بنى حنيفة تحت ظلال أربعين ألف سيف وصالت وقاتلت قتالا حسنا وأصيبت في جسمها بأحد عشر جرحا ولكن تلك الاصابات لم تثن عزمها بل استمرت تقاتل حتى رأت مسيلمة على الأرض صريعا.

ولم يقتصر تعليم نساء الصحابة على رواية الاحاديث وتفسير الآيات والمشاركة في جهاد الاعداء بل كان منهن من تحفظ الشعر والتاريخ والأدب.

لقد قالت فاطمة الزهراء رضى الله عنها لأنس بن مالك حيما دفن مع الصحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام: يا أنس أطابت نفوسكم ان تحثوا على رسول الله التراب؟ ثم اغرورقت عيناها .. وبكت وأنشدت تخاطب حبيبها وقرة عينها قائلة:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا
لما نعيت وحالت دونك الكتب

وهناك شعر الخنساء لا يزال موضع الاعجاب ومضرب الامثال تسمعه الاسماع وتطرب له حيث تقول في رثاء أخيها صخر:

قذى بعينيك أم بالعين عوار
ذرفت بالدَّمع إذْ خَلَتْ من أهلها الدار
كأن عينى لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكى لصخر هى العبرى وقد ولهت
ودونه من جديد الترب أستار
وان صخرا لوالينا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتوا لنَحّار
وان صخرا لمقدام اذا ركبوا
وان صخرا اذا جاعوا لنحَّار
أغر أبلج تأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

وهذا شعر الصحابية الشيماء بنت الحارث السعدية أخت النبي (صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة كانت تطربه عليه الصلاة والسلام وتدعو له بالبقاء والسيادة قائلة:

يا ربنا أبق لنا محمدا
حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه ســيــدا مــســودا
واكـبت أعـاديه مـعـا والحـسـدا
واعطـه عـــزا يـدوم أبـدا

وهذا شعر الصحابية عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل العدوية رضي الله عنها ترثي به زوجها الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة:

غـدر ابن جـرمـوز بفـارس بهـمـة
يوم اللقـاء وكـان غـيـر مـصـرد
يا عـمـرو لو نبـهـتـه لوجـدته
لا طـائشـا رعش الجنان ولا اليـد
كم غـمـرة قـد خـاضـهـا لم يثنه
عنـهـا طرادك يا ابن فـقـع القـردد
ثكلتك أمك أن ظـفـرت بمثله
فـيـمـا مـضـى مم يروح ويغـتـدى
والله ربك إن قـتـلت لُمسلِماً
وجـبت عليك عـقـوبة المتـعـمـد

وهذا قليل من كـثـيـر فـقـد رددت لنا الكتب من آداب المتعلمات والمتأدبات مما يدل على أن المرأة في زمن الصحابة وفي زمن الدولة الأموية والعباسية ضربت الرقم القياسى في الآداب والعلم وبرهنت على جدارتها وكفاءتها في سائر الاعمال، ولقد صور لنا أمير الشعراء أحمد شوقى واقع المرأة في صدر الاسلام:

هـذا رســـول اللـه لم
ينقص حـــقـــوق المؤمنات
العلم كـــان شـــريعـــة
لنســائه المتـفـقـهـات
رضن التـجـارة والسـيـا
ســة والشـؤون الأخـريات
وقـــد علـمن بنـاتـه
بحـجـا العلوم الزاخـرات
وحـضـارة الاسـلام تنـ
ـطق عن مكان المسلمات
بغـــداد دار العــالما
ت ومـنـزل المتــأدبات
ودمـشق تحت أمَـيَّــة
أم الجـوارى النـابغـات

والواقع أن المرأة شريكة الرجل في الحياة والرأى وصدق العزيمة وقد برهنت على جدارتها وكفاءتها وأثبتت نضالها وجهادها.

ولا ينكر أي انسان ما للمرأة من ذكاء وحذق وعزيمة واحساس وشعور، فهي كما وصفها نابليون بونابرت: «أن المرأة التى تهز السرير بيمناها تهز الأرض بيسراها».

ان المرأة لا تزال عندنا متأخرة بمعنى الكلمة.. وليس هذا التأخر في الكماليات التى في مقدورها أن تعيش بدونها.. وانما تأخرها في الضروريات التى لا مندوحة لها عنها فهى جاهلة بحقوق الزوج وماله من واجبات وحقوق مناطة بها.. انها جاهلة بآداب دينها التى هى من المستلزمات الضرورية لها وهذا الجمود والجهل الملازم لها لابد له من محاربة مبدأية حتي تلحق المرأة بالقافلة، وليس معنى هذا أن تتخذ السفور والتبرج وتحتك بالرجال.. كلا فنحن نتحاشى هذا ونتلافاه ونطالب بمحاربته.. إننا نريد نساء متعلمات متأدبات بالآداب الشرعية ومتعلمات على المنهج الاسلامي الحنيف ■

(عبد الرحمن النفيسة)

شعبان ١٣٧٩هـ/ يناير وفبراير ١٩٦٠م

فـوات الوفيـات

□ تراجم جيدة لنفر من أهل الفضل سياسة وعلما وشعراً وأدباً ، احتذى فيه مؤلفه محمد بن شاكر الكتبي حذو ابن خلكان في كتابه الشهير وفيات الأعيان وان لم يبلغ مستواه، فحسبه أنه قد اقتفاه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

وفيما ذكره من التراجم نوادر بارعة تلوح بروقها الخاطفة كما يتلألأ الضوء في الغيم، وسأسجل منها بعض ما يكون له موقع الارتياح.

(خطـاب سـرى) :

حين داهم هولاكو بغداد، تعددت الأقوال في وزير الخليفة ابن العلقمي، فمن قائل إنه كَاتَبَ المغول يستعديهم، فكان خائنا لوطنه، ومن قائل إنه فوجيء بالمغول فبذل أقصى ما يستطيع من مداهنتهم كي ينقذ ما يستطيع إنقاذه.

وننقل عن فوات الوفيات هذه الطرفة:

كان ابن العلقمي تولى الوزارة بعد وفاة ابن الناقد، وقد سمع الحديث واشتغل بالعلم على أبى البقاء العكبرى، وحكى عنه أنه لما كاتب التتار وراسلهم في أمر بغداد، احتال إلى أن أخذ رجلا وحلق رأسه حلقاً بليغا. وكتب ما أراد أن يبلغه بوخز الإبر ورش على الكتابة الكحل، وتركه عنده حتى نما الشعر، وغطّي ما كتب. ثم جهزه وقال للرجل إذا وصلت إلى القوم فقل لهم يحلقون شعرك ليقرءوا ما كتبته من الكلام، ففعلوا ذلك، ووجدوا في آخر الرسالة! اقطعوا الورقة، فقتلوا الرسول ، وهذا غاية في المكر والخزى.

(قراءة القرآن على القبور) :

ترجم المؤلف لتاج الدين الصاحب وقال عنه إنه كان ذا تصوّن وسؤدد وله ولع بمكارم الأخلاق ومحبة للفقراء والصالحين لا يقف عند حد، وقد اشترى الآثار النبوية الشريفة، وعلقها في أحسن مكان.

أما الطرفة التى تخصه، فقد قال عنه أحد أصحابه بعد وفاته إنه مرّ بالمقبرة التى دفن بها، فرأى بجانبها مكتبا للأيتام، وهم يكتبون القرآن الكريم في الألواح فإذا أرادوا مسحها لكتابة

غيرها من الآيات، غسلوا الألواح بالماء ورشوه على القبر تنفيذاً لوصيته.

وهي وصية لم يسبقه إليها أحد، وكان له شعر جيد، يدل على دعابة وخفة روح، ومن ذلك ما كتبه إلى سراج الدين بن الوراق حين سقط له حمار في بئر فمات:

يفديك جحشك إذ مضى متردياً
وبتالدٍ يُفْدَى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجده وما رأى
تبناً ، وراح من الظما كالتالف
قوم يموت حمارهم جوعاً لقد
أزروا بحاتم في الزمان السالف

وكان يعتكف في المئذنة أياما بجامع عمرو بن العاص يسبح ويقرأ القرآن، وهذا أيضاً من عجائبه لأن الاعتكاف يكون بالمسجد لا بالمئذنة.

(تقي الدين السروجي) :

أديب شاعر عالم يحفظ القرآن، وكان يتفقد أصحابه يوم الجمعة لأنه لا يترك منزله طيلة الأسبوع، ويقول إن كثرة اللقاء تدعو إلى الملل، ويروي في ذلك أنه كان إذا زار جماعة كان له في الزيارة ثلاث مراتب، فالمرتبة الأولى أنهم في اليوم الأول يقولون جاء الشيخ تقي الدين، راح الشيخ تقي الدين، وفي اليوم الثاني يقولون: جاء تقي الدين، راح تقي الدين، وفي اليوم الثالث يقولون:

د. أبو حسام

- المنصورة - مصر

جاء السروجي، وراح السروجي فأعرف أن الخلل قد دب في نفوسهم فأرحل!

وليت شعرى، ماذا كان يريد تقي الدين بعد أن أقام ثلاثة أيام! يخيل إليّ أن الضيافة في عهده كانت تمتد إلى شهور! كما قد قرأنا في بعض الروايات.

وجاء في ترجمته أيضا، أنه كان يهوى غلاماً على عفة وأمانة، هوى عذريا، ومات الغلام، ثم مات تقي الدين بعده بسنوات فصمم والد الغلام على أن يدفن تقي الدين في قبر الغلام، وهذا من الغرائب التى لا تكاد تصدّق.

(الأيام دول) :

كان القاضى فخر الدين هو ناظر الجيش في عهد السلطان محمد بن قلاوون، وله شأن عظيم إذ يستقبله الناس استقبالا رائعا، وكان ممن يحرص على استقباله وينتظره أمام منزله ليكون في حاشيته مفتخراً بصحبته القاضى كريم الدين بن هبة الله بن السديد، ثم دارت الأيام فرضي السلطان عن كريم الدين وجعله كلّ شيء في دولته، فكان الناس يرون القاضي فخر الدين ناظر الجيش السابق يقف أمام منزله منتظرا خروجه ليكون في حاشيته!.

وهذا مثل ما حدث به شيخ العروبة أحمد زكي باشا عن أمير الشعراء أحمد شوقي، إذ أنه كان في أول أمره موظفا متواضعا في القصر الخديوي، وله رئيس يأمره وينهاه، حتى كان شوقي يقول لأحمد زكي أوصه عليّ أوصه عليّ! ثم دارت الأيام فصار شوقي أقرب الناس إلى الخديوى وله أمره المطاع فكان رئيسه السابق يقول لأحمد زكى أوْص شوقى علي!! أوْص شوقى عليّ! وقديما قال الشاعر:

فَبَيْنا نسوق الناس والأمر أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

(الواعظ الكاذب) :

أما الواعظ الكاذب، فهو من يسمّى عتيق بن محمد التميمي، حدث عنه أحد معارفه فقال: رأيته في المسجد الجامع يقرأ الرقائق والمواعظ، ويذكر أخبار الصالحين، ومن بعدهم من التابعين ويبكى، وتتساقط عبراته حتى خيّل إليّ أنه من كبار العارفين.

ثم ذهبت إلى منزله عشية، فوجدت ما أدهشني! وجدته يغنى ويشرب وعن يمينه غلام مليح، فقلت له، ما أبعد الفرق بين مجلسك في الجامع واعظاً باكيا، ومجلسك في منزلك مع الغلام والطنبور، فصاح بي، لكل مكان حال، فأنا فى بيت الله أؤدى له ما يليق، وأقوم بواجبه، أما حين أكون في بيتى فأنا أصنع لنفسى ما أشاء.

وهذا القول لا يصدر عن جاهل فضلا عن واعظ إمام يبكى وهو يعظ، ومما يدل على عدم استقامته قوله فيما رواه صاحب فوات الوفيات:

قالوا هداك الشيب يا ليتني

دام ضلالي وعدمت الهدى

(الوزير صاحب الأفاعي) :

كان الوزير جعفر بن الفضل بن الحسن بن الفرات صاحب الأمر في مصر حين استوزره كافور الإخشيدي، وكان يهوى النظر إلى الأفاعى السامة والحشرات الضارة، والعقارب القاتلة، وأم أربعة وأربعين، وما يجرى هذا المجرى، وكان أمام داره قاعة لطيفة يملكها صديقه السكالي، أما قاعة الحيوانات السامة فلها عمّال مختصون وفرش كثيرة وأدوات ممتازه تقوم بما تحتاجه الحيوانات من مشرب ومأكل على وجه يضمن لها الصحة التامة، وأما الحواة في مصر فقد عرفوا هواية الوزير فكانوا يأتونه كل يوم بما يسرّ خاطره من هذه الحيات فيدفع بها إلى الخدمة كى يعدوا لها أطيب المأوى، وكان يثيب الحواة بالمال الجزيل، وينزلهم في منزله بأكرم مكان وكأنهم جاءوا إليه بقناطير الذهب والفضة، وله وقت خاص يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما لديهم من هذه المصائب، ويطرحونه على الرخام فيسرّ سرورا عظيما، ففي يوم من الأيام غفل الحراس فخرجت بعض الأفاعى القاتلة هاربة إلى منزل صديقه السكالى الذى يسكن جواره بالقاعة المذكورة من قبل، فارتاع الوزير، وكتب لصديقه يقول: إنه لما كان البارحة عرض علينا الحواة بعض الأفاعى فانسابت منها حيات

وعقارب وحشرات إلى منزلك، وبذل الحواة جهدا كثيرا فلم يوفقوا إلا إلى استرداد بعض دون بعض، وبقى عندك منها ما هو عزيز عليَّ، ونحن نرجو أن تأمر خدمك بالمحافظة عليها وعدم التعرض لها بأي سوء حتى يحضر الحواة من الغد ويعملون على استردادها سالمة بإذن الله، وهو الموفق إلى سواء السبيل، فلما قرأ الجار ما كتب في الرقعة ارتاع ارتياعا عظيما وجمع أولاده وأمرهم بالخروج من المنزل، والمبيت في مكان آخر، وكتب الى الوزير يقول: الطلاق يلزمه ثلاثا إن بات في منزله أو أحد من أولاده ما دام فيها هذا البلاء المبين».

(الشيخ الخضر العدوى) :

كان يتعاطى أسباب الكهانة وله فراسة تجعله يخبر بأشياء ويعلن أنها ستتحقق، ثم يحدث تحقيقها، فزادت منزلته في الناس، واغتر بما وصل إليه من صيت لدى العامة، حين كانوا يسيرون خلفه، ويتبركون برؤيته، ويعلنون أنه من كبار الأولياء، وشاع ذلك حتى وصل الى السلطان فكان يعظمه ويجله، ويستصحبه في أسفاره، ويشاوره في مهام الأمور.

ثم بدت منه أمور قبيحة في الانحدار إلى الشهوات، والجهر بالآثام الفاحشة مع النساء والغلمان، حتى نقم عليه السلطان وأراد أن يقتله بعد ما ثبتت عليه هذه الفضائح، فجاء إليه وقال له إعلم أن أجلي قريب من أجلك، وستموت بعد موتي بعشرة أيام، فوجم السلطان، وخاف على نفسه، وتحقق في عقله أن الرجل صادق، وأن حياته مرهونة بحياته، فجعل يكرمه ويعظمه، ويمنحه أفخر الملابس، وأحسن الأطعمة، وخصص له منزلا كمنازل الأمراء، فزاد شراً على شر، وأخذ الكبار يتقون غضبه، وهذا من ضعف الرأى العام، وجهل الناس.

(يزيد من معاوية) :

تحدث المؤلف (ابن شاكر) عن يزيد بما هو معروف، إذ نقل كلام المؤرخين، ولم يزد شيئا، وقال إن له ديوانا شعريا سطر فيه جامعه كل شعر قاله من يسمى بيزيد، وله صفات لا يرضاها أحد ثم ذكر فتويين شرعيتين عنه، إحداهما للكيّا الهراس وهو من كبار علماء الشافعية في عصره، والأخرى للإمام الغزالى، وهما متعارضتان مختلفتان.

فقد جاء في فتوى الكيا الهراس: «انه لم يكن من الصحابة - يريد يزيد - وقد اشتهر بشرب الخمر، وارتكب أشياء منكرة باعدت عنه القلوب، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله في عمره، فيجوز أن يلعن، أما الإمام الغزالى فقال: كيف يجوز لعن مسلم، ولا يجوز لعن البهائم. وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، وإساءة الظن بالمسلم حرام، ولم يثبت أنه قتل الإمام الحسين، وإنما قتله جنوده دون أن يأمر بذلك، وكان ذلك يبعد عن مكان يزيد، وأن الله يقبل التوبة عن عباده» وقد ذهب الكثيرون إلى رأى الكيا الهراس وخالفوا فتوى الغزالى، وأصبح أمر الفقيهين الكبيرين شائعا لأن الفتوى كانت محل نزاع مستفيض ■

المدخل إلى عبقرية الفنان المسلم

مسك الختام

محمود حسن اسماعيل
- مصر -

□ علاقتنا بتراثنا الفني هي أقرب طريق لربط الفن المعاصر بالأصالة حيث لا يزال هذا التراث محور اهتمام الشعوب، تقيس به ارتفاع الفن وهبوطه، فكلما تحرك الفنان بروح الثورة الأخلاقية ضد مظاهر الخلل في المجتمع من حوله فإنه يكون واقعيا في تشكيله الفني وإبداعه الأدبي، أما لو تجرد الفنان من الذات وانخلع من الهوية فانه يسقط في دائرة التهريج والفوضى والسطحية التى لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا.

إن الفنان المسلم يستلهم قيمه من تراثه وعبقرية تاريخه التى رجحت كفة العطاء الإسلامي في العصور المظلمة، والأثر المباشر لإعلاء تراثنا الفني هو إعطاء صورة صادقة عن حضارتنا الإسلامية بذخائرها وكنوزها التى تشكل جذورنا الحضارية.

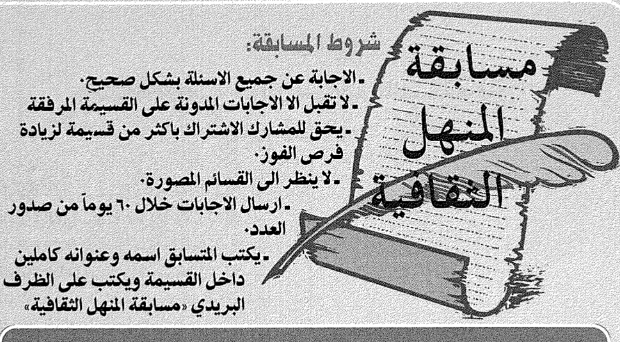
إن رسالة الفن الإسلامي التى تهدف إلى تنسيق علاقة الإنسان بالكون والحياة على أساس العبودية للخالق خالدة خلود التاريخ لأنها ارتبطت بالحاجة الدائمة الى تأسيس كيان انساني عقلاني، وهذه هي رسالة الفن إن صدق في أهدافه وتوجهاته كما يقول مارتن هيدغر: (الفن ليس مجرد كلمة ولكنه ماهية والماهية لا تتغير عبر التاريخ).

إن التجاوب بين عقل الفنان وهويته هو فصل ما بين غالى الفن، ورخيصه، وجيده، ورديئه، وصاعده وهابطه، وهو الذى يمنح الفنان رقة الحس، ونظافة المشاعر، ورعاية المثل مهما حاولت التحديات ومهما بذل الغزو الفكرى من محاولات لإحلال ثقافته وأفكاره ومبادئه وعقائده.

وإذا كان خير الفن أنفعه للناس فبقاء الفنان وفيا مخلصا لدينه وعقيدته يجعل العبقرية تطفو على إنتاجه وتصوغ أفكاره واتجاهاته وقيمه، فتراه يسبح دائما في فضاء مليء بالنور والهداية.

إن واقعية الفن الأصيل وجاذبيته تنبثق من كون هذا الفن لتمجيد القيم ووسيلة لعزل الانحراف عن واقع الإنسان بما يسمح بالنقاء والسمو والارتقاء كما أن الإبداع في الفن هو ثمرة التفاعل بين الفكر والضمير والوجدان، فإذا لم يعمق الفنان انتماءه فقد يسقط في قارعة الطريق الذى يسير فيه وتتعثر قدراته فلا يستطيع للفن طلبا.

إن المعرفة الصحيحة التى تتولد عن طريق إبداعات الفنان هي ثمار لتجارب حية وإلهامات ناتجة عن تفاعل الفكرة الانسانية مع آمال وطموحات الفنان بعد أن تتعزز صلته بتراثه وانتمائه وتصقل موهبته بالانسجام النفسي مع الكون والحياة بعيدا عن العشوائية التى تنذر بتلاشى الخصائص الإبداعية للفنان في أي لحظة من اللحظات ■



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة	المبلغ	الجائزة	المبلغ
الجائزة الاولى :	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

نتائج للعدد ٥٩٤

الفائـــزون :

الجائزة الأولى - حسين صالح عبد الرحمن - السعودية.

الجائزة الثانية - عائشة قرمان محمد - المغرب.

الجائزة الثالثة - تيسير محمد مصطفى - الاردن .

الجائزة الرابعة - حسين محمد حسن - السعودية .

الجائزة الخامسة - السيد السيد عبد الوهاب سعد - مصـر .

الجائزة السادسة - فوزي الدوكي - تونس.

الجائزة السابعة - ابراهيم عبد الرحيم عبد الكريم غلام - السعودية .

الجائزة الثامنة - محمود زكريا سعيد - الاردن .

الجائزة التاسعة - غسان نور الدين سلام - الامارات .

الجائزة العاشرة - بوتشيش الحسن - المغرب .

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٩٥) في العدد (٥٩٧) ·· وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسيمة مسابقة العدد (٥٩٦)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة··

(** ولد احمد بن طولون ببغداد سنة :

☐ ٢٢٠ هـ ☐ ٢٢٥ هـ

** توفي الشاعر الكبير «الجواهري» في :

☐ مصـر ☐ دمشق

** يصدر الصوت في الحشرات :

☐ من حركة الجسم أو الاجنحة أو الارجل ☐ من حركة الزعانف في الماء

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..

تهنئة



مجلة المنهل

وبكل التقدير والاكبار - تهنىء

معالى الدكتور

فؤاد بن عبد السلام فارسي

وزير الحج

على هذه الثقة الملكية الغالية.. وهو أهل لها، وجدير بها، متمنين لمعاليه كل التوفيق والسداد في خدمة وطنه وأمته .. كما نذكر له ونشكر له كل أعماله القيمة التى أداها في وزارة الثقافة والإعلام.



مجلة المنهل

وبكل التقدير والاكبار - تهنىء

معالى الأستاذ

إياد مدني

وزير الثقافة والاعلام

على هذه الثقة الملكية الغالية.. وهو أهل لها، وجدير بها، متمنين لمعاليه كل التوفيق والسداد في خدمة وطنه وأمته .. كما نذكر له ونشكر له كل اعماله القيمة التى أداها في وزارة الحج

مع تحيات .. دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المنهل

مجلة للأدب والعلوم والثقافة